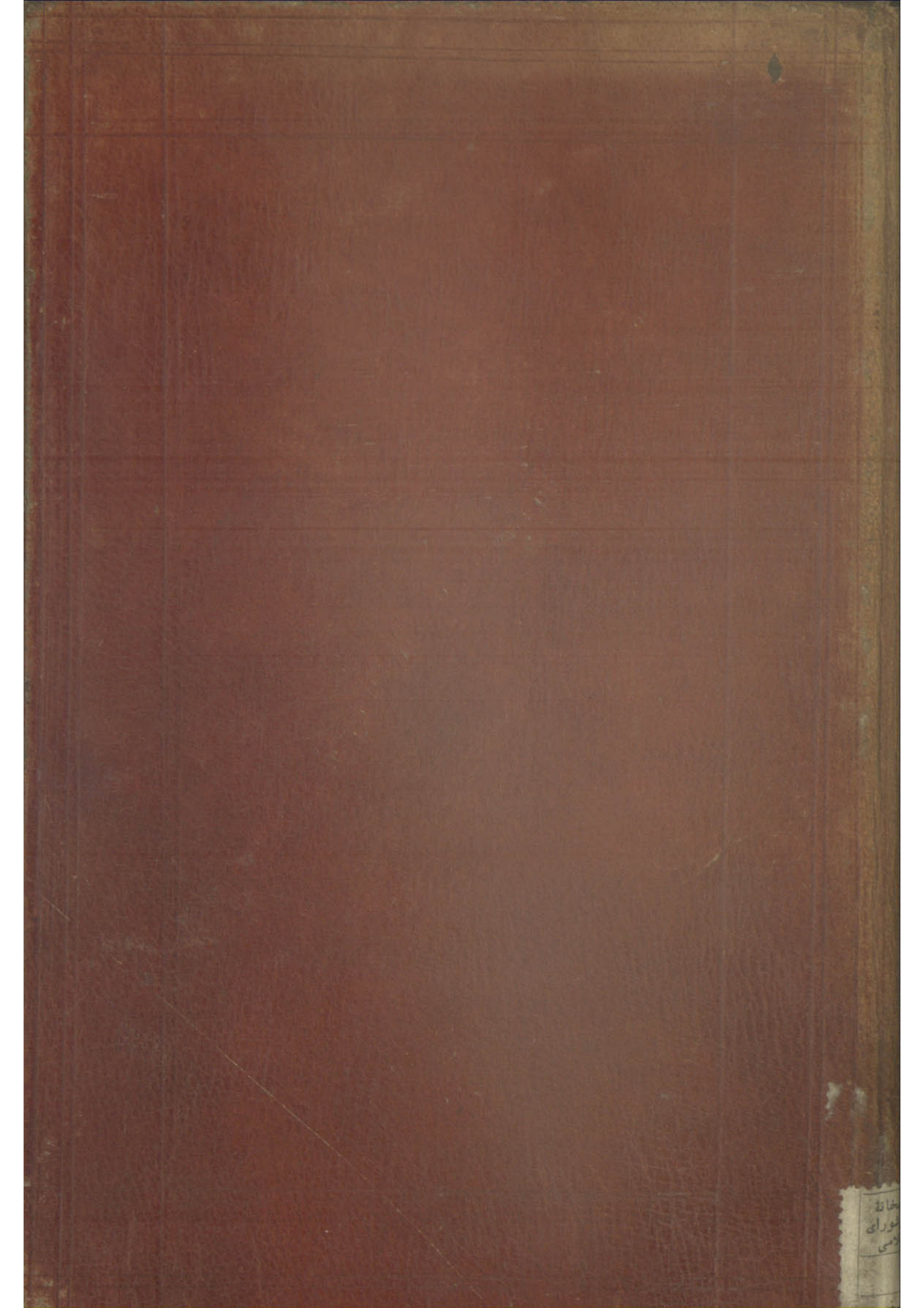
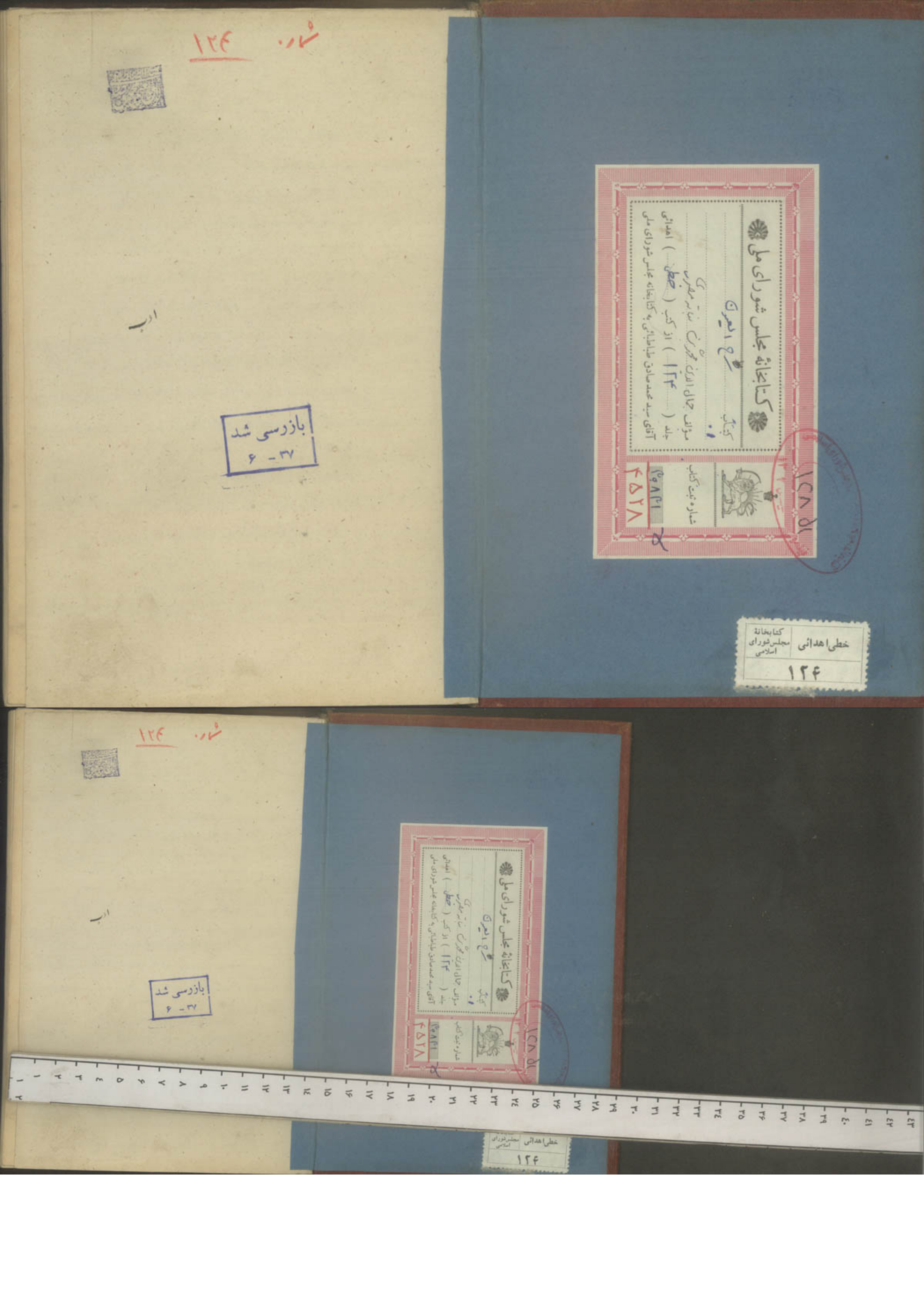
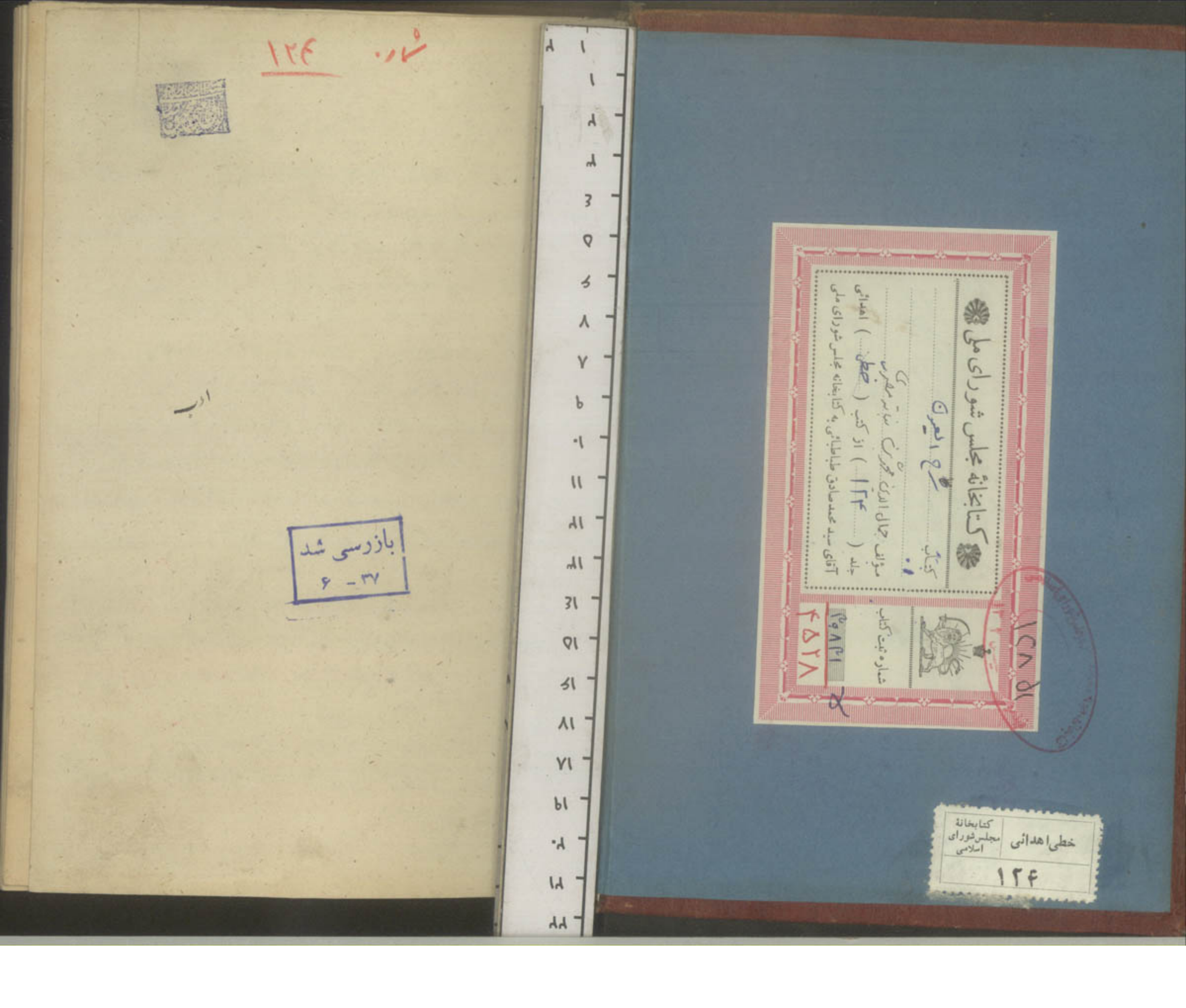



شماره ۱۲۴
ادب
بازرسی شد
۶ - ۳۷
کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
خطی اهدائی
۱۲۴



۱۲۴
بازرسی شد
۶ - ۳۷
کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
خطی اهدائی
کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
۱۲۴



هذا كتاب شرح العيون بسم الله الرحمن الرحيم وبه نقتني في شرح رسالة ابن زيدون

الحمد لله الذي لا يجب الحمد الا له وصلى الله على سيدنا محمد المخصوص
باشرف رسالته وعلى آله وصحبه فما افضل صحبه وآله واطام الله ايام
الملك السلطان العالم العادل عماد الدنيا والدين ادامها متصلة الجلالة
مقبلة الايالنما جنت على النصر التهى بماهر المسالة واثمرت
غصون النعم بين ديم انامله الهطالة فمن فروض نعمه علي وفي وض
منته لدي ان ادعو لايامه المكرمة كما صليت على نبي الرحمة واذكر
من اصلح لنا امور الدنيا القائمة كما ذكرت من اصلح امور الدين القيمة
طلبا لاجابة الدعاء واثابة الرجاء وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم وامتعنا ببقاء من سبقت مواهبه الغيث فضلى
الجزيلة فسلم وبعد فاني امرت بشرح رسالة الوزير ابي الوليد ابن
زيدون الاتي ذكرها وايضاح ما فيها الغامض على سراة الادب
سرها فقلت وما انا وصعود هذا الصرح وولوج هذا الشرح وتعاطي رفعة

ذلك

ذلك البحر ولست من ذلك الطرح وهل انا الا صاحب ابيات تقيمها
القريحة المطبوعة وكلمات تأتي على العفو فقراتها المسجوعة فمتى
اخرجتها عن ظل ابياتي ظلمت ومتى ابعدتها عن رياض سجعي المت
هذا مع تشعب فنون هذه الرسالة واحجام الفضلاء عن الخوض
فيما دونها السيالة فقيل لي انا نختصر من شرحك على الاختصار
ونهب تقصيرك لما قدمت بين يدي نجواك من الاعتذار ونرضى
من بيانك بادنى القصص ونقنع من تاريخ التاريخ ببعض الفرص
واذا كنت من الشعراء فما انت ببعيد من القصص فقابلت بالطاعة
امرا قد وجب وقلت ان فاتني سلوك الادب فان الامتثال
من سلوك الادب وكنت اعرف ببعض خزائن دمشق الوقفية اسفارا
فيها للطالب منجع وللافهام الناسية ذكرى تنفع فلم يتهيأ ان
اعار منها كتابا ولا اراجع من السنة حروفها خطابا فقلت هذا عذر
اخر لم يكن في الحساب وهذا قصد تغلقت دونه الكتب فانها
ذات ابواب وما بقي الا الرجوع الى صبابة الحاصل التي ابقتها نوب
الدهر واستنباط التمداد امجر ورود البحر فامليت هذا شرح
الرسالة عن فكرة منشرح وشرحها الا انني مقصر وما اطيل الشرح
بيد اني لم اعتمد الا على نقل صحيح ونسب قول صريح ولم اخل ترجمة كل
مذكور من فائدة سائرة ونادرة حاضرة واقوال سديدة وابيات مشيدة

ونقرها اخطأتها فطنته سعيد لمن اخال فاختيارها جهد اولا رددت
مع صرف الزمان الا انقدا هذا مع تجنب الاكثار وترك الاجلاب بنظائر
الاستشهاد والتخفيف ما امل المباحث تقتضيه من العنا دوالله تعالى
الموفق لصواب الارادة ومعين الخدم على القيام بطاعة السادة وجاب
وهنهم بما يلقونه من امتثال اوامرهم السادة

ذكر منشئ هذه الرسالة

هو الوزير ابو الوليد احمد بن عبد الله بن غالب بن زيدون المخزومي
الاندلسي الكاتب الشاعر المشهور ولد بقرطبة سنة اربع وتسعين
وثلثمائة وكان من ابناء الفقهاء المتعينين واشتغل بالادب وفحص عن
نكته ونقب عن دقائقه الى ان برع وبلغ من صناعتي النظم والنثر المبلغ
الطائل وانقطع الى ابي الوليد بن جهور احد ملوك الطوائف المتغلبين
بالاندلس فخف عليه وتمكن من دولته واشتهر ذكره وقدره واعتمد
عليه في السفارة بينه وبين ملوك الاندلس فاعجب به القوم وتمنوا
ميله اليهم لبراعته وحسن سيرته واتفق ان نقم عليه ابن جهور امرا
فحبسه واستعطفه ابن زيدون برسائل عجيبة فلم تنجع فهرب واتصل
بعباد بن محمد صاحب اشبيلية الملقب بالمعتضد فتلقاه بالقبول
والاكرام وولاه وزارته وفوض اليه امور مملكته وكان حسن التدبير
تام الفضل محببا الى الناس فصيح الطلوع جدا حكى ابن بسام في كتاب

الذخيرة عن بعض وزراء اشبيلية قال عهدي بابي الوليد ابن
زيدون قائما على جنازة بعض حرمه والناس يعزونه على اختلاف
طبقاتهم فما سمعته يجيب احدا بما اجاب به غيره لسعة ميدانه في
حضور جنانه ولم يزل عند عباد وعند ابنه المعتمد على الله قائم الجاه
وافر الحرمة الى ان توفي باشبيلية سنة ثلث وستين واربعمائة تغمده
الله برحمته وقد ذكر ابن حيان وابن بسام وغيرهما من المؤرخين
واجروا ابدا من اخباره وفضائله ووقفت على ديوان شعره و
كثير من رسائله ونظمه عند النقاد اجود من نثره وكان يسمى بحتري
الغرب لحسن ديباجة لفظه وسهولة معانيه فاما نثره فانه استعمل
فيه كثيرا من امثال العرب وحل اشعار المتقدمين والمتأخرين الى ان
قيل ان رسائله اشبه بالمنظوم من المنثور وعلى ذلك فقد دل بها
على اطلاع عجيب واستحضار معجز وقد اكتفيت منها بذكر هذه الرسالة
المشروحة **ومن شعره** قال من قصيدة يخاطب بها ابن جهور ايام
محنته ٭ ما جال بعدك لحظي في سنا القمر ٭ الا ذكرتك ذكر العين
بالاثر ٭ ولا استطلت ذماء الليل من اسف ٭ الا على ليلة سرت
مع القصر ٭ يا ليت ذاك السواد الجون متصل ٭ قد استعار سواد القلب
والبصر ٭ جعت معنى الهوى في لحظ طرفك لي ٭ ان الحوار لمفهوم من الحور
لا يهنئ الشامت المرتاح ناظره ٭ اني معنى الاماني ضائع الخطر ٭

هل الرياح بنجم الارض عاصفة   ام الكسوف لغير الشمس والقمر

ان طال في السجن ايداعي فلا عجب   قد يودع الجفن حد الصارم الذكر

وان يثبط ابا الحزم الرضي قدر   عن كشف ضري فلا عتب على القدر

من لم يزل من تأنيه على ثقة   ولم ابت من تجنيه على حذر

وقال من ابيات في بني جهور

بني جهور احرقتم بجفائكم   جناني فما بال المدائح تعبق

تعدونني كالعنبر الورد انما   تطيب لكم انفاسه حين يحرق

وقال فيهم من ابيات

ان الجهاورة الملوك تبوّلوا   شرفا جرى مجرى السماك تجنبا

فاذا دعوت وليدهم لعظيمة   لبّاك دفّاق السماح اديبا

همم تعاقبها النجوم وقد تلا   في سودد منها العقيب عقيبا

ومحاسن تندى رقائق ذكرها   فتكاد توهمك المديح نسيبا

وقال من قصيدة يمدح بها المعتضد اولها

اما في نسيم الريح عرف معرّف   لنا هل لذات الوقف بالجزع موقف

وليلة وافينا الكثيب لموعد   سرى لا يلم يعلم بسراه مرجف

تهادى اناة الخطو من تاغمه الحشى   كما ذعر يعفور الفلا المتشوف

ومنها

فديتك اني ردت نورك فاتئد   وعطرك نمام وحليك مرجف

هيبك اعتقت الحي واسيك هاجع   ودفعات عن نيب ليلك مصحف

فكيف اطقت المشي خطوك مدمج   وردفك رجراج وخصرك اهيف

فما قبل من يهوى حوى البدر هودج   ولا ضم ريم القفر خدر مسجف

ولا قبل عباد حوى البحر مجلس   ولا حمل الطود المعظم رفرف

دوينه في الحادث الادّ لحظه   وتوقيعه الجالي دجى الخطب احرف

على السيف من تلك اليراعة ميسم   وفي الروض من تلك الطلاقة زخرف

اظن الاعادي ان حربك نائم   لقد تعد القسّ الظنون فتخلف

ولما قضينا ما دعانا اداؤه   وكل بما يرضيك داع فملحف

رايناك في اعلى المصلى كانما   تطلع من محراب داود يوسف

وقال من مرثية

يا من تناءى الامثال عنه مهذب   ضربت له في السودد الامثال

نقصت حياتك حين فضلك كامل   هلا استعنت الى الكمال كمال

حيا الحيا مثواك وامتدت على   ضاحي ثراك من النعيم ظلال

فلئن اذالك بعد طول صيانة   قدر فكل مصونة ستذال

وقال في الغزل وهو من الجيد فيه

بيني وبينك ما لو شئت لم يضع   سر اذا ذاعت الاسرار لم يذع

يا بايعا حظه مني ولو بذلت   لي الحياة بحظي منه لم ابع

يكفيك انك لو حملت قلبي ما   لا تستطيع قلوب الناس يستطع

ثم احتمل واستطل اصبر وعز اهن / وول اقبل وقل اسمع ومر اطع

وقال لما رحلت فانت جميعه / يا ليتني اصبحت بعض رجالك

يدنو ابو صالح حين شطا مزاره / وهم اكاديرا قبل فالك

وقال من اخرى

اني ذكرتك بالزهراء مشتاقا / والافق طلق ومرأى الروض قد راقا

وللنسيم اعتلال في اصائله / كانه رق لي فاعتل اشفاقا

والروض عن مائه الفضي مبتسم / كما حللت عن اللبات اطواقا

لا سكن الله قلبا عن ذكركم / فلم يطر بجناح الشوق خفاقا

لو شاء حملي نسيم الريح حين سرى / وافاكم بفتى اضناه ما لاقى

الان احمد ما كنا لعهدكم / سلوتم وبقينا نحن عشاقا

وله القصيدة الحي النونية التي اولها بنتم وبنا وهي اشهر من ان تذكر وقد تداولتها الألسنة ونزيد فيها ما كانت غنية عنه وفضائل الرجل

ذكر سبب انشاء هذه الرسالة

متمكنة وكفى بهذا القدر عنوانا لها كان بقرطبة امرأة ظريفة من بنات خلفاء الغرب المنسوبين الى عبد الرحمن ابن الحكم الموصوف بالداخل من بني عبد الملك بن مروان الأموي تسمى ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن المستظهر بالله عبد الرحمن ابتذلت حجابها بعد نكبة ابيها وقتله وتغلب ملوك الطوائف في جنبات قرطبة وصارت مجلس للشعراء

والكتاب

والكتاب وتعاشرهم وتحاضرهم ويتعشقها الكبراء منهم وكانت ذات خلق جميل وادب غض ونوادر عجيبة ونظم جيد فمن ذلك ما كتبت لابن زيدون وهي غاضبة عنه

ترقب اذا جن الظلام زيارتي / فاني رايت الليل اكتم للسر

وبي منك ما لو كان بالبدر لم ينر / وبالليل لم يظلم وبالنجم لم يسر

وقولها فيه وهي عليه غضبى / ان ابن زيدون على فضله

يغتابني ظلما ولا ذنب لي / يلحظني شزرا اذا جئته

كانما جئت لاخصي علي / تعني غلاما له يسمى عليا وكان

سبب قولها فيه هذا الشعر انه اتهمها بمواصلة الوزير ابي عامر بن عبدوس وكان يلقب بالفار فقال فيه وفيها

عيرتمونا بان قد صار يخلفنا / فيمن نحب وما في ذاك من عار

اكل شهي اصبنا من اطايبه / بعضا وبعضا صفحنا عنه للفار

ومن شعرها ما كتبته على كميها / انا والله اصلح للمعالي

وامشي مشيتي واتيه تيها / وامكن عاشقي من صحن خدي

واعطي قبلتي من يشتهيها / ومما ينسب اليها

لحاظكم تجرحنا في الحشا / ولحظنا يجرحكم في الخدود

جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا / فما الذي اوجب جرح الصدود

وكان ابن زيدون شديد الشغف بها والميل اليها واكثر غزل

شعره فيها وفي اسمها ثم ان الوزير ابا عامر بن عبدوس ايضاً

هام بها وكلف بعشرتها وكان قصدهم الظرف والادب و

كانت ولادة كثيرة العبث به ومطامعه نوادر طريفة مرّ يوماً

بدارها وهو جالس واماه بركة تتولد عن مواصى واقذار وحوله

جماعة من اصحابه فوقفت عليه وقالت ابا عامر

انت الخصيب وهذه مصر   فتدفقا فكلاكما بحر

فلم يحر جواباً ومضت وكان كثيراً ما يجتمع بها وينفرد بها

وفي ذلك يقول ابن زيدون

وغرك من عهد ولادة   سراب تراءى وبرق ومض

هي الماء يأبى على قابض   ويمنع زبده من قبض

ثم انه ارسل اليها امرأة من جهته تستميلها اليه وتذكر لها محاسنه

وترغبها فيه فبلغ ابن زيدون ذلك فانشأ هذه الرسالة البديعة

تتضمن غرائب من سب ابي عامر والتهكم به والجهالة وجعلها

جواباً له عن لسان ولادة وارسلها اليه عقيب رجوع المرأة ثم

فبلغت منه كل مبلغ واشتهر ذكرها في الآفاق وامسك ابن عبدوس

عن التعرض لولادة الى ان انتقل ابن زيدون الى اشبيلية ومات

تغمدهم الله برحمته ذكر الرسالة وشرحها ومغفرته لهم

بكرمه اما بعد ايها المصاب بعقله المورط بجهله اما حرف

يقتضي

يقتضي معنى احد الشيئين ويبتدأ به الكلام وبعد ههنا تستعمل في

الترتيب الصناعي وتقدير اما بعد مهما يكن بعد وهي كلمة يبتدي

بها كثير من الخطباء والكتاب كلما اتموا المحررة ورسائلهم المحررة كأنهم

يستدعون بها الاصغاء لما يقولون ولذلك فخر بها سحبان فقال

وقد علمت قيس بن عيلان انني   اذا قلت اما بعد اني خطيبها

وكثيراً ما تأتي عقيب الحمد لله وتسمى هنالك فصل الخطاب كانها

فصلت بين الكلام الاول والثاني وتأتي عقيب البسملة وتأتي ابتداءً

كانها عقيب الفكر والروية واول من قالها داود وقيل انها فصل

الخطاب المذكور في الكتاب العزيز وقيل اول من قالها قس بن ساعدة

والاول اصح وانما قس اول من خطب بها في العرب وكتب بها اول

الكتب على ما ذكر المصاب اسم لمن نزلت به نائبة مصيبة واصاب

السهم اذا وصل الى المرمى بالصواب والمصيبة اصلها في الرمية ثم

اختص بالنائبة العقل المعرفة المستعملة في تحري النفع وتجنب الضرر

لاهل اللغة والمتكلمين في اشتقاقه ومعناه اقوال كثيرة قيل اشتق من

عقل الناقة اذا شد وظيفها مع ذراعها بحبل يمنعها من الشرود فكانه

يمنع الانسان مما يميل اليه من الهوى ومن عقل الناقة سميت الدية عقلاً

لانها تعقل بفناء المقتول او لانها تحبس الدم وقيل اشتق من العقل

وهو الملجأ يقال عقل الوعل اذا التجى الى جبل يمنعه فكان الانسان يلتجي اليه

في احواله وقيل غير ذلك واكثر المعاني مشتركة في الاشتقاق وقال
الحافظ العقل اسم يقع على المعرفة بالصواب والخطاء وايثاره عليه اذا
اقترنا في زمان وكان العلم علة للعمل وقيدا له فاذا دعى الرجل علمه
بالمحاسن الى العمل بها ونهاه علمه بالمساوى عن العمل بها صار قيدا
لعلمه وكالعقال لما استحسنه فاذا عقله عليه وحبسه كما يحبس الجمل في
عاقل وقال الراغب العقل يقال للقوى المتهيئة لقبول العلم ويقال
للعلم الذي يستفيده الانسان بتلك القوة عقل ولهذا قال امير المؤمنين
العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مطبوع اذا لم يكن مسموع
كما لا ينفع ضوء الشمس وضوء العين ممتنع والى الاول اشار النبي صلى الله عليه
وآله وسلم بقوله ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل والى الثاني اشار
بقوله ما كسب احد شيئا افضل من عقل يهديه الى هدى او يرده عن
ردى وكل موضع ذم الله الكفار فيه بعدم العقل فاشارة الى الثاني
دون الاول وكل موضع رفع فيه التكليف عن العبد لعدم العقل
فاشارة الى الاول وقال بعض الحكماء هو جوهر بسيط وقال الحروت
هو جسم شفاف ومحله الدماغ وبعض العلماء يقول محله القلب و
يستدل بقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقوله لمن كان له
قلب اي عقل وقال الجاحظ هو مادة تتولد من الاغذية القوية للعصب
فلذلك كان البلادر جيدا له والبصل مضرا ولذلك يقال بنفسه

الباذنجان

الباذنجان في شهر ما يصلحه البلادر في عام ويزعم قوم انه هيئة تحصل
بالذرية ولذلك فسدت اذهان المعلمين لمخالطتهم الصبيان
الورطة الهلاك قال رؤبة فاصبحوا في ورطة الاوراط وارض
الورطة ارض مطمئنة لا طريق فيها وبها هلك الواقع فيها ومنه
الورطات البئر وفي الحديث لا خلاط ولا وراط الجهل ضد العلم
ومنه سميت المفازة مجهلة كانه جهل كيف الطريق منها وقال
الراغب الجهل على ثلثة اضرب الاول خلو النفس من العلم هذا هو
الاصل وقد جعل بعض المتكلمين الجهل معنى مقتضيا للافعال
الخارجة عن النظام كما جعل العلم معنى مقتضيا للافعال الجارية على
النظام والثاني اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه والثالث فعل الشيء
بخلاف ما حقه ان يفعل سواء فيه اعتقد اعتقادا صحيحا او فاسدا
البين سقطه الفاحش غلطه السقط ما لا يعتنى ومنه سقط المتاع
رديه وسقط القول خطاؤه وسقط في يد الرجل اذا فعل ما يندم
عليه وقال الاخفش اسقط وهو غير مستعمل والاصل السقوط وهو
طرح الشيء من العالي الى المنخفض والفاحش ما عظم قبحه من الاقوال
والافعال ومنه الفاحشة الفعلة القبيحة سميت فاحشة وصار
علما عليها والغلط الخروج عن الصواب نطقا او فعلا تقول العرب
غلط وغلت بالتاء زعم قوم انهما لغتان وزعم قوم ان غلت انما يقال

في المنطق وغلت لسانه يقال في الحساب **العاثر في ذيل اغتراره**
الاعمى عن شمس نهاره العثار السقوط وما قاد به والاغترار الغفلة واستعار
الذيل والعثار للغافل حسنة والفقرة مناسبة لما قبلها وما بعدها
والعمى يقال في افتقاد البصر ويقال فيه اعمى وفي افتقاد البصيرة
ويقال فيه اعمى وعم وعمى البصيرة اشد ولذلك لم يعد الله افتقاد
البصر عمى في جنب افتقاد البصيرة حتى قال فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وشمس النهار هنا كناية
عن الصواب الواضح الذي تركه هذا المكتوب اليه وعمي عنه حتى تعرض
للذم او كناية عن مقدار هذه المرأة التي هي كالشمس حتى طلب منها
ما لا يصل اليه **السقوط سقوط الذباب على الشراب**
الذباب في اللغة يقع على هذا الموصوف من الحشرات وعلى النحل والزنابير
ونحوها قال الجاحظ ومن الدليل على ان اجناس النحل والدبر وما
اشبهه كله ذباب ما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
انه قال كل ذباب في النار الا النحلة وقال المتلمس فهذا اوان العرض
حي ذبابه زنابيره والازرق المتلمس والذباب ههنا هو المعروف
وسمي ذباب العين انسانها تشبيها به او لنظايرة شعاعه طيران الذباب وبه
يضرب المثل في الوقوع على الشراب فيقال اوقع من ذباب والشراب
كل مايع متناول للشرب وغرض الذباب ما حلا ولشرهه عليه يقع على كل

مايع

مايع سواء كان حارا او غيره وفي كتاب كليلة ودمنة من لم يرض
بما يكفيه كان كالذباب الذي لا يرضى حتى يطلب الماء السائل من اذان
الفيلة فتضربه باذانها فتقتله **التهافت تهافت الفراش في الشهاب**
التهافت الترامي مع خفة وطيران يقال منه هفت وتهافت ومنه
قولهم وردت هفته من الناس للذين اقحمتهم السنة والفراش
نوع من الذباب فوق الجيد ومنه قيل لكل عظم دقيق فراشة وقيل
فراشة القفل لرقتها او لشبهها بالفراش الطاير واما قول ذي الرمة

فابقين ان القنع صارت نطافه فراشا وان البقل ذاو ويابس

فقد قيل ان القنع وهو الموضع الذي يجتمع فيه بقية الماء صار
فراشا اي ماء رقيقا وقيل المراد ان نطف الماء صارت فراشا طايرة
في ما تولد الفراش من الماء والشهاب الشعلة من النار ومن ذلك
قيل للبياض المختلط بالسواد شهبة تشبيها بالشهاب المختلط با
بالدخان والفراش معروف بالقاء نفسه في النار ولذلك قيل
في المثل ما هو الا فراش طمع والفلاسفة تزعم ان الحيوان تجذبه
النورية كالفراش الطاير بالليل وما الطف جسمه يطرح نفسه
في النار فيحترق وغير ذلك مما يصاد بالليل بالنار من الغزلان
والطير والوحش والسمك اذا قرب منها السراج في الزوارق ويزعمون
ان النور صلاح هذا العالم ومعنى هذا السجع ان المكتوب اليه من جملة

وتركه لما يؤذيه بمنزلة الفراش والذباب الواقع فيما يهلكه

العجب كذب معرفة المرء بنفسه اصوب قوله فان صلة لقوله اما
بعد ولا بد من اقتضائها الفاء لربط الكلام بعضه على بعض والعجب
ما يعجب الانسان من نفسه اي يستحسنه والاصل العجب كانه تعجب من
حسن ما يجد والكذب ضد الصدق يقال في المقال والفعال و
ينسب ايضا الى النفس الفعل والقول فيقال فعلة فعلة صادقة
وفعلة كاذبة ومعنى المثل ان المعجب من نفسه بحاله يظن انه قد بلغ
بها الغاية وامتاز بالفضل وليس الامر كذلك فكان عجبه بنفسه خبر
له ما لا صحة فكذبه والمعرفة ادراك الشيء بتدبر لاثره وهو اخص من
العلم ويقال فلان يعرف الله ولا يقال يعلم الله متعديا الى مفعول
واحد لما كان معرفة البشر لله هي تدبر آثاره دون ادراك ذاته و
يقال الله يعلم كذا ولا يقال يعرف كذا لما كانت المعرفة تستعمل في العلم
القاصر المتوصل اليه بتفكر واصله من عرفت كذا اي اصبت عرفه اي
رائحته والمعنى ان معرفة الانسان مقداره حتى لا يتعدى طوره
صواب وهو ما يؤيد قوله العجب كذب وهذان مثلان جيدان
الاول ينسب الى اكثم بن صيفي والثاني ايضا ماخوذ من قوله لن
هلك امرؤ عرف قدر نفسه وهو اكثم بن صيفي ابن رياح التميمي احد
حكام العرب في الجاهلية وحكمائهم وخطبائهم ادرك مبعث النبي صلعم

وراسله

وراسله واختلف في اسلامه والاكثر على صحته حكى الهجيمي ان اكثم بن صيفي
لما بلغه مبعث النبي صلى الله عليه وآله قال لقومه احملوني اليه فقالوا
لا والله انت سن من اسنان العرب قال فليأته احدكم فليبلغ له
عني رسالة ويبلغني عنه فاتى حبيش بن اكثم فقال يا محمد بم بعثك ربك
قال بعثني ان اكسر الاوثان قال بما امرك قال ان الله يامر بالعدل
والاحسان الى آخر الاية فانصرف حبيش الى ابيه فاخبره بكلام رسول
الله صلعم وتلا عليه الاية فجعل يرددها ويقول ان هذا لرب كريم يامر
بمحاسن الاخلاق وينهى عن مساويها ثم جمع اليه بني تميم وقام فيهم
خطيبا وعمره اذ ذاك مائة وتسعون سنة وفي ذلك يقول شعر

وان امرءا قد عاش تسعين حجة ... الى مائة لم يسأم العيش جاهل

دين وفي خمس فلم يسئم بها على ان عمره خمس وتسعون سنة وهو الاقرب
ثم قال يا بني تميم لا تحضروني سفيها فان السفيه يوهن من فوقه و
يثبت من دونه اي يهلك ولا خير فيمن لا عقل له ان ابني هذا قد
شاهد هذا الرجل الذي ظهر بمكة وشافهه وهو يأخذ بمحاسن الاخلاق
ويدعو الى توحيد الله وخلع الاوثان وقد عرف ذوو الراي منكم ان
الفضل فيما يدعو اليه وان احق الناس بمعونته لانتم فان كان الذي
يدعو اليه حقا فهو لكم وان كان باطلا كنتم احق من كف وستر وقد
سمعت اسقف نجران يذكره ويرجي ان يكون له فتمنى ابنه محمدا فكونوا

في امره او لا تكونوا آخرًا واتوه طائعين قبل ان تاتوه كارهين
واسمان هذا الذي يدعوا اليه لو لم يكن دينا لكان في اخلاق
العرب حسنا فاطيعوا امري فمن سبق نال ذو من تاخر ندم فقال له
مالك بن نويرة وقال لقد خرقت سنخكم فلا تعرضوا للبلاء فقال
اكتم ويل للشجي من الخلي لهفي على امر لم ادركه ولم يسبقني ثم رحل
الى النبي ص فمات في الطريق وبعث باسلامه مع من اسلم منكما
معه وذكر عن ابن عباس ان هذه الآية ومن يخرج من بيته مهاجرا
الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله نزلت
في اكتم ومن معه من اصحابه وقال قومه خرج مهاجرا ولم يسلم وكان
من افصح خطباء العرب وجمع من كلامه شيء كثير ومما صح من امثاله
على ما رواه ابن دريد عن ابي حاتم قوله يا بني تميم لا يفوتنكم وعظي
ان فاتكم الدهر بي ان مصارع الالباب تحت ظلال الطمع ومن
سلك الجدد امن العثار ولن يعدم الحسود ان يتعب فكره ولا
يجاوز ضره نفسه والسكوت عن الاحمق جوابه ومن امثاله اشبع
جارك واجع نارك يعني لا تدخر شيئا ياكله الفار او يعني بالفار العضل
في الجسد اي لا تسمن وجارك جائع ومن امثاله لا اعرف بما لا اعرف
وسئل ما الحزم قال سوء الظن بالناس واقواله كثيرة وقل ما عرف له
نظم وانك ان سلتني ستهدي يا من صلتي ما شئت منه ابكيا مالك الصلة

قرب الشيء وبلوغه وتستعمل في الاعيان والمعاني ومنه سميت
العطية صلة وقيل فلان متصل بفلان اذا كانت بينهما نسب او
مصاهرة والصلة ههنا يحتمل لوجهين اما المودة وتقوم مقام
العطاء او القرب وتقوم مقام الاتصال وصفر الاناء اذا خلا حتى
يسمع له صفير لخلوه ثم صار متعارفا في كل خال من الانية وغيرها
وقيل صفرت اليد اذا خلت وسمي خلو العروق من الغذاء صفرا وكانت
العرب تزعم ان ذلك حية في البطن تسمى الصفر ففيه جاء في الحديث لا
صفر والمعنى انك لا تتعرض من صلتي لما تخلو منه يد مرادك
متصديا من خلتي لما قرعت من انفي بذلك الصدى المقابلة
مأخوذ من مقابلة الصدى اي الصوت الراجع من الجبل والخلة المودة
اما لانها تخلل النفس اي تتوسطها فان الخلل الفرجة بين الشيئين و
اما لفرط الحاجة اليها يقال خال الله مخاللة فهو خليل وسمي الله تعالى
نبيه ابراهيم خليلا لافتقاره اليه تعالى والقرع صوت ضرب شيء على
شيء والمعنى انك تخطب من مودتي ما لا اصلح له اشكالك فقد قرعوا
عنه وضربت انوفهم دونه اما حقيقة او مجازا كون انهم ردوا لحصل
لهم من الهوان ما يحصل لمن ضرب انفه وخص الانف بالضرب لانه
محل الشمم والكبر مع ان المثل للعرب تخاطب به الخاطب الكفى فتقول
هو الفحل لا يقرع انفه والاصل فحل الابل اذا ضرب وجهه عن الناقة التي

لا يريدون نتاجها منه وتمثل به ابو سفيان بن حرب حين بلغه زواج
النبي ص ابنته ام حبيبة فقال ذاك الفحل لا يقرع انفه

مرسلا خليلته مرتاده   مستعملا عشيقته قواده

خليلتك صاحبة مودتك وحليلتك زوجتك وفي كلام المتنبي
ذم للمرسل لان الخليلة او الحليلة التي هي محل الغيرة على الرجل لا تعا
على مثله حتى تمشي بينه وبين النساء وقوله عشيقتك يحتمل ان زوجته
كانت عشيقته والمرتادة طالبة الكلأ وسمي به الطالب مطلقا واصله
الرود التردد في طلب الشيء برفق وباعتبار الرفق قيل رادت المرأة
في مشيتها فهي رود ورفاد الشيء فانقاد له اي خضع وقود شدد للكثرة
واستعمل فيمن يجمع بين الشخصين حراما لانه اصعب الانقياد وكانت
القوادة في العرب تكنى ام حكيم ولما قال ابن ابي ربيعة في صفة قواده

شعر فاطبها طبة عارفة   تخلط الجد مرارا باللعب
تغلظ القول اذا لانت لها   وتراخي عند سورات الغضب

فقال له ابن ابي عتيق يا ابن اخي ان الناس يحتاجون الى خليفة مثل
قوادتك يسوسهم ويقال في المثل اقود من ظلمة قيل انها كانت امرأة
قالت اذا مت فاحرقوني وشهوا برمادي الكتب بين المتعاشقين فانهم
يجتمعون وقيل انها الظلمة من الليل تستر وتعين على الاجتماع وانشدوا
فالشمس نمامة والليل قواد كاذبا نفسك انك ستنزل عنها الى ما فعلت

يعني انك

يعني انك وعدت نفسك ان تترك الاتصال بهذه المرأة التي هي خليلتك
وتتعوض عنها بحصولي وهذا امر لا يقع فانت كاذب نفسك في الوعد
او وعدت هذه المرتبة التي هي عندك بمنزلة نفسك انك اذا ظفرت
بي تركتها واطلقت سراحها لرغبتها في البعد عنك فهي تسعى في هذا
الامر سعي المجتهد وهذا امر لا يتم فقد كذبتها فيما وعدت والخلف
ما جاء بعد الشيء ومنه سمي الخليفة ويقال بالتحريك للمدح مثل خلف
صالح وبالسكون للذم مثل قوله في خلف كجلد الاجرب ولست
باول ذي همة دعته لما ليس بالنائل هذا البيت للمتنبي وحسن التمثيل به
ههنا لمطابقة المعنى في طلب ما لا يوجد لا سيما ان كان التصحيف اريد
بلام التامل فان ذلك في هذا الموضع يكون عجيبا وكثيرا ما يعتمد اهل
الظرف مثل هذا في كتاباتهم وحيث افضى القول الى ذكر المتنبي
فلا باس بذكر نبذة من اخباره فاما اشعاره فقد ملأت الاقطار
لكني اقتصر منها على ذكر القصيدة التي منها هذا البيت وكذلك اعتمد
في كل ما تمر من شعره في هذه الرسالة وهو احمد بن الحسين بن عبد
الصمد الجعفي ويكنى ابا الطيب ولد بالكوفة سنة ثلث وثلثمائة
وقيل ان اباه كان يسمى عيدان وهو رجل يسقي الماء على جمل له بالكوفة
ونشأ ابو الطيب مشتغلا بالادب راغبا فيه مع فقره واحتياجه و
كان من اذكى الناس واسرعهم حفظا حكي انه جلس يوما بالوراقين في

ايام صبا فاستعرض من احد الدلالين دفترا فيه اكثر من عشرين
ورقة فاطال تامله الى ان قال له الدلال انكنت تريد شراه فعجل
الثمن وانكنت تريد حفظه فهذا يكون في شهر فقال انكنت
حفظته اخذه مني بثمن قال نعم فاسرع فسرده حفظا الى ان اتمه
ووضعه في كمه وانصرف ثم نظم الشعر واسترزق به وطاف البلاد
وكان يقنع من الجائزة باليسير حتى نزل باللاذقية على معاذ بن
اسمعيل فاكرمه واحسن اليه واقام عنده مدة ثم خرج الى بادية السماوة
فنزل بقوم من بني عبس فتنبا وعمل اسجاعا كثيرة وتبعه قوم منهم
وكان سبب ذلك وقايع نادرة منها ان قوما قالوا له ههنا ناقة
صعبة فان ركبتها علمنا انك مرسل فتحيل يوما الى ان ركبها
فنفرت ساعة ثم سكنت وورد الحي وهو راكبها ومنها انه كان
مستخفيا فراح ليلة هو ورجل فنبح عليهما كلب فلما ذهبا قال
للرجل انك ستجد الكلب ميتا اذا رجعت فوجده كذلك وقيل
كان يعرف نوعا من السحر يسمى صدحة المطر وذلك ان الشخص يدير
حوله عصا ويذكر كلاما فينصرف عن موضعه المطر وذكر ان كثيرا من
العرب باليمن من اهل حضرموت والسكون يعرفون هذه الصدحة
حتى ان احدهم يصدح عن ابله وبقره وعن القرية من القرى فلا يصيبها
شيء من المطر ويدل على ان المتنبي كان من السكون قوله

امنسي

امنسي السكون وحضرموتا ... ووالدتي وكندة والسبيعا

مع انه كان يخفي نسبه فاذا سئل عنه قال انا رجل اخبط القبائل ولا
امن ان يكون لاحد ثار في قبيلتي فيقتلني ثم ان بعض الولاة ظفر
بالمتنبي وحبسه فتاب ورجع عما ادعى من النبوة وقيل له يوما على
من تنبات قال على السفلة وقيل له لكل نبي معجزة فما معجزتك قال قولي

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى ... عدوا له ما من صداقته بد

ثم تقلبت به الاحوال ووصل الى سيف الدولة علي بن حمدان بحلب
فاقبل عليه ولحظته السعادة واشتهر ذكره في الافاق ورزق من الحظ
والسعة والشهرة ما لا مزيد عليه ثم اتفق بينه وبين ابن خالويه كلام
بحضرة سيف الدولة فضربه ابن خالويه بمفتاح فخرج غضبانا و
رحل الى مصر فاتصل بمتوليها كافور الاخشيدي وطمع منه بالولايات
فلم يتهيا ما طلبه ففارقه ورحل في البرية الى العراق فاقام بها اياما
وسئل عن ذلك فقال ان بني حمدان كدروا خاطري فجئت ادبجه
ويقال ان هذا من الكلام الموجه في مدح الجهتين وذمهما ثم دخل الى
العجم فمدح عضد الدولة وابن العميد وكسب اموالا جزيلة ورجع فقتل
في الطريق سنة اربع وخمسين وثلثمائة وكان قد انفرد بخصال منها
الكبر الزايد كما ذكر الحاتمي وغيره وهو مما احوجه الى فراق سيف الدولة
ومنها البخل حتى حكي انه اجيز عن قصيدة بعشرة آلاف درهم فوزنها ووضعها

في كيس وختمه ورفعه الى صندوق في خزانته ثم رجع الى مجلسه فوجد
بين الحصير قطعة تكون مقدار ربع فصالحها باظافيره وهو ينشد
قول ابن الخطيم
تبدت لنا كالشمس تحت غمامة   بدا حاجب منها وضنت بحاجب
الى ان اخذها واعاد الكيس ووضعها فيه بحضرة جماعة يعرفون انهم
يذمونه بذلك ومنها اقبال الناس على شعره واشتغالهم به حتى
ترك شعر غيره ووضع لشعره اكثر من اربعين مصنفا وكان اذا سئل
عن معنى من قوله يقول لهم اذهبوا الى ابن جني فانه يقول لكم ما
اردته وما لا اردته ومنها معرفته بلغة العرب وحوشيها حتى حكي
ان ابا علي الفارسي قال له يوما كم لنا في الجموع على وزن فعلى
فقال حجلى وظربى قال ابو علي فطالعت كتب اللغة ثلث ليال على ان
اجد لهذين الجمعين ثالثا فلم اجده وكان يرمى بفساد العقيدة
استخرج من شعره مثل قوله على مذهب السوفسطائية
هونت على بصر ما شق منظره   فانما يقظات العين كالحلم
وقوله على مذهب القائلين بالنفس الناطقة تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم
الا على شجب والخلف في الشجب   فقيل تسلم نفس المرء باقية
وقيل تشرك نفس المرء في العطب   وقوله على مذهب الهونية واصحاب القضا
تبخل ايدينا بارواحنا   على زمان هي من كسبه

فهذه

فهذه الارواح من جوه   وهذه الاجسام من تربه
وغير ذلك من المكفرات ظاهرها المتجه فيها باطنا وعلى الجملة فكان
كثير المحاسن والحساد وله اشعار لم تدخل ديوانه مثل قوله
وتركت مدحي للوصي تعمدا   اذ كان نورا مستطيلا شاملا
واذا استطال الشيء قام بنفسه   وصفات نور الشمس تذهب باطلا
وهو تشيعه ويروى له نثر لطيف مثل قوله وقد مرض بمصر فعاده
بعض اصحابه مرارا ثم انقطع عنه بعدما شفي وصلتني وصلك الله
معتلا وهجرتني مبلا فان رايت ان لا تحبب العلة الي ولا تكدر
الصحة علي فعلت ان شاء الله تعالى فاما القصيدة التي منها البيت الذي
سببه فانه يمدح بها سيف الدولة ابن حمدان ويذكر فيها خلاص بعض
اقاربه من الاسر وهزيمة بعض الخوارج عليه واولها
الام طماعية العاذل   ولا راي في الحب للعاقل
يراد من القلب نسيانكم   وتابى الطباع على الناقل
ولو زلتم ثم لم ابككم   بكيت على حبي الزائل
يعني اني احب الحب لاجلكم   او لاني الفته لطول صحبته فلو زال لبكيته
كان الجفون على مقلتي   ثياب شققن على ثاكل
ولو كنت في اسر غير الهوى   ضمنت ضمان ابي وائل
يعني لو اسرني غير الهوى   لخلصت منه كما خلص ابو وائل

وهو قريب سيف الدولة الذي كان مأسورا في بني كلب عند
الخارجي الذي خرج بهم على سيف الدولة وكان ابو وائل قد ضمن
لهم فدا نفسه من ذهب وخيل واستدعى من سيف الدولة سرًّا
فخرج وهزمهم واستنقذه بغير فدا فذكر ابو الطيب صورة الحال قد
افتدى نفسه بضمان النضار واعطى صدور القناء الذابل

ومنّاهم الخيل مجنوبة | فجئن بكل فتى باسل
كأن خلاص ابي وائل | معاودة القمر الآفل
دعا فسمعت وكم ساكت | على البعد عندك كالقائل
وجيش امام على ناقة | صحيح الامامة في الباطل
فلما بدون لاصحابه | رأت اسدها اكل الآكل
بضرب يعمهم جائر | له فيهم قسمة العادل

يعني بالجور افراطه في قتلهم وبالعدل ثلثة اوجه
احدها انهم مستحقون لذلك لخروجهم والثاني انه اوقع ذلك بمن بالغ
منهم في القتال والثالث ان الضربة كانت تقسم الفارس نصفين

فظل يخضب منها اللحى | فتى لا يعيد على الناصل

قال ابن وكيع يعني ان كل خضاب ينصل الا الخضاب هذه القتلى الذي
هو الدم فانه لا ينصل فيعيده لانهم فارقوا الحياة وما ينصل غير خضاب
الحي وقال بعضهم وهو وجه بعيد الناصل المضروب بالنصل وهو بل

يعني

بمعنى مفعول كقولك فاقر ضارب وعيشة راضية ويريد انه اذا
ضرب انسانا بالنصل لم يبق فيه ما يحتاج الى اعادة ضربة

خذوا ما اتاكم واعذروا | فان الغنيمة في العاجل
يعني ان هذا بدل الفدا ابيتكم به | وان كان اعجبكم عامكم
فعودوا الى حمص في القابل | فان الحسام الخضيب الذي
قتلتم به في يد القاتل | تكت جماجمهم بالقنا
ويجعلن للناخل | وعدت الى حلب ظافرا
كعود الحلي الى العاطل | وكم لك من خبر شائع
له شية الابلق الجائل | فهناك بالنفر معطيه
وايضا سعيك في الاجل | فذي الدار اخون من مومس
واخدع من كفة الحابل | تفانى الرجال على حبها
ولا يحصلون على طائل

ولا تنال منها قلمتك اذ لم تقضن بك وملتك اذ لم تقصر عليك

يعني بغضتك لانها لم تحل بك على من تصحبه دونها والقلى شدة البغض
يقال قلاه يقليه ويقلوه فمن جعله من الواو فهو من القلو اي الرمي يقال
قلت الناقة براكبها قلوا وقلوت بالقلة فكان القلو الذي يقذف
القلب من بغضه فلا يقبله ومن جعله من الياء فمن قليت السويق
وغيره على المقلاة وفي الحديث اخبر تقله والهاء للسكت والقتى البخل

بالشيء النفيس ولهذا قيل علق مضنة ومنه قوله تعالى وما هو على
الغيب بضنين اى بخيل على ما يوحى اليه وقرى بظنين اى متهم
فانما اعذرت فى السفارة لك وما قصرت فى النيابة عنك
يعنى بلغت عذر الاجتهاد فى الصلة بينى وبينك يقال اعذر الانسان
اذا اتى ما صار به معذورا واعذر من انذر والسفارة السعى فى الصلح
وكانها كشف ما غم من الحال بين المتباينين اى سفره ومنه قيل السفر
لانه يكشف الاخلاق والاصل من سفر الصبح اذا اضاء **ذا عثرات المروة**
لفظات معناه المروة كمال المرء كما ان الرجولية تمام الرجل والانسانية
تمام الانسان واللفظ مستعار من لفظ الشيء من الفم اذا طرح ولفظت
الرحى الدقيق والمعنى نقل الكلام وستره وكانه ماخوذ من معاناة المرء
اطلاعه على فحوى الكلام ولاهل البيان والمتكلمين فى تفضيل الالفاظ
والمعانى فصول مستحسنة قال العوصى الفيلسوف الالفاظ من اثر
الحس والمعانى من اثر العقل والحس تابع العقل والطبيعة وقال آخر
ما حكاه ابن رشيق المعنى مثال واللفظة حذو والحذو يتبع المثال فيتغير
بتغيره ويثبت بثباته وقال آخر اللفظ جسم والمعنى روح وارتباطه به
كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته فاذا سلم
المعنى واختل اللفظ كان نقصا للكلام كما يعرض لبعض الاجسام من
العور والعرج وما اشبه ذلك من غير ان تذهب الروح وكذلك ان

ضعف المعنى واجيد لفظه كان للفظ من ذلك اوفر حظ كالذى
يعرض للاجسام من المرض بمرض الارواح ولا نجد معنى يختل الا من
جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب قياسا على ما قدمت من ادواء
الجسوم والارواح فان اختل المعنى كله وفسد بقى اللفظ مواتا لا فائدة
فيه وان كان حسن الطلاوة فى السمع كما ان الميت لم ينقص من شخصه
شيء فى راى العين الا انه ميت لا ينتفع به وكذلك ان اختل اللفظ
جملة وتلاشى لم يصح له معنى لانا لا نجد روحا فى غير جسم البتة
فالانسانية ذات اسم جسم وهيولاه الانسانية تمام الانسان
كما تقدم ومما عربه ابو زرعة البغدادى من كلام ارسطاليس قوله
الانسانية افق والانسان متحرك الى افقه بالطبع دائم على مركزه الا ان
يكون مخلوطا باخلاق بهيمية ومن دفع عصاه عن نفسه وسيب
هواه فى مرعاه وكان لين العريكة لاتباع الشهوات الردية فقد خرج من
افقه وصار ادنى من البهيمة لسوء ايثاره والاسم ما عرف به الشيء واصله
من السمو به دفع ذكر المسمى فعرف وسياتى ذكره عند الفصل بين
الاسم والمسمى والجسم يقال لكل ما له طول وعرض وعمق ولما لا يثبت له
لو كان كالماء والهواء ولا تخرج اجزاء الجسم عن كونها اجزاء وان قطع وجزى
وهو اعم من الجسد لانه لا يقال الا لما له لون والهيولى الذى هى المادة له
للصورة وهى اصل الشيء كالفضة فى الدرهم وكان ارسطاليس يسمى

صاحب الهيولى وذلك ان مذهب الدهرية ان اصل العالم قديم غير
انه لم يك لطينة ولا كان شيء مما نسميه الغرض والحكماء في تحقيقها
كلام طويل لا يسع ذكره قا قطعت انك انفردت بالجمال واستاثرت
بالكمال واستعليت في مراتب الجمال واستوليت على محاسن الخلال
قطعت الامر اذا فصلته من الشك ومنه الدليل القطعي والقطع الفصل
فيما يدرك بالابصار كالاجسام وفيما يدرك بالبصيرة كالامور العقلية
والكمال حصول غايات الغرض في الشيء محسوسا او معقولا وقوله
تعالى ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ليس للاعلام
بان الثلاثة والسبعة عشرة وانما ليبين ان بحصول صيام العشرة
يحصل كمال الصوم القائم مقام الهدي والخلال جمع خلة وهي الطريقة
الحسنة ماخوذة من الخلة وهي الطريق في الرمل وفي قوله استعليت و
استوليت والجلال والخلال انواع من الصناعة اللفظية من تصريع وتجنيس
ما الغرض ذكرها قا قلت ان يوسف عم ما شاك فغضضت منه
يعني باراك بالحسن فانحطته واصل الغض النقصان في الطرف ويستعار
لما سواه وبدا بذكر الحسن فيما سرده من تواريخ ذوي الاوصاف الشريفة
لانه اول ما يعجب المرأة من الرجل ثم ذكر المال والهمم والعلوم ونحو ذلك
والمراد هاهنا يوسف عم وجاء في الحديث عن النبي صلعم ذاك الكريم ابن الكريم
ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ويه يضرب المثل

في الحسن

في الحسن ويستدل على حسنه بكتاب الله تعالى والحديث والآثار ففي
الكتاب قوله تعالى في ذكر امرأة العزيز والنسوة اللاتي لمنها على حبه و
اعتدت لهن متكأ الى آخر الآية قال المفسرون المتكأ النمرق الذي
يتكأ عليه والمتكأ هو الطعام والاصل فيه ان من دعوته ليطعم عندك
فقد اعددت له وسادة فسمي الطعام متكأ على الاستعارة وقيل متكأ
طعام يحتاج الى ان يقطع بالسكين لان الطعام اذا كان كذلك
احتاج الانسان ان يتكئ لاجل القطع وقيل المتكأ الاترج وهو شاذ ذكره
ابو عبيدة وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه قيل عظمنه ورأين كبيرا
مما في انفسهن وقيل حضن والهاء للسكت ومثل انه بمعنى ان وهو
قول شاذ ولا يعرف في اللغة الاكبار بمعنى الحيض الا ان تكون الصغيرة
بالحيض تدخل في معنى الكبيرة ولا في الطب ان المرأة اذا رأت ما هولها
تحيض الا ان تكون حاملا فيحصل لها اسقاط فتحيض والقول الاول
في معنى الاكبار والتعظيم اصح واحسن وقطعن ايديهن كناية عن الدهش
والحيرة اما انها دهشت فكانت تقطع في يدها وهي تظن انها تقطع
في الفاكهة او الطعام واما انها تناولت السكين من موضع النصل وهي
تظنه موضع النصاب فتخرج يدها والالتذاذ بالنظر منعها من وجود
الالم وفي هذا من الكناية عن الحسن ما لا مزيد عليه وقلن حاش لله ما
هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم المقصود اثبات الحسن له لانه تعالى ركب

في الطباع ان لا شيء احسن من الملك وقد عاين ذلك قوم لوط في
ضيف ابراهيم من الملائكة كما ذكر في الطباع ان لا شيء اقبح من الشيطان
ولذلك قوله تعالى في صفة جهنم طلعها كأنه رؤوس الشياطين فكما
تقرر في الطباع ان اقبح الاشياء الشيطان فقد تقرر ان احسن
الاشياء الملك فلما ارادت النسوة وصف يوسف ع بالحسن شبهته
بالملك واما الحديث فقد روي عن النبي صلعم انه قال مررت بيوسف ع
في الليلة التي عرج بي فيها الى السماء فقلت لجبرئيل ع من هذا قال
يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته فقال كالقمر ليلة البدر و
من الآثار قولهم انه كان اذا مشى في ازقة مصر يتلألأ نور وجهه على
الجدران كما يتلألأ نور الشمس من الماء عليها وقولهم انه ورث الحسن
من جدته سارة التي هم الملك باخذها من ابراهيم وداد عليهما و
قصصه مشهورة ويروى انه عاش مائة سنة وتوفي بمصر ودفن
بنهر الفيوم فسبحان الذي احكم صنعته البديعة ومن كلامه قيل له
ما صنع بك اخوتك فقال لا تسألوني عن صنيع اخوتي واسألوني
عن صنيع ربي ودعا لاهل السجن فقال اللهم اعطف عليهم الاخيار
ولا تخف عليهم الاخبار فقال انهم اعرف الناس بما يجد دون الاخبار
في البلدان وانّ امرأة العزيز راتك فسلت عنه امرأة العزيز لتجا
الشغوفة حبا بيوسف صار الحب شغافا لقلبها والشغاف جلدة تحيط

يحيط

تحيط بالقلب وقرئ شعفها بالعين والشعاف اعالي الجبال كان الحب
بلغ اعلى قلبها وما كانت لتسلو عن ذلك الحب الا باضعاف ذلك الحسن
ومن كلامها حين دخلت على يوسف بعد ان ملك مصر واحتاج اليه
سبحان من جعل العبيد ملوكا بالطاعة وجعل الملوك عبيدا بالمعصية
وانّ قارون اصاب بعض ما كنزت قارون هو المذكور في الكتاب
العزيز قال بعض المفسرين اختلف في نسبه فقال ابن عم موسى ع
لان موسى بن عمران ابن قاهث وقارون ابن يصهر بن قاهث و
قيل كان ابن خالته وفي قوله تعالى كان من قوم موسى دليل على ايمانه
وكان من احسن الناس وجها وقرأ التوراة وسمي المنور لحسنه و
قيل انه كان من السبعين المختارة قال الله تعالى وآتيناه من الكنوز الكنز
يطلق على جمع من الاموال سواء كان في باطن الارض او ظاهرها ما انّ
مفاتحه لتنوء بالعصبة اي تنوء بها العصبة اي تتكلف بها النهوض
وهذا من القلب المستعمل في كلام العرب مثل دخل الراس الظل وعرضت
الدابة على الحوض واختلف في المفاتح فقيل مفاتيح ابواب الخزائن وكانت
وقر ستين بغلا وهو قول واه وقيل المفاتح الخزائن نفسها وقد سمي الشيخ
بالاسنة وقيل المفاتح العلم والاحاطة كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب
يعني انه اوتي من الكنوز ما ان حفظه والاطلاع عليه يثقل على العصبة
اولي القوة اي يعجزون عن حسابها وحفظها لكثرة صنوفها قال انما اوتيته

على علم عندي اى على خير وصلاح علمه الله مني وقيل على علم بالمكاسب
والتجارات وقيل علم على الكيميا وكان الزجاج يقول هذا قول لا اصل
له فان الكيميا لا حقيقة لها وهي باطلة فخرج على قومه في زينته قيل
خرج راكب بغلة شهبا بسرج ذهب ومعه سبعمائة وصيفة على بغال
شهب عليهن الحلي والحلل والزينة فكان يفتن بني اسرائيل ثم تجبر
وتكبر حتى اهلكه الله تعالى واختلف في سبب بغيه وهلاكه فقيل
انه كان حسد هارون على الحبورة وذلك ان موسى ع لما قطع
البحر واغرق الله فرعون جعل الحبورة لهارون فحصلت له النبوة
والحبورة وهو القربان يأتي بنو اسرائيل بهداياهم الى هرون
فيضعها في المذبح فتنزل نار فتاكلها فكان لموسى الرسالة فوجد
قارون من ذلك في نفسه قال يا موسى لك الرسالة ولهارون
الحبورة ولست في شيء لا اصبر على هذا فقال موسى ع والله ما صنعت
ذلك لهرون بل جعله الله له فقال والله لا اصدقك ابدا حتى
تأتيني باية فامر موسى ع روسا بني اسرائيل ان يجي كل رجل
منهم بعصاه فجاوا بها فالقاها موسى ع في قبة له كان ذلك بامر الله
تعالى ودعا موسى ان يريهم الله بيان ذلك فباتوا يحرسون عصيهم
فاصبحت عصا هرون تهتز لها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز و
قال موسى ع يا قارون اما ترى صنع الله تعالى لهرون فقال والله ما هذا

باعجب

باعجب مما تصنع من السحر ثم اعتزل بمن معه من بني اسرائيل فكان كثير
المال والتبع فدعا عليه موسى وقيل لما نزلت آية الزكوة على موسى ع
جاء قارون اليه وصالحه على كل الف دينار دينارا والف شاة شاة
وعلى هذا الاسلوب فحسب ذلك فوجده مالا عظيما فجمع قوما من بني
اسرائيل وقال ان موسى يأمركم بكل شيء فتطيعونه وهو الآن يريد
اخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا فمرنا بما شئت فقال علي بفلانة البغي
فاعطاها مائة دينار وامرها ان تقذف موسى بنفسها وجاء الى
موسى فقال ان قومك قد اجتمعوا لامرهم ونهيهم فخرج فقام
فيهم خطيبا فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن زنا
فان كانت له امراة رجمناه فصاح به قارون وان كنت انت قال نعم
قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة البغي فقال علي
بها فجائت فقال لها موسى يا فلانة انا فعلت ما يقول هذا
فقالت لا والله يا نبي الله وانما جعل لي جعلا حتى اقذفك بنفسي
فسجد موسى يبكي ويتضرع فاوحى الله تعالى اليه امر الارض بما شئته
فقال يا ارض خذيه يعني قارون فاخذته حتى غيبت بعضه ثم
لم يزل يقول خذيه وهو يغيب حتى لم يبق من جسده الا القليل وهو
يتضرع الى موسى ويسئله وهو يقول خذيه الى ان غاب قال ابن
الجوزي وهو يناشده الرحم فما رحم واوحى الله الى موسى ما افظك وعزتي

لو استغاث بي لاغثته قيل ولما خسف به قال بعض الجهال
من بني اسرائيل انما اراد موسى اخذ داره وكانت مبنية بالذهب
والفضة فسأل الله فخسف بداره وقيل اراد منزله والعرب تسمى
المنزل دارا هذا قول من زعم ان الواقعة كانت بمصر والنطف
عثر على قفل بما ذكرت الفضل هيهنا بقية الشيء والركز والركاز
دفين مال الجاهلية وفي الحديث في الركاز الخمس والنطف رجل
من العرب اصاب مالا فضرب به المثل واختلف الاقوال فيه فبعض
من لا يعرف حقيقة امره يقول هو رجل كان يسقي الماء على ظهره و
كان ينطف اي يقطر فسمي النطف ووجد جنية من المال فعظم حاله
واستغنى بعد فقره وبعضهم يقول لنطف الرجل التميم كان الفقير
يجد المال الكثير فيقصد اخفائه لئلا يتهم ويظهر عليه والصحيح على ما
ذكر البلاذري في تاريخه انه النطف بن جبير ابن حنظلة اليربوعي
كان مقيما بالبادية مع بني تميم وكان باذان عامل كسرى على اليمن
يحمل ثيابا من ثياب اليمن وذهبا ومسكا وجوهرا ويرسله الى كسرى
مع خفراء من بني الجعد المراديين الى ان تصير الى ارض بني تميم فيبعث
معها هوذة من يجاوزها الى ارض بني تميم فلما كان في بعض السنين
في ارض بني حنظلة تعرض لها بنو يربوع فاغاروا عليها وقتلوا من
بها من العرب والاساورة وكان فيمن فعل ذلك ناجية بن عقاب

والحارث

والحارث بن عيينة والنطف ابن جبير وكانوا فرسان بني تميم ونهبوا
الاموال فحصل النطف على شيء كثير من جملته خرجان مملوءان من
ذهب محلاة بالجواهر النفيسة فاباعهما متفرقة فضرب المثل بما اصاب
وقيل انه فرق على الفقراء من عشية منذ طلعت الشمس الى ان
غاب وفي ذلك يقول بعض ولده

الى النطف المباري الشمس انه عريق في السماحة والمطف

ومات النطف حتف انفه بعد ان جرت بين الفرس والعرب بسببه
حروب عظيمة وكسرى يحمل غاشيتك كسرى سمة للملوك الفرس
وقيصر للروم وخاقان للترك وتبع لحمير والنجاشي للحبشة واختلف
في نسب الفرس على اقوال احدها انه فارس بن سام بن نوح وقيل
فارس بن سام بن نوح وقيل فارس بن زيد ون بن اسحق ع وكان في
العرب من يفتخر بفارس على قحطان والفرس تقول انه فارس بن
كيومرث وكيومرث عندهم آدم ع وانه اول ملك للفرس وكان
منفردا عن العالم وليس في زمانه ظلم ولا فساد وكثر البغي والظلم
واجتمع اليه حكماء زمانه وقالوا ان صلاح هذا العالم في اقامة
ملك يورد الامور ويصدرها كما ان صلاح الجسد بالقلب وان
العالم الصغير من جنس العالم الكبير لا تستقيم اموره الا برئيس يدبره
على ما تقتضيه قضايا العقول وصادروا الى ابن كيومرث فقالوا انت

افضلنا وبقية ابينا آدم ولا بد من تقدّمك علينا وتفويض امورنا
اليك فاخذ عليهم العهود والمواثيق على السمع والطاعة ووضع
التاج على رأسه تبريكاً له وهو اول من لبسه ثم خطب بالسريانية وهي
لسان آدم ويقال لو ترك كل احد من بني آدم لتكلم بالسريانية بالطبع
فتكلم بكلام معناه الشكر والدعاء والمعونة والهداية واقام مدة طويلة
يدبر الملك وتوفى فملك بعده اوشهنج وملوك الفرس تنتسب اليه
وللفرس مبالغات عظيمة في وصف كيومرث ومنهم من يزعم انه
آدم نفسه وانه خلق من الريباس وعاش الف سنة وكسرى يقال
فيه بفتح الكاف وكسرها وجمع جمعين على غير قياس الاكاسرة و
الكسور وذلك ان حد الافاعلة ان يكون جمعا لافعال مثل اسكاف
واساكفة فاما الكسور فانه جمع بتقدير حذف الالف مثل جذع
وجذوع قال الاعشى انه كان ابا الكسور والمراد هنا كسرى انو
شيروان لانه اشهر ملوك الفرس واحسنهم سيرة واخبارا وهو كسرى
انوشيروان ابن قباد بن فيروز وفي ايامه ولد النبي صلعم وقال عم
ولدت في زمن الملك العادل يعني كسرى وكان ملكا جليلا محببا
للرعايا تام التدبير فتح الامصار العظيمة في الشرق واطاعته الملوك
وتزوج ابنة خاقان ملك الترك وقتل مزدك واصحابه وذلك ان
اباه قباد كان قد تابع رجلا زنديقا يسمى مزدك احدث مقالات

في اباحة

في اباحة الفروج والاموال وقال انما الناس فيها سواء وكان لا يسفك الدم
ولا ياكل اللحم وانه دخل يوما على قباد وعنده ام كسرى وكانت من
احسن النساء وعليها حلي عظيم فاعجبته فقال لقباد اني اردت ان انكحها
لان في صلبي نبيا يكون منها فاطاعه قباد لقوله بمقالته فلما هم بذلك
بها وكان كسرى صغيرا فقبل قدميه وتضرع له في ان لا يفعل فوهبها
له فاول ما ولي كسرى بعد موت ابيه قتل مزدك واصحابه فعظم في
عين الفرس واحيى وسلك سيرة اردشير ونظم طبقات مملكته وبنى
المباني المشهورة منها السور العظيم على جبل العظيم عند باب الابواب
واقام عليه الحرس وحسم المادة من فساد من خلفه ومنها المدينة التي
سماها باسم رومية ومنها الايوان العظيم الباقي الذكر وليس هو المبتدي
ببنائه وانما المبتدي له سابور وهو الذي رفعه واتمه واتقنه حتى
صار من عجايب الدنيا وكان انشقاقه مثلا من المعجزات النبوية
وروى ان الرشيد هرون اراد هدمه فاستشار يحيى بن خالد البرمكي
فنهاه وقال في بقائه معجزة باقية فقال الرشيد بل ابيت الا تعصبا للاعاجم
يعني الفرس وامر بهدمه فخرج على هدم شرافة واحدة مال كثير فكف
عنه فقال يحيى ارى الآن ان تهدمه لئلا يتحدث عنك انك عجزت
عن هدم ما بناه غيرك فتغافل عن قوله وتركه وحكى عن بعض رسل
الملوك انه دخل على كسرى فرآى في الايوان اعوجاجا فسأل عنه فقيل انه

بيت لعجوز فقيرة سألها الملك بيعه فامتنعت فارغبها في مال كثير
فلم تفعل فتركها وبنى الايوان على ما هو عليه فقال الرسول هذا
الاعوجاج خير من الاستواء ويروى ان العجوز بعد بناء الايوان
نزلت للملك عن البيت قالت وانما اردت بامتناعي اولا ان يتحدث الناس
بعد ذلك ويكون لك هذه المأثرة الظاهرة ثم صنع كسرى في الايوان
سلسلة عظيمة ذات اجراس وجعل طرفا خارجا عن القبة وامر مناديه
من كان مظلوما فليحرك السلسلة ليعلم به الملك فيزيل ظلامته قال
العسكري وهذا الاصل في قول الناس حرك فلان على فلان السلسلة
اذا وشى به وحكي انه كان جالسا بالايوان واذا بحية قد دنت
من عش حمامة في بعض شرف الايوان لتأكل فراخها فرمى الحية بسهم
او ببندق فقتلها وقال هكذا نفعل بعدو من استجار بنا فلما كان
بعد ايام جاءت الحمامة بحب في منقارها فالقته اليه فاخذه وقال
ازرعوه فزرعوه فنبت ريحانا لم يكن يعرفه فقال نعم ما كافتنا
به الحمامة نسأل الله الذي الهمها ان يلهمنا الاحسان الى رعيته و
الشكر على نعمه وخص كسرى باشياء لم تكن لغيره من الملوك على ما ذكره كثير
من الرواة منها الفيل الابيض لركوبه طوله اثنى عشر ذراعا والقطعة
الياقوت المسماة لسان الثور يضيء بالليل اكثر من السراج والفلهبد
المغني واضلع العود الخراساني على اثني عشر وترا كلما ضرب خرج الا هو

وكان

وكان يعمل له كل يوم مع طعامه مهرين من الخيل وعناق زرقا مسمنة
بالبان النعاج يذبحان بسكين من الذهب ويبخر التنور بالعود و
يسمط ما يسمط من ذلك بالخمر المغلي ويطلى بالمسك والملح ويعلق
في سفود من ذهب وتاوحين من ذهب فاذا نضج حمل فوضع على خوان
من ذهب ويقدم اليه فيأكل اكثره ويتحف بالبقية من احب من
ندمائه ويكسر التنور ويجدد مثله كل يوم واجتمع على بابه سبعون
ملكا وله حكايات حسنة مذكورة في سيره يقال انه وضعها لنفسه
فمنها ان عاملا له على ناحية كتب اليه يعلمه بحصول الريع ويستأذنه
في الزيادة على الرسم فامسك عن اجابته فعاوده العامل في ذلك
فكتب اليه قد كان في تركي اجابتك عن كتابك ما حسبتك تنزجر به
عن تكلف ما لم تؤمر به فاذ قد ابيت الا تماديا في سوء الادب فاقطع
احدى اذنيك واكفف عما ليس من شأنك فقطع العامل اذنه و
سكت عن ذلك الامر ومنها ان رجلا كان يقول على عهده من يشتري
ثلاث كلمات بالف دينار فتطير منه الى ان اتصل بكسرى فاحضره و
سأله عنها فقال ليس في الناس كلهم خير فقال كسرى هذا صحيح ثم ماذا
قال ولا بد منهم فقال صدقت ثم ماذا قال البسهم على قدر ذلك
فقال كسرى قد استوجبت المال فخذه فقال لا حاجة لي به وانما اردت
ان ادري من يشتري الحكمة بالمال ويروى انه اول من جعل الندماء

يفرون بها من مجلسه اذا اراد وذلك انه كان يدرجله فيعرفون انه يريد
قيامهم فينصرفون وتبعه الملوك وكان فيروز يدلك عينيه وكان بهرام
يرفع رأسه الى السماء وكان في الاسلام معوية يقول العزة لله وعبد
الملك يلقي المخصرة من يده وعمر بن عبد العزيز يدعوا وحدث بهذا
الحديث عند بعض البخلاء وسئل ما اماريه فقال اذا قلت يا غلام
هات الطعام ومن كلام كسرى القلوب تحتاج الى اقواتها من الحكمة
كما يحتاج الابدان الى اقواتها من الغذا ووقع في قصته مرافعه ان الملوك
اذا دبرت ملكها بالدعة كانت بمنزلة من يعمر سطح بيته بما ينقضه
من اساسه وكتب باللؤلؤ على مائدة من الذهب ليهنه طعام من اكله
من حله وعاد على ذوي الحاجة من فضله ما اكلته وانت تشتهيه فقد اكلته
وما اكلته وانت لا تشتهيه فقد اكلك وقيل له ما اعظم الكنوز قدرا
وانفعها عند الحاجة اليه فقال معروفا اودعته عند الاحرار وعلم
اورثته الاعقاب وقال احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع

وقيصر دمى ما شئت قيصر سمة لملوك الروم وسموا الروم
لانهم ينتسبون الى روم بن العيص بن اسحق عليه السلام وقيل لانهم ينسبون
الى رومية والاول اصح لان رومية بعد ظهورهم بكثير وكان يقال لها
رماس فلما سكنوها نسبت اليهم فقال ابن الكلبي ولد اسحق تليس
ولد منهم الروم وكان اصفر اللون فقيل لولده بنو الاصفر وقال اغارت

عليهم

عليهم الحبشة فولدن لهم بنات اخذن من بياض الروم وسواد الحبشة فكن
صفرا لعسا فنسبوا اليهن واول من سمي منهم قيصر بن انطرطيس وسمي
قيصر لان امه كانت حاملا به فتعسرت ولادتها فشق بطنها واخرج فكان
يفتخر على الناس بان النساء لم تلده فقيل قيصر وصار هذا اللقب سمة
لملوك الروم بعده وكان جبارا عاتيا وهو اول من جمع مملكة الروم
واليونان وذلك ان اباه انطرطيس لما بلغه ان ملوك اليونان قد
انقرضوا ولم يبق غير امراة وهي قلاد قطرة ارسل اليها يخطبها وكان
قد ملك طرفا من اطراف البلاد ويقول فصدى طرفا
من اطراف البلاد ويقول فصدى ان نصير المملكتين واحدة و
اقرب منك لفضلك وعقلك فعلمت انها مغلوبة معه فاجابته
وقالت تقيم في مكانك الى يوم بعينه فاقام وانكرت في حيلة تقابل
بها عليه فرات ان تهلك نفسها وتهلكه معها ولا تمكن منها فعمدت
الى حية تكون في الرمل تضرب الانسان فيهلك لوقته فجعلتها في اناء
من زجاج وذهبت قصرها وفرشت مجلسها بالرياحين ولبست تاجها
وجلست على سريرها واستدعت به فلما دخل باب القصر اخرجت الحية
فضربتها فماتت وانسابت الحية في رياحين حولها ودخل انطرطس الى
السرير ولم يشك انها في عافية فجلس وعبث في الرياحين فضربته الحية
فمات وكان ابنه مع جيشه فسمع بقوتهما فاستولى على بلاد الروم واليونان

وهو الذي بنا قيسارية الروم وقيل قيسارية الشام واقام في الملك
خمسين سنة ومن طرايف اخباره انه كان اذا اراد ان يستشير احدا من
عقلاء دولته ارسل اليه تفقد سنة ليتوفر ذهنه على الرأي ومن
بعده اختلفت الروم فتقاسموا البلدان والاطراف الى ظهور الاسلام
وقيصر هذا اعظم ملوكهم ومن كلامه ما الحيلة فيما اعيى الا الكف عنه
ولا الرأي فيما لا ينال الا الياس منه **والاسكندر قتل دارا في طاعته**
هو الاسكندر ابن فيلقوس اليوناني واختلف في اصل اليونان فقال
ابن الكلبي هو يونان بن نقيه ونسبه الى اسحق وقال يعقوب الكندي
يونان اخو قحطان من العرب من اولاد عابر خرج من اليمن فنزل ديار
العرب فاقام بها واستعجم لسانه وتكلم بلغة من هناك من الروم وقال
الوقاشي وهو الاشهر يونان بن يافث بن نوح وليس من العرب ولا
من الروم وانما جاور الروم على ساحل البحر الرومي وكان وسيما حسن
العقل كبير الهمة فاقام هناك حتى كثر ولده فخرج يطلب مكانا يسكنه
فانتهى الى مدينة بالغرب يقال لها افينية فبنى بها قصورا واقام و
كثر نسله ولما احتضر اوصى الى ولده الاكبر وصية حسنة ثم مات فاستولى
ولده على بلاد المغرب من ناحية افرنجة والصقالبة ومن جاورهم ولما
دخل بخت نصر على مصر دخل المغرب ووصل الى بلاد اليونان وقرر عليهم
ان يؤدوا الخراج الى ملوك فارس واستقر ذلك الى ايام الاسكندر فاما الاسكندر

فاختلف

في نسبه فقيل هو الاسكندر بن فيلقوس من ولد يونان وهو الاكبر
وقيل هو الاسكندر بن المصعب كان ابوه نساجا واسم امه هيلانة
وكان يتيما في حجرها وسمعت امه بتربيت الصنايع وهو بيت وضعته اليونان
في القسطنطينية وصورت فيه الصنايع لتعرض على الصبيان فما تاقت
نفسه لصنعة اشتغل بها فحملته امه فشاهد صور الاشياء فوضع يده على
تاج الملك فمنعته امه مرارا فلم ينته فنظر اليها متولي بيت الصنايع فقال انت
هيلانة قالت نعم قال وهذا ابنك فقالت نعم فقال لها ابشري فانه الملك
الذي يسحب ذيله على البلاد وهذا قول مردود لبعد ما بين عمره واليونان
ولان القسطنطينية بنيت بعد رفع عيسى ع بزمان وانما انقرضت دولة
اليونان عند ظهور عيسى ع والصحيح انه الاسكندر بن فيلقوس وسمي
ذا القرنين تشبيها بذي القرنين المذكور في الكتاب العزيز لبلوغ ملكه
قرني الشمس من المشرق والمغرب وهو صاحب ارسطاطاليس الحكيم كان
ابوه قد اسلمه اليه فاقام عنده خمسين سنة يتعلم منه الحكمة والادب فنال
منه ما لم ينل احد من تلامذته ومرض ابوه فخاف فاسترده وعهد اليه
واما دارا فهو الاصغر بن دارا الاكبر ابن اردشير احد ملوك الفرس
العظماء المشهورين كانت له قطيعة على ملك الاسكندر في كل سنة الف
بيضة من الذهب في كل بيضة الف مثقال على عادة آبائهم فلما ملك الاسكندر
اخر ارسال القطيعة فارسل اليه دارا يتهدده ويتوعده حيث اخر الاتاوة و

وبعث اليه بكرة وصولجان وخرقة فيها سمسم فقال انت صبي تلعب
بهذه الكرة فان اديت الاتاوة والا بعثت اليك بجنود بعدد هذا
السمسم واتيت بك في وثاق فكتب اليه الاسكندر اما بعد فقد
تيمنت بالكرة والصولجان فان الدنيا مثل الكرة وانا العب بها واضيف
ملكك الى ملكي واما السمسم فقد تيمنت به ايضا فانه بعيد عن الحرافة
والمرارة واما الدجاجة التي كانت تبيض تلك البيض فقد ذبحتها و
اكلت لحمها فغضب دارا وسار اليه بجموعه والتقيا على شفير الجزيرة
فلما هم دارا باللقاء بعث اليه الاسكندر يقول ايها الملك لا تقتل فان
دماء الملوك لا يجوز اراقتها وهدم البيوت القديمة غير محمود والبغي
ذميم العقبى والحرب غير مامونة واصحابك قد ملوك وكرهوا لك السوء
سيرتك فارجع فانك محمود قولي فلم يلتفت دارا واقاما يتحاربان
مدة ثم ان الاسكندر دبر حيلة وهو انه لما وقع القتال بين الفريقين برز
منادي الاسكندر فقال يا معشر الفرس قد علمتم ما كان من كتابكم لنا وما
كتبنا لكم من الامانات وقد طال القتال فمن كان منكم على غير قتال فليعتزل
وله الوفاء بالعهد فاتهمت الفرس بعضها بعضا واضطربوا وكان من
اسباب خذلان دارا ثم وثب على دارا رجلان من اصحابه فقتلاه من
خلفه فوقع وكان الاسكندر نادى من ظفر بدارا فلا يقتله فجاء الرجلان
الى الاسكندر فقالا قد قتلنا دارا فجاء اليه ونزل عن فرسه وقعد عند

راسه

راسه ومسح وجهه فقال والله ما هممت بقتلك ولقد هممت عنه ولقد
بغي علي اصحابك فسلني حوائجك فقال تقتل فلانا وفلانا الذين
قتلاني فاني كنت محسنا لهما وتتزوج ابنتي روشنك فقال سمعا وطاعة
واحضر الرجلين فقتلهما وقال هذا جزاء من يجترئ على ملكه وتفرق ملك
فارس ثم سار الاسكندر الى بابل وحمل على سرير دارا واستولى على خزائنه
وجواهره وسلاحه وتزوج ابنته روشنك وقيل انها كانت زوجة دارا
وهي ابنته ولم يكن في زمنها احسن منها وقيل ان الاسكندر لم يجتمع
بها وكان اخشى ان اكون غلبت دارا او تغلبني روشنك ولما استولى
على ملك فارس عرض جيشه وجيش الفرس فكان الف الف وقيل اكثر
وشرع في هدم بيوت النيران وقتل الموابذة وكتب الى ارسطاطاليس
يستشيره فمن يبقى من عظماء الفرس هذا الكتاب اما فان دوائر الاسباب
ومواقع الفلك وان كانت اسعدتنا بالامور التي اصبح لنا بها الناس
دائنين فانا مضطرون الى حكمتك غير جاحدين فضلك والاحتياج
لرايك لما بلونا من جدا ذلك علينا وذقنا من جني منفعته حتى صار ذلك
بنجوعه فينا وترسخه لعقولنا كالغذاء لنا فما ننفك نعول عليه و
نستمد منه استمداد الجداول من البحار وتعويل الاشكال بالاشكال و
كان مما سبق الينا من النصر وبلغناه من النكاية في العدو ما يعجز عن
وصفه والشكر على الانعام به وكان من ذلك انا جاوزنا ارض الجزيرة وبا

الى ارض فارس فلما تم لنا باهلها المركين الا ريثما تلقنا ان نقر ان منهم
يقتل ملكهم طلبا للحظوة عندنا فامرنا بصلبهما النجي بهما وقلة
وفائهما ثم امرنا بجمع من هنالك من ابناء ملوكهم وذوي الشرف منهم
فراينا رجالا عظيمة اجسامهم واحلامهم يدل ما ظهر من روائهم
ورواه من قوة باسهم ما لم يكن معه سبيل الى غلبتهم لولا ان القضاء
اداله لنا منهم ولم نر بعيدا من الراي ان نستاصل شافتهم ونلحقهم
بمن مضى من اسلافهم لتسكن بذلك القلوب الى الامن من جرايرهم
ورأينا ان لا نعجل ببادرة الراي بقتلهم دون الاستظهار بمشورتك
فيهم فارفع لنا رايك فيما استشرناك بعد صحته عندك وتقليبه على
نظرك على مادة آرائك المسعفة وسلام اهل السلام فليكن علينا و
عليك فكتب اليه ارسطاليس الى الاسكندر المؤيد المهدي له
الظفر من اصغر خوله ارسطاليس اما بعد فقد تقرر عندي من
مقدمات فضل الملك وبين نقيبته وبرور شأوه ما ادت الى حاسة
بصري صورة شخصه ووقع في فكري على تعقب زاير ايام كنت اؤدي له
من تعليمي اياه ما اصبحت قاضيا على نفسي بالحاجة الى تعلمه منه وقد ورد
كتاب الملك بما رسم لي فيه وانا فيما اشير به على الملك حد الطاقة معه
كالعدم مع الوجود ولكن غير ممتنع من اجابته فاقول ان لكل تربة لا
محالة قسما من كل فضيلة وان لفارس قسمها من النجدة والقوة وانك

ان تقتل

ان تقتل اشرافهم تخلف الوضعاء منهم وترث سفلتهم منازل عليتهم و
تغلب ادنياؤهم على منازل ذوي اخطارهم ولم تبتل الملوك ببلاء قط هو
اعظم عليهم من غلبة السفلة وذل الوجوه واجد الحذر كله ان تمكن تلك الطبقة
من العلية فان نجم منهم ناجم على جندك واهل بلادك دهمهم بما لا روية
ولا منفعة معه فانصرف عن هذا الراي الى غيره واعمد الى من قبلك
من العظماء والاحرار فوزع بينهم مملكتهم والزم اسم الملك كل من وليته
منهم ناحية واعقد التاج على راسه وان صغر ملكه فان المسمى بالملك
لازم لاسمه والمعقود بالتاج لا يخضع لغيره ولا ينشب ذلك ان
يوقع بين كل ملك منهم وبين صاحبه تدابرا وتغالبا على الملك وتفاخرا
بالمال حتى ينسوا بذلك اضغانهم عليك ويعود حربهم لك حربا
بينهم ثم لا يزدادوا في ذلك ببصيرة الا احدثوا لك استقامة فان
دنوت منهم كانوا لك وان نأيت عنهم تعززوا بك حتى يثب كل منهم
على جاره بك وفي ذلك شاغل لهم عنك وامان لاحداثهم بعدك ولا
امان للدهر وقد اديت للملك ما رايته لي حظا وعلي حقا والملك اعلى
عينا وابعد روية فيما استعان بي عليه والسلام الابدي فليكن على الملك
فلما ورد كتاب ارسطاطاليس على الاسكندر تامله وعرف الحق ورزق
في العمل بما ذكر فسمي ملوك الطوايف وسار الاسكندر الى الشرق
فدانت له الملوك وبنى مدينة اصبهان وهراة وسمرقند ولما وصل

الى الهند وخرج اليه ملكها فى الف فيل عليها المقاتلة وفى خراطيمها السيوف
الهندية فلم تثبت خيل الاسكندر فصنع الاسكندر فيلة من نحاس
مجوفة وربط خيله فى قربها منها حتى الفتها وملأها نفطا وكبريتا
ثم البسها السلاح وجرها على العجل الى ناحية العدو وبينها الرجال
فلما نشبت الحرب امر باشعال النار فى اجوافها فلما اشتعلت
تنحى الرجال عنها وغشيتها فيلة الهند فضربتها بخراطيمها فاحترقت
وولت هاربة فكانت الدبرة على ملك الهند ولما وصل الاسكندر
الى الماكين وهو من ملوك الصين خرج اليه الملك وارسل اليه
يقول علام تفنى العالم ابرز الى فان قتلتنى كنت الملك وان
قتلتك كنت انا الملك فتيمن الاسكندر بكونه بدأ بنفسه فى ذكر
القتل وبرز اليه فقتله الاسكندر ثم توغل فى بلاد ملك الصين
الاكبر فبينما هو فى بعض الليالى جالس نصف الليل اذا بالحاجب
قد دخل فقال رسول من ملك الصين بالباب فاذن له فدخل
فقال له قل فقال الامر الذى جئت فيه لا يحتمل الا الخلوة فامر
بتفتيشه فلم يجد معه حديدا فاخلى المجلس وبقى هو واياه فقال
له قل فقال انا ملك الصين فقال وما الذى امنك منى قال ليس
بينى وبينك عداوة ولا دخل وبلغنى انك رجل عاقل حكيم ولو قتلتنى
لم تظفر بطائل منى فانهم يقيمون غيرى وتنسب الى الغدر فاخبرنى

ما الذى

ما الذى تريد منى قال ارتفاع مملكتك ثلث سنين عاجلا ونصف
ارتفاعها اجلا قال لقد اجحفت فما زال ينقص حتى اقتصر على
سدس الارتفاع ثم قام مسرعا فخرج وبات الاسكندر يفكر فى امره
فلما طلع الصباح اذا ملك الصين قد اقبل فى جيش طبق الارض و
عليه تاج وبين يديه الامم فركب الاسكندر واستعد للقتال ثم
ناداه يا ملك الصين اغدرا فانفرد عن اصحابه فقال لا ولكنى اردت
ان اعرفك انى لم اطعك عن قلة وضعف وما غاب عنك من
جنودى اكثر ولكن رأيت العالم الكبير مقبلا عليك ممكنا لك ممن هو
اقوى منك واكثر عددا ومن حارب العالم الكبير غلب ثم ترجل وقبل
الارض فنزل الاسكندر عن فرسه وجلسا على ترب فقال له الاسكندر
ليس مثلك من يؤخذ منه خراج وقد اعفيتك فقال الملك اما اذ
فعلت فلا بد من حسن المكافاة ثم بعث اليه بضعف ما قرره عليه و
عاد الاسكندر وقد دانت له الملوك ودوخ البلاد فاقام بشهرزور
اياما واحتضر بها وكان مدة ملكه ستة عشر سنة واختلف فى سنيه
فقيل ست وثلثون وقيل اكثر وبين وفاته وبين الهجرة ستمائة سنة
وقيل غير ذلك ولما حضرته الوفاة كتب الى امه كتابا يسليها فيه ان
تصنع وليمة وتدعو نساء اهل المملكة ولا تاذن الا لمن لم تصب
بفقد عزيز من اهلها ففعلت ذلك فلم يدخل عليها احد فعلمت انه

مات وان ذلك تعزية لها ثم اوصى ان يوضع فى تابوت من ذهب ويطلى
بالاطلية الممسكة ويحمل الى امه بالاسكندرية فلما فصل ذلك جمع ارسطاطاليس
الحكماء وامرهم بكلام يكون للخاصة معزيا وللعامة واعظا كما فعل بالاسكندر
الاول وكانوا عشرة فقال الاول اصبح مستاسر الاسراء اسيرا وقال الثاني
هذا الاسكندر يطوى الارض العريضة وهو اليوم يطوى مِنّا فى ذراعين
وقال الثالث العجب ان القوى قد غلب والضعفاء الاهون وقال
الرابع ما سافر الاسكندر سفرا بلا آلة سوى سفره هذا وقال الخامس
سيلحق بك من سره موتك كالحقت بمن سرك موته وقال السادس كان يحكم
على الرعية فصارت الرعية تحكم عليه وقال السابع كنت تامرنا بالحركة فما
لك ساكنا وقال الثامن رب حريص على سكوتك هو اليوم حريص على
كلامك وقال التاسع كم امات من في هذا الصندوق لئلا يموت ثم مات
وقال العاشر كان الاسكندر يعظنا بنطقه وهو اليوم يعظنا بسكوته
وقالت امه ما يسلّي عنه المعرفة باللحوق به وقالت روشنك ما شككت ما
كنت اظن ان غالب دارا يغلب من كلام الاسكندر السعيد من لا نعرفنا ولا
نعرفه فانا اذا عرفناه اطلنا يومنا واطرنا نومنا فقيل له انك تعظم معلمك
اكثر من تعظيم والدك فقال لان ابى سبب حيوتى الفانية ومعلمي سبب
حيوتى الباقية وقال سلطان العقل على باطن سلطان العاقل اشد من
سلطان السيف على ظاهر الاحمق وقال النظر في المرآة يرى رسم الوجه وفى

اقاويل

اقاويل الحكماء يرى رسم النفس وقيل له ان فلانا يثلبك فان عاقبته قال
هو بعد العقاب عذر فتحاكم اليه اثنان فقال الحكم يرضى احدكما
ويسخط الآخر فاستعمل الصدق يرضيكما جميعا واحضر بين يديه لص
فامر بصلبه فقال ايها الملك انى فعلت ما فعلت وانا كاره
فقال تصلب ايضا وانت كاره وغضب على بعض شعراء ثم فاقصاه
وفرق ماله فى اصحابه فقيل له فى ذلك فقال اما اقصائى له فلجرمه
واما تفريقى ماله فى اصحابه فلئلا يشفعوا فيه وجلس يوما مجلسا
عاما فلم يسئل فيه حاجة فقال والله ما اعد هذا اليوم من ملكى
قيل ولم ايها الملك قيل لانه لا توجد لذة الملك الا باسعاف الراغبين
واغاثة الملهوفين ومكافات المحسنين وقال من انتجعك فقد اسلفك
حسن الظن بك وارد شير جامع الملوك الطوايف بعد تفرقهم من
جماعتك اردشير بن بابك من ولد بهمن الملك ابن دارا الاكبر و
كان بهمن قد تزوج ابنته جمانى على عادتهم فحملت منه بدارا الاكبر وسالته
ان يعقد التاج على بطنها الولدها ففعل وكان له ولد يسمى ساسان
من امراة اخرى فلما مات بهمن تنسك ساسان وساح فى الجبال وعمد
الى رعية اتخذ من ملك عمه فليقتل من قدر عليه من نسل دارا وكان
اردشير هذا من ولد ساسان على ما ذكر بعض الرواة فهو ول الفرس
الثانية ومعنى الثانية ان الاسكندر لما قتل دارا آخر ملوك الفرس

وفرق من بقي منهم وسماهم ملوك الطوايف فصارت المملكة لليونانيين
فلما توفي الاسكندر وتقاصر ملك اليونان بعد مدة تحرك اردشير
هذا وكان احد ابناء ملوك الطوايف على اصطخر وخرج طالبا للملك
واوهم انه يطلب بثار ابن عمه دارا وجمع الجموع وكاتب ملوك الطوايف
بكتاب طويل اوله من اردشير بن بابك المستاثر دونه المغلوب
على تراث آبائه الداعي الى الله المستنصر به فانه وعد المظلوم الظفر والعاقبة
سلام عليكم بقدر ما تستوجبون من معرفة الحق وانكار الباطل ثم
ذكر كلاما طويلا معناه الحث على المعاونة فمنهم من اطاعه ومنهم من
تاخر عنه فخرج بعساكره فقتل المتاخر ثم عطف على بقيتهم فقتله وقا
لما عمد به حتى ساسان الى جنبه ورزقه الله تعالى النصر والظفر وقتل
ملك الاردوان مبارزة ووطي راسه بقدميه وتسمى من ذلك اليوم
شاهنشاه الاعظم ومعناه ملك الملوك ثم قام خطيبا فقال الحمد لله
الذي خصنا بنعمه وذخر لنا من عطاياه ومهد لنا البلاد وها نحن
ساعون في اقامة العدل واعداد الفضل والاقبال على الأمة والرعية
وانصاف الضعيف من القوي وسترون في ايامنا ما يصدق قولنا
بفعلنا ثم ساس الرعية ورتب الممالك وبه اقتدى الخلفاء والملوك
من بعده فانه رتب الناس على طبقات الاولى الحكماء والفضلاء وكان
يجلسهم عن يمينه وهم بطانته والطبقة الثانية الملوك وابناؤهم و

سماهم

وسماهم الخواص ويجلسهم عن يساره والطبقة الثالثة الاصبهبذية
والمرازبة وهم بين يديه ولم يكن فيهم وضيع ولا دني الاصل ثم
زادهم طبقات اخرى من الوزراء والقضاة ورتب لكل ربع من
ارباع الدنيا قوما ينفذون تدبيره وتحريره ودانت له الدنيا
وتمكن من الارض وكان من الشجعان المشهورين في الفرس يلقي وحده
رجالا كثيرة ويشبه في قوته وشكله باردشير الاول الذي كان يدعى
طويل الباع وفي ايامه بنيت المدن المشهورة كالابلة والاستراباد
وكرخ ميسان وغيرها ووضع له النرد تنبيها على انه لا حيلة للانسان
مع القضاء والقدر وهو اول من لعب به فقيل نردشير وقيل انه
هو الذي وضعه وشبهه بتقلب الدنيا باهلها فجعل بيوت النرد
اثنا عشر بيتا بعدد شهور السنة وعدد كلابها ثلثون بعدد ايام
الشهر وجعل الفصين مثالا للقضاء والقدر وتقلبها باهل الدنيا
وان الانسان يلعب فيبلغ باسعاف القدر ما يريده وان اللاعب الفطن
ما يتاتى له ما يتاتى لغيره اذا اسعفه القدر فعارضهم الهند بالشطرنج
واقام في الملك خمس عشرة سنة ثم فوضه الى ابنه سابور وانقطع في
بيوت العبادات ثلاث سنين الى ان توفي بعد مولد العيسى ٤
ومن كلامه الدين اساس والملك حارس وما لم يكن له اساس فمهدوم وما لم يكن
له حارس فضايع وقال لا شي اضر على الملك او الرئيس من معاشرة

وضيع ادمة فاة سفيه وذلك لان النفس كما تصلح بمعاشرة الشريف
فكذا تفسد بمخالطة السفيه حتى يقدح ذلك فيها كما ان الريح اذا مرت
بالطيب حملت منه رائحة طيبة تنعش النفوس وتقوى بها الجوارح
فكذا اذا مرت بالنتن حملت منه الم النفوس واضرت بها وكان
الفساد اليها اسرع من الصلاح وقال ان للاذان مجة وللقلوب
مللا ففرقوا بين الحكمتين يكون ذلك استجماما وكتب اليه جماعة
من بطانته يشكون سوء حالهم فوقع ما انصفكم من احوجكم الى
الشكوى يعني نفسه ثم فرق فيهم مالا وكتب اليه متنصح ان قوما
اجتمعوا على سبك فوقع عليها الذين كانوا نطقوا بالسنة شتى لقد
جمعت ما قالوه في ورقتك فرجحت اعجبت لسانك اكذب

والضحاك استدعى منا لملك

اختلف في نسب الضحاك فقال
قوم هو الضحاك ابن الاهبوب ابن اعوج ابن طهمورث بن آدم و منه
بعد طوفان وهو ابن اخت جمشيد بن اونجهم ملك الاقاليم وقال
قوم هو الضحاك ابن علوان اول الفراعنة وهو الذي ولى اخاه سنان
مصر على عهد ابراهيم الخليل ع وقال قوم هو من العرب من قحطان و
اليمانية تدعيه وفي ذلك يقول ابو نواس وكان منا الضحاك يعبده
الجابل والوحش في مساربها والقول الاول اكثر وكان من سيرته ان
جمشيد وهناه سيد الشعاع ملك الاقاليم السبعة وهو اول من عمل السلاح

واستخرج

واستخرج الابريشم والقز والزم اهل الفساد في الاعمال الشاقة في قلع الصخور
واستخراج المعادن وطال عمره وتجبر وادعى الربوبية فخرج عليه الضحاك
هذا وتبعه خلق كثير لبغضهم في جمشيد فهرب جمشيد بين يديه
فظفر به وامر بنشره بمنشار وقال ان كنت الها فادفع عن نفسك ثم ملك
الضحاك وطغى وتجبر وتجبر ودان بدين البراهمة وهو اول من فصل د
ضرب الدنانير والدراهم ولبس التاج ووضع العشور وكان على
كتفيه سلعتان يحركهما اذا شاء وادعى انهما حيتان يهول بهما على
الضعفاء وذكر انهما يضربان عليه فلا يسكنان حتى يطليهما بدماغي
انسانين يذبحان له في كل يوم وكان له وزير فكان يستحيي احدهما و
يضع مكان دماغه دماغ كبش ويامر الرجل باللحوق بالجبال والبراري و
الامصار فيقال ان الاكراد من تلك القوم لكردهم الى الجبال ثم كثر فساد
الضحاك وطالت مدته فاجتمع الناس على افريدون بن جمشيد وكان
قد ترعرع فاستعد لقتال الضحاك وكان باصبهان رجل حداد يقال
له كابي قتل له الضحاك ولدين فاجتمع عليه خلق كثير وكان له قطعة جلد
يتقي بها حر النار فرفعها على رمح وجعلها علما وسار الى الضحاك و
الناس معه فخرج اليه فلما راى ذلك العلم القى الله تعالى في قلبه الرعب
فانهزم واراد الناس ان يملكوا كابي فقال لست من بيت الملك فملكوا
افريدون بن جمشيد وصار كابي عونا له وقتل الضحاك وقيل مات منهزما

وعظم علم كابي ووضعته الملوك بالدرر واليواقيت وكانوا يقدمونه
امام الجيوش فينصرون به وكان عندهم كالتابوت في بني اسرائيل
ويعرف هذا العلم بدرفش كابيان ولم يزل في خزائنهم يتوارثونه
الى ان يزدجرد بن شهريار فاخذه المسلمون في وقعة القادسية
وحمل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقسم جوهره في الناس ومما اتفق
من الحكايات المستطرفة في ايام الضحاك انه لما طالت مدته وفساده
اجتمع الناس الى بابه وكابي معهم فلما دخل وكان جريا فقال له السلام
عليك قال سلام من يملك الاقاليم كلها ام سلام من يملك هذا
الاقليم قال بل سلام من يملك الاقاليم كلها قال فاذ كنت تملك
الاقاليم كلها فلم خصصت الاقليم بنوائبك ومؤنتك وهلا انقلت
الى الاقاليم وواسيت بينه وبينهم ثم عدد عليه اشياء وصدقه الضحاك
ووعد الناس بما يحبون وانصرفوا وكانت له ام جبارة سمعت ما جرى
فلما خرجوا انكرت عليه وقالت لقد جرأتهم عليك هلا قتلتهم فقال
لها مع عتوه وتجبره ان القوم بدهوني بالحق فلما هممت بالسطو بهم
وقف الحق بيني وبينهم كالجبل فحال بيني وبين ما اردت ثم كان بعد ذلك
من امره مع كابي ما كان **وجذيمة الابرش تمنى منادمته**
هو جذيمة بن مالك ابن عامر التنوخي وقيل الازدي اول من قاد العرب
وملك على قضاعة وكانت منازله الحيرة والانبار وولايته من قبل اردشير

بابك

بابك وكان ابرص فعدل عن هذا الاسم فقيل الابرش والوضاح و
زعم بعضهم انه كان لا يأنف من اسم البرص ولذلك كني عنه بالابرش
وفي العرب من يفتخر بذلك قال الراجز يمدح

ابرص فياض اليدين اكلف والبرص اندى باللها واعرف

وهو اول من رفع الشمع واوقد من الملوك وكان ذا رأي وحزم ونيه وسطو
ويقال له نديم الفرقدين كان اذا شرب قدحا صب لهما قدحين ولا ينادم
غيرهما وسبب ذلك فيما زعموا انه كان قد تكهن واتخذ صنمين يقال
الضيزنان يستسقى بهما ويستنصر على اعدائه وكانت اياد قد خرج منهم قوم
من الحجاز وانتشروا فيما بين البصرة والكوفة وتمكنوا على ما يلي الحيرة
وكثروا وبغوا فبلغ فخرج جذيمة غازيا وكان في اياد رجل يقال له عدي
بن نصر وكان له ظرف وجمال واليه ينسب الملوك من آل نصر فنزل
جذيمة بساحتهم فبعثت اياد قوما منهم الى صنمي جذيمة فسقوا سدنتهما
الخمر وسرقوهما فاصبحا بهما في اياد فبعثت اياد الى جذيمة تقول
ان صنميك قد اصبحا عندنا زهدا فيك ورغبة فينا فان عاهدتنا
ان لا تغزونا رددناهما اليك فقال جذيمة وتعطوني ايضا عدي بن
نصر يكون عندي ففعلوا وانصرف عنهم وضم عديا الى نفسه وولاه
شرابه وامر مجلسه وكانت لجذيمة اخت تسمى رقاش بكر فاحبت عديا
واحبها فسألته ان يخطبها من جذيمة اذا سكر ففعل ذلك وزوجه بها و

وشهد عليه من حضر فلما اصبح دخل عليه بثياب العرس وكان
قد دخل بها تلك الليلة فقال جذيمة ما هذه الآثار يا عدي قال
آثار العرس رقاش قال من زوجها ويحك قال الملك فاكب على الارض
مفكراً وهرب عدي فلم يعرف له اثر وارسل جذيمة الى اخته يقول

حدثيني وانت لا تكذبيني   أبحر زنيت ام بهجين

ام بعبد فانت اهل لعبد   ام بدون فانت اهل لدون

قالت بل انت زوجتني امرأً عربيا ولم تستأذني في نفسي فكف عنها
والان لا ينام الا الفرقدين فحملت رقاش فولدت غلاما وسمته عمرا
فلما ترعرع البسته وعطرته وحملته على خاله فلما رآه احبه وجعله
مع ولده وخرج جذيمة متبديا باهله في سنة خصبة فاقام في روضة
ذات زهر فخرج ولده وعمرو معهم يجتنون الكماة فكانوا اذا اصابوا
كماة جيدة اكلوها واذا اصابها عمرو خباها وانصرفوا الى جذيمة
يتعادون وعمرو يقول هذا جناي وخياره فيه وكل جان يده الى فيه
فضمه جذيمة الى صدره وحلاه بطوق فكان اول عربي لبس الطوق
ثم ان الجن استطارته فطلبه جذيمة في الآفاق زمانا فلم يقدر عليه ثم
اقبل رجلان من قضاعة يقال لهما مالك وعقيل ابنا فارج من الشام يريد
ان جذيمة واهديا له طرفا فبينما هما نازلان اذ اقبل فتى عريان قد تلبد
شعره فسألاه عن نسبه فعرفهما نفسه فنهضا وغسلا راسه واصلحا امره و

البساه

والبساه ثيابا فقالا ما كنا لنهدي لجذيمة انفس من ابن اخته وخرجا به
الى جذيمة فسر به ورأى الطوق فقال شب عمرو عن الطوق فذهبت
مثلا وقال لمالك وعقيل احتكما فقالا منادمتك ما بقينا وبقيت
فكانا من ذلك ندماني جذيمة اللذين يضرب بهما المثل واياهما
عنى متمم بن نويرة بقوله في رثا اخيه

وكنا كندماني جذيمة حقبة   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

وقيل انما عنى الفرقدين ويحكى ان جذيمة سكر مرة اخرى فقتلهما فلما
اصبح ندم وبنى عليهما الغريين وقيل ان صاحب الغريين المنذر الاكبر
ثم ان جذيمة ارسل يخطب الزبا ملكة الحضر الحاجز بين الروم والفرس وكان
لها وتر عنده فاجابته فاستخفته اليها فاستشار اصحابه فاشاروا
عليه بالمضي وخالفهم قصير بن سعد وكان لبيبا وقال ان النساء يهدين
الى الازواج فعصاه وسار حتى اذا كان ببقة استشارهم
فاشاروا عليه بما يميلون من رايه فيها فقال قصير انصرف ودمك في
وجهك فابى فظعن جذيمة حتى اذا عاين الكتائب قال لقصير ما الراي
قال تركت الراي ببقة ثم ركب قصير فرسا لجذيمة يسمى العصا واخذ
جذيمة فلما دخل على الزبا امرت براهشيه فقطعت والرواهش عروق
اليد واستنزفته حتى مات فجنى طويل شهور وكان مدة ملكه ستين سنة
ومن شعره   اضحى جذيمة في يبرين منزلة   قد حاز ما جمعت من قبله عاد

مستعمل الجزية لا يبقى زيادتر في كل يوم واهل الجزيرة داد وشيرين
نافست بوران فيك شيرين زوجة ابرويز ابن هرمز
من ولد كسرى انوشروان كانت يتيمة في حجر رجل من اشراف المدائن
وكان ابرويز صغيرا يدخل منزل ذلك الرجل فيلاعب شيرين و
تلاعبه فاخذت من قلبه موضعا ونفاها ذلك الرجل عنه فلم تنته
ودها وقد اخذت من ابرويز في بعض الايام خاتما فقال لبعض خواصه
اذهب بها الى دجلة فغرقها فاخذها ومضى فقالت له ما الذي
ينفعك من تغريقي فقال قد حلفت لمولاي فقالت اقذفني في
مكان دقيق فان نجوت لم اظهر وتربت بينك فغطل وتوارت
في الماء حتى غاب وصعدت الى دير وترهبت فيه فاحسن اليها الرهبان
فلما انفرد الملك لابرويز بعد ابيه هرمز مر بذلك الدير وسل فقيل له
ابرويز قد دفعت الخاتم الى ديسهم وقالت ابعث به الى ابرويز ليحفظ
عنده فارسله وعرفه مكان شيرين فسر بها واعطيها وارسل اليها
فاحضرها وكانت من اجمل النساء واظرفهن ففوض اليها امره وجهز نساءه
وجواريه وعاهدها ان لا يمكن منها احدا بعده وبنى لها القصر المعروف
بقصر شيرين بالعراق فلما قتل شيرويه اباه ابرويز اداها على نفسها
فامتنعت فضيق عليها واستاصلها ورماها بالزنا وهددها بالقتل
ان لم تفعل فقالت افعل على ثلث شرايط قال ما هي قالت تسلم لي قتلة زوجي

اقتلهم

اقتلهم فتصعد المنبر فتبرئني مما قذفتني به وتفتح لي ناووس ابيك فان له
عندي وديعة عاهدني ان تدفعها اليه ودفعتها عليه فدفع لها فقتلهم
ابيه فقتلهم وبراها مما قال وفتح لها ناووس ابيه وبعث الخدم معها
فجاءت الى ابرويز فعانقته ومصت فصا مسموما كان معها فماتت
من وقتها وابطات على الخدم فصاحوا فلم تكلمهم فدخلوا فوجدوها
معانقة لابرويز ميتة واما بوران فهي ابنة ابرويز المذكور كانت من
احسن نساء بين الترك والفرس من النساء وملكت الناس بعد شهريار
ابن ابرويز واصلحت القناطير والجسور ولما جلست على السرير قالت
ليس ببطش الرجال تدوخ البلاد ولا بمكايدهم ينال الظفر وانما ذلك
بعون الله وقد دبروا واقامت سبعة اشهر ولما بلغ النبي صلعم امرها قال لا
يفلح قوم ولوا امرهم امراة ويقال ان فيروز ابن رستم صاحب خراسان
خطبها فقالت لا ينبغي للملكة ان تتزوج علانية ووعدته ان يقدم عليها
سرا في ليلة عينتها له فجاءها في تلك الليلة فقتلته فثار اليها ابن رستم
فقتلها وقيل ان هذه الواقعة كانت مع ازرمي دخت وبلقيس
غايرت الزبا عليك بلقيس ابنة الحارث ابن سبا ويلقب ابوها
بالهدهاد وقيل بنت الشيصبان ملكة بلاد سبا المذكورة في الكتاب
العزيز وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال سئل رسول الله صلعم عن سبا
ارجل هو ام امراة ام هو ارض فقال رسول الله صلعم بل رجل ولد عشرة سكن

منهم اليمن ستة والشام اربعة فاليمانون مذحج وكندة والانمار والازد
والاشعريون وحمير واما الشاميون فلخم وجذام وعاملة وغسان
وكانت بلقيس من احسن نساء العالمين ويقال ان احد ابويها كان
جنيا وقال ابن الكلبي كان ابوها من عظماء الملوك وولد ملوك
اليمن كلها وكان يقول ليس في ملوك اليمن من هو كفؤ لي فتزوج امرأة
من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس وتسمى
بلقمة ويقال ان مؤخر قدميها كان مثل حافر الدابة ولذلك اتخذ
سليمان عليه السلام الصرح الممرد من القوارير وكان بيتا من زجاج يخيل للرائي
انه ماء يضطرب فلما رأته كشفت عن ساقيها فلم ير عليهما شعر خفيف
ولذلك امر باحضار عرشها ليختبر عقلها ثم اسلمت وعزم سليمان عليه السلام على
تزوجها فامر الشياطين فاتخذ الحمام والنورة وهو اول من اتخذ
ذلك وطلوا بالنورة ساقيها فصارا كالفضة وتزوجها وارادت
مسيرها الى ملكها ففعل ذلك وامر الشياطين فبنوا لها باليمن الحصون
التي لم ير مثلها وهي غمدان وبينون وغيرهما وابقاها على ملكها
وكان يزورها في كل شهر مرة من الشام على البساط والريح وبقي ملكها
الى ان توفي فزال بموته واما الزباء فهي ابنة مليح ابن البراء كان ابوها ملكا
على الحضر وهو الذي ذكره عدي بن زيد بقوله

واخو الحضر اذ بناه واذ دجلة تجبى اليه والخابور

فقتله

فقتلها جذيمة الابرش وطرد الزباء الى الشام فلحقت بالروم وكانت عربية
اللسان كثيرة الهمة قال ابن الكلبي وما رأى في زمانها نساء اجمل منها
وكان اسمها فارعة وكان لها شعر اذا مشت سحبته وراءها واذا نشرته
جللها فسميت الزباء وبلغت من همتها ان جمعت الرجال وبذلت
الاموال وعادت الى ديار ابيها ومملكته فازالت جذيمة عنها وبنت على
الفرات مدينتين متقابلتين وجعلت بينهما انفاقا تحت الارض و
تحصنت وكانت قد اعتزلت الرجال فهي عذراء بتول وهادنت جذيمة
مدة ثم خطبها فاستدعته وقتلته كما تقدم في ترجمته فاما مقتلها
فان قصيرا لما فارق جذيمة وعاد الى بلاده يحتال على قتلها فجدع انفه
وضرب جسده ورحل اليها زاعما ان عمرو بن عدي ابن اخت جذيمة
صنع به ذلك وانه لجأ اليها هاربا منه واستجار بها ولم يزل يتلطف
لها بطريق التجارة وكسب الاموال الى ان وثقت به وعلم خفايا قصرها
وانفاقه ثم وضع رجالا من قوم عمرو بن عدي في غرائر وعليهم السلاح
وحملهم على الابل على انها قافلة تجر الى ان دخل مدينتها فحلوا الغرائر
واحاطوا بقصرها وقتلها قبل ان تصل الى نفقها في حكاية وذلك بعد
مبعث المسيح عليه السلام وان مالك بن نويرة اشارة لذلك
هو مالك بن نويرة بن شداد اليربوعي التميمي فارس ذي الخمار و
ذو الخمار فرسه ويلقب بالجفول لكثرة شعره وكان من فرسان العرب

ويسجعانهم وذوي الردافة في الجاهلية وكانت تسمى بنو يربوع ابا م
المنذر ومعنى الردف ان يجلس الملك ويجلس الردف عن يمينه فاذا
شرب الملك شرب الردف بعده واذا غزا جلس الردف فكان له والمرتد في
اتاوة ويأخذ مع اتاوة الملك وفي ذلك يقول الراجز

ومن بنا فآل يربوع نجب   المجلس الايمن والردف النجب

وادرك مالك بن نويرة الاسلام واسلم وبعثه رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم على صدقات قومه من بني يربوع فلما توفي رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم امسك الصدقة وقيل ارتد وبعث ابو بكر لعنه الله
خالد بن الوليد لقتال اهل الردة فكان اذا صبح قوما تسمع الاذان
فان سمعه كف عنهم وان لم قاتلهم الى ان مر بالبطاح وبه مالك و
اصحابه فقيل انهم لم يسمعوا اذانا فقاتلهم وطعن آخرون فاما من احتج
فيزعم ان مالكا مات مرتدا وانه لما وقف بين يدي خالد كان يقول في
مخاطبته قال صاحبك وتوفي صاحبك يعني النبي صلعم فقال له خالد
وليس هو صاحبك ايضا يا عدو الله ثم قتله ويحتجون ايضا بقول اخيه
متمم وذلك ان عمر بن الخطاب لعنه الله لما سمع متمما ينشد رثا اخيه مالك
وددت لو رثيت اخي زيدا بما رثيت به اخاك قال والله لو علمت ان اخي
صار الى ما صار اليه اخوك لما رثيته ولا آخرون عليه واما الطاعنون
فذكروا ان خالدا لما احتج على مالك بارتداده انكر مالك ذلك وقال انا

على الاسلام والله ما غيرت ولا بدلت وشهد قتادة وعبد الله بن عمر
ثم ان خالدا امر بقتله فجاءت امرأته ليلى بنت سنان كاشفة وجهها
وكانت من الحسان فالقت نفسها عليه فقال انت قتلتني يعني انها
اعجبت خالدا وانه يريد قتله ونكحها وقام ضرار بن الازور فضرب
عنقه وجعل رأسه اثفية للقدر مما يلي النار ونظرت امرأة من قومه
وهو على تلك الحالة فقالت اصرفوا وجه مالك عن النار فانه والله
كان غضيض الطرف عن الجارات حديد النظر في الغارات لا يشبع
ليلة يضام ولا ينام ليلة يخاف ثم بلغ عمر بن الخطاب ما صنع خالد
فحرض عليه ابا بكر وقال انه قتل مسلما ونكح امرأته واقتصر على بن
ابي طالب صلوات الله وسلامه عليه فقال ابو بكر لعنه الله انه تاول
فاخطأ وما كنت لاشيم سيفا سله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يعني خالدا وما زال عمر واجدا على خالد بهذه الواقعة حتى عزله عن جيش
الاسلام وقال والله لا ولي عملا في ايامي وكان متمم بن نويرة منقطعا
الى مالك مكفي المؤنة فلما قتل حزن عليه حزنا شديدا ورثاه بقصائد
مشهورة وحضر حين بلغه ذلك الى مسجد رسول الله صلعم فصلى الصبح
خلف ابي بكر فلما فرغ من صلوته وانفتل قام متمم فاتكى على قوسه ثم انشد

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت   خلف البيوت قتلت يا ابن الازور

ثم اومى الى ابي بكر فقال   ادعوته بالله ثم غدرته   لو هو دعاك بذمة لم يغدر

فقال ابو بكر والله ما دعوته ولا غدرته فقال بقية ابياته المشهورة
ثم بكى وانحط عن قوسه وكان اعور فما زال يبكي حتى دمعت عينه
العورا فقام اليه عمر بن الخطاب فقال وددت لو رثيت اخي زيدا
فاجابه بما تقدم ثم رثاه زيدا فلم يجد فسئل عن ذلك فقال انه
لم يحركني لاخي ما لا يحركني لزيد وساله عمر عن حزنه وقال والله اني لا
انام الليل وما رايت نارا رفعت بليل الا ظننت ان نفسي تخرج
اذكر بها نار اخي انه كان يامر بالنار فتوقد حتى يصبح مخافة ان
يبيت ضيفه قريبا منه فمتى راى النار ياتي الى الرحل وهو بالضيف
ياتي متهجدا اسر من القوم يقدم عليهم القادم منهم من السفر
البعيد فقال عمر اكرم به وقال له عمر يوما حدثنا عن اخيك فقال
اسرت مرة في حي عظيم من احياء العرب فاقبل اخي فما هو الا ان طلع
على الحاضر فما كان احد قاعدا الا قام ولا بقيت امراة حتى تطلعت من
خلال البيوت فما نزل عن جمله حتى تلقوه بي في رمتي فحلني فقال
عمر ان هذا لهو الشرف ثم قال له يوما انك يا متمم لجزل فكيف كان
اخوك فقال كان والله اخي في ليلة ذات اذين والصرير يركب
الجمل الثقال ويجنب الفرس الجرور وفي يده الرمح الثقيل وعليه
الشملة الفلوت وهو بين المزادتين حتى يصبح وهو متبسم ومن مراثي
متمم له قوله من ابيات وقالوا اتبكي كل قبر رايته لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك

فقلت

فقلت لهم ان الاسى يبعث الاسى دعوني فهذا كله قبر مالك

ومن جيد شعر مالك قوله

ولقد علمت ولا محالة انني للحادثات فهل ترينى اجزع
افنين عادا ثم آل محرق فتركنهم بلدا وما قد جمعوا
وعددت آبائي الى عرق الثرى ودعوتهم فعلمت ان لم يسمعوا
ذهبوا فلم ادركهم ودعتهم غول الليالي والطريق المهيع

وقوله وقالوا الى ستاسر فانك آمن فقلت ان اساترت اني لخائن
علام تركت الشر في مضاجع ومطردا فيه المنايا كوامن
فان يقتلوني بعد ذاك فانني امرت بقدا دون تبقى الضغا

وعروة بن جعفر انا رحال اليك هو عروة بن عتبة بن جعفر بن بني
عامر بن صعصعة واهل بيته ينسبون الى جعفر فيقال الجعفريون
ولذلك قال ابن زيدون عروة بن جعفر وكان يعرف بعروة الرحال
لرحلته الى الملوك وكان من ذوي الراي والشهامة وهو من ارداف
الملوك وللعرب مبالغة في وصفه فمن ذلك انه رحل الى معوية ابن الجون
الكندي فغزا معوية بني حنظلة قوم بن عامر واستصحبه معه
فلما كان بواردات قال لمعوية ان لحق صحبته ورحله واريد ان انذر
قومي من ههنا فاذن له فصاح يا صباحاه ثلث مرات فسمعه قومه
من الشعب فاستعدوا وبينهم مسيرة ليلة وبسبب مقتله فاستوعب

الفجار وذلك ان النعمان كان يبعث لسوق عكاظ في كل عام لطيمة في
جوار رجل شريف من اشراف العرب يجيرها له احياء العرب حتى
تباع له هناك ويشترى بثمنها من ادم الطايف وغيره ما يحتاج اليه
وكان سوق عكاظ يقوم في كل يوم من ذي القعدة فيتسوقون الى
حضور الحاج ثم يحجون وكانت الاشهر الحرام اربعة اشهر ذو القعدة و
ذو الحجة ومحرم ورجب وكانت العرب من ذي القعدة ينهبون للحج
ويؤمن بعضها بعضاً فجهز النعمان عير اللطيمة ثم قال من يجيرها فقال
البراض على بني كنانة فقال النعمان ما اريد الا من يجيرها على اهل
نجد وتهامة فقال عروة الرحال وهو يومئذ رجل هوازن اهذا
الكلب يجيرها لك انا اجيرها على اهل الشيح والقيصوم من اهل نجد
وتهامة فقال البراض ابن قيس اعلى بني كنانة تجيرها يا عروة قال وعلى
الناس كلهم فدفعها النعمان الى عروة فخرج بها وتبعه البراض وكان
فاتكاً عياراً وعروة لا يخشى منه شيئاً لانه كان بين ظهراني قوم من
غطفان فنزل بارض يقال لها قتاد فشرب الخمر وغنته قينته ونام
فجاء اليه البراض فدخل عليه وايقظه فناشده عروة وقال كانت مني
زلة فقتله وخرج وهو يرتجز قد كانت الفعلة مني ضلة هلا على غيري
جعلت الزلة وهرب فضربت العرب المثل بفتكة البراض ومن شعر عروة

تجهز مقام عسان اذنات نهارا وليلا بليالي فارع

وقد صار

وقد صار اخواني كانت عليهم ثياب الملاء والنعام المنزعا
من ابيات وقد قيل انها لعروة الرحال بالجيم وهو رجل من لنغيه
اسد ه كليب بن ربيعة انا اخو المرء على عزتك وحشا انا قتله يا نفتل
كليب بن ربيعة بن سنان الوائلي الذي يضرب به المثل فيقال اعز
من كليب كان رئيس الحيين من بكر وتغلب ابني وايل وقاد معداً
كلها يوم خزاز وفض جموع القوم فاجتمعت عليه معد وجعلوا له قسم
الملك وتاجه وطاعته فغير بذلك حيناً ثم دخله زهو شديد وبغى
على قومه بما هو فيه من عزة وانقياد معد له حتى بلغ من بغيه
وعزه انه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه ويقول وحش كذا
وكذا في جواري فلا يهاج ولا يورد مع ابله احد ولا توقد نار مع ناره
ولا يحتبي في مجلسه ولا يتكلم الا باذنه وفي ذلك يقول اخوه بعد قتله

نبئت ان النار بعدك اوقدت واستب بعدك يا كليب المجلس
وتكلموا في امر كل عظيمة لو كنت حاضر امرهم لم ينبسوا

وقيل انه كان اذا مر بروضة قذف فيها جروا فيعوي فلا يرعى احد من
ذلك الكلاء ولذلك قيل كليب وايل يعنون الكلب ويضيفونه الى
وايل وهو اسم الملك ثم غلب هذا القول حتى ظنوه اسمه ومر يوما في
مرعى بحموة وهي طاير صغير وقيل قبرة وقد باضت فلما راته صرصرت
وخففت بجناحيها فقال امني روعات انت في ذمتي ثم انشد

يا لك من قبرة بمعمر ... خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت ان تنقري ... فما جسر صاحب بعير يدخل

ذلك المرعى واما جساس فهو ابن مرة ابن ذهل كان اخته تحت
كليب كان بنو جشم وشيبان في دار واحدة فبليغ كليب وجساس
وكانت لجساس خالة من بني سعد تسمى البسوس جاورت بني مرة
فنزلت على ابن اختها جساس وسعا ابي لها ولهم ناقة خوارة من
نعم بني سعد وكان لها فصيل فندت الناقة ذات يوم فدخلت
في ابل كليب ترعى في حماه فنظر اليها فانكرها فرماها بسهم في ضرعها
فولت حتى بركت في فناء صاحبها وضرعها يشخب دما ولبنا فلما نظرت
اليها بنت صاحبها وضعت يدها على راسها وهي تصيح واذلاه فلما سمع
جساس قولها سكنها وقال والله ليقتلن غدا جمل وهو اعظم قدرا من
ناقتك يعني كليبا ثم انتجع الحي فمروا على نهر يقال له شبيث فنهاهم
كليب عنه وقال لا تردن منه قطرة ثم مروا على نهر اخر يقال له الاحص
فنهاهم عنه فمضوا حتى اتوا الذنائب ونزلوا فمر جساس بكليب وهو
واقف على غدير الذنائب مفردا فقال طردت عنا المياه حتى كدت
تقتلنا عطشا فقال كليب ما منعناكم من ماء الا وانتم له شاغلون فقال
له جساس هذا كفعلك بناقة خالتي فقال او قد ذكرتها اما اني لو
وجدتها في غير ابل مرة لاستحللت تلك الابل فعطف عليه جساس فرسه

فطعنه

فطعنه بالرمح فادناه ووجد الموت فقال يا جساس اسقني فقال هيهات
تجاوزت الاحص وشبيثا ثم عطف الى ذلف فاجهز عليه ثم ان جساسا
لما فرغ من قتل كليب مال بيده بالفرس حتى انتهى الى اهله فقالت
اخته لابيها ان الجساس شاءنا قد جاء خارجا ركبتيه قال والله
ما خرجت ركبتاه الا لامر عظيم يعني انه كان بركبته وضح لا يظهره فلما
جاء قال ما وراءك يا بني قال ورائي اني طعنت طعنة لتشغلن بها
شيوخ وائل زمنا قال اقتلت كليبا قال نعم قال وددت انك واخوتك
مت قبل هذا ما لي الا ان تسامني ابناء وائل ثم نظر جساس الى اخته فقال

واني قد جنيت عليك حربا ... تغص الشيخ بالماء القراح
مذكرة متى ما يصح عنها ... فتى نشبت باخر غير صاحي

فاجابته فضلة تطيب قلبه
وان تك قد جنيت علي حربا ... فلا وان ولا رث السلاح

ثم هرب جساس ووقعت بين الحيين
حرب البسوس المشهورة قيل اقامت اربعين سنة واختلف في قتل
جساس فقيل ان ابا النويرة قتله هاربا على طريق الشام بعد حين و
قيل ان ابن اخته هجرس بن كليب كان عند امه واخواله بعد الفتنة فلما
بلغ مبلغ الرجال وعرف ان خاله جساسا قاتل ابيه ركب فرسه واخذ
رمحه واتى قومه وخاله جساس في النادي فقال ورمحي وثعلبه
وسيفي وذروته وفرسي واذنيه لا يترك الرجل قاتل ابيه وهو ينظر اليه

ثم طعن جساسا فقتله ولحق بجمعه. ومهلهلا انما طلب ثاره
بهتك هو مهلهل ابن ربيعة بن الحارث اخو كليب المقدم ذكره
واسمه عدي ولقب مهلهلا لقوله لما توقل في الكراع هجينهم
هلهلت اثار مالكا او صنبلا يعني قاربت وقيل لقب مهلهلا
لانه اول من هلهل نسج الشعر اي رققه وهو اول من قصد القصايد
وقال فيها الغزل وغنى بالنسيب في شعره وهو خال امرئ القيس ابن
حجر وعنه ورث اجادة الشعر وكان ايضا كثير المحادثة للنساء حتى كان
اخوه كليب يسميه زير النساء ولذلك يقول بعد قتل كليب طلب ثاره

فلو نبش المقابر عن كليب ... ليعلم بالذنائب اي زير

وكان من خبره في هذه الوقعة وطلب الثار والثار بالثاء المثلثة طلب
الثار وصله الهمزة واما طلبه الثار فان جساسا لما قتل كليبا ودمر هاربا
كان همام ابن مرة اخو جساس نديم مهلهلا اخا كليب وكان قد صادقه
واخاه وعاهده ان لا يكتم عنه شيئا فجاءت اليه امة فسارت اليه قتل جساس
كليبا فقال له مهلهل ما قالت لك فلم يخبره فذكره العهد فقال
اخبرتني ان اخي قتل اخاك فقال است اخيك اضيق من ذلك فسكت
همام واقبلا على شربهما فجعل مهلهل يشرب شرب الامن وهمام يشرب
شرب الخائف فلم يلبث الخمر ان صرعت مهلهلا فانسل همام فاتى قومه
وقد قوضوا الخيم وجمعوا الخيل والنعم ليرحلوا ورحل معهم وظهر امر كليب

وافاق مهلهل فصحا الخبر واجتمعت اليه تغلب فقالوا لا تعجلوا على قومكم
حتى تعذروا بينكم وبينهم فانطلق رهط من اشرافهم حتى اتوا مرة بن ذهل
فعظموا ما بينهم وبينه وقالوا اختر منا خصالا اما ان تدفع الينا
جساسا فنقتله بصاحبنا فلم يظلم من قتل قاتله واما ان تدفع الينا
هماما فنقتله واما ان تقيدنا من نفسك فسكت وقد حضرته وجوه
بكر فقالوا تكلم غير مخذول فقال اما جساس فانه غلام حديث السن
ركب فرسه فهرب حين خاف فلا علم لي به واما همام فابو عشرة واخو
عشرة ولو دفعته لكم ليصيح بنوه في وجهي وقالوا دفعت ابانا
ليقتل بجرم غيره واما انا فلا اعجل الموت وهل تزيد الخيل على ان
تجول جولة فاكون اول قتيل ولكن هل لكم في غير ذلك هؤلاء بني
فدونكم فخذوا احدهم فشدوا النسعة برقبته واقتلوه وان شئتم فلكم
الف ناقة فغضبوا وقالوا انا لم ناتك لتبذل لنا بنيك او لتسومنا
اللبن وتفرقوا فقام مهلهل وشمر للحرب وبدا القتل واستحر بين
الفريقين الى ان كان يوم واردات وقد عظم القتل في بكر فاجتمعوا الى
الحارث بن عباد بن مالك وكان قد اعتزل الحرب وقال لا ناقة لي فيها
ولا جمل فذهبت مثلا فقالوا له قد فني قومك فارسل ابنه بجيرا وقيل
ابن اخته الى مهلهل وقال له قل له ابو بجير يقرئك السلام ويقول
لك قد علمت اني قد اعتزلت قومي لانهم ظلموك وخليتك واياهم وقد

ادركت وترك وقتلت قومك فاني بحير مهلهلاً وهو في قومه فقال
له من خالك يا غلام وتراجعوا بالرمح فقال له امرؤ القيس بن ابان
التغلبي مهلاً يا مهلهل فان اهل بيت هذا قد اعتزلوا حربنا
والله لئن قتلته ليقتلن به رجل لا يسئل عن خاله وفي رواية
عن خاله فلم يلتفت مهلهل الى قوله وشد عليه فقتله وقال بؤ
بشسع نعل كليب فقال الغلام ان رضيت بهذا بنو تغلبة رضيت
فلما الحارث بن عباد فقتله نعم الغلام اصلح بين ابني وائل وباء بكليب
فلما سمعوا قول الحارث قالوا ان مهلهلاً قال له بؤ بشسع نعل
كليب فغضب الحارث ونهض للقتال واستمرت الحروب بين
الحيين دهراً طويلاً وفني معظمهم وقتل همام وغيره الى ان قام في
الصلح الحارث بن عوف المري كما سياتي عند قوله وان الصلح بين
بكر وتغلب ثم برسالتك وآل امر مهلهل الى ان رجع الى اخواله من
بني يشكر واقام بين اظهرهم الى ان مات وقيل قتل وكان سبب قتله
كما ذكر بعض الرواة انه اسن وخرف وكان له عبدان يخدمانه فملا
منه وخرج به الى بيد سفراً فانا خابه في بعض الفلوات وعزما على قتله
فلما عرف ذلك كتب بسكين على رحل ناقته وقيل اوصاهما ان يبلغ
الحيين ان مهلهلاً لله دركما ودر ابيكما ثم قتلاه ورجعا الى قومه فقالا
مات وانشدا قوله فتفكر بعض ولده وقال ان مهلهلاً لا يقول

هذا

هذا الشعر الذي لا معنى له وانما اراد

من مبلغ الحيين ان مهلهلاً   امسى قتيلاً في الفلاة مجدلا
لله دركما ودر ابيكما   لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فضربوا العبدين فاقرا بقتله وقتلا وشعر مهلهل من اعلى طبقات
المتقدمين ومن ذلك قوله

بكره قلوبنا يا آل بكر   نغاديكم بمرهفة النصال
لها لون من الهامات جون   وان كانت تغادى بالصقال
ونبكي حين نذكركم عليكم   ونقتلكم كانا لا نبالي

هذه الابيات هي اصل ما اعتمد عليه الشعراء في هذا المعنى كغيرهم البحتري
في قصيدته العينية ومن ذلك قوله اعني مهلهلاً

اليلتنا بذي حسم انيري   اذا انت انقضيت فلا تحوري
فان يك بالذنائب طال ليلي   فقد ابكي من الليل القصير
وانقذني بياض الصبح منها   لقد انقذت من شر كبير
كان كواكب الجوزاء عوذ   معطفة على ربع كسير
كان الفرقدين يدا مفيض   الح على افاضته قمير
ولو نبش المقابر عن كليب   لخبر بالذنائب اي زير
واني قد تركت بواردات   بجيرا في دم مثل العبير
هتكت به بيوت بني عباد   وبعض الغشم اشفى للصدور

على ان ليس عدلا من كليب   اذا ما ضيم جيران المجير

على ان ليس عدلا من كليب   اذا برزت مخباة الخدور

منها بعد ان كرر قوله على ان ليس عدلا من كليب في ابيات كثيرة
على عادة العرب في تكرير القول في الامور العظيمة وتقريرها وبهذه
الابيات استشهد بعض المفسرين لقوله تعالى في سورة الرحمن فباي
آلاء ربكما تكذبان

كانا غدوة وبني ابينا   بجنب عنيزة رحيا مدير

كأن رماحنا اشطان بئر   بعيد بين جاليها جرور

تظل الخيل عاكفة عليهم   كأن الخيل تمنض في غدير

فلولا الريح اسمع من بحجر   صليل البيض تقرع بالذكور

يقال ان هذا البيت اول كذب ورد في الشعر وانه بلغه فان بين
الذنائب وحجر سبع ليال ومن ذلك قوله

قتلوا كليبا ثم قالوا لا تعب   كلا ورب البيت ذي الاحرام

حتى نبيض الشيخ بعد حميمه   مما يرى جذعا على الاقوام

وتجول ربات الخدور حواسرا   يمسحن عرض ذوائب الايتام

وقوله

طفلة ما ابنة المجلل بيضاء   لعوب لذيذة في العناق

ضربت صدرها الي وقالت   يا عديا لقد وقتك الاواقي

ومنها يرثي كليبا

ان تحت الاحجار حزما وعزما

وخصيما

وخصيما الد ذا معلاق حية في الوجار اربد لا ينفع منه السليم نفثة راقي
قوله ذا معلاق يروى بالعين وهو الرجل الشديد الخصومة كأنه
يعلق بخصمه ويروى بالغين كأنه يغلق على خصمه القول وجميع
شعره في هذه الغاية من التمكين والقوة
هو السموءل ابن عاديا ابن من يهود بني الذي يضرب به المثل
في الوفا فيقال اوفى من السموءل وسبب ذلك ان امرء القيس ابن
حجر الكندي لما قتل ابوه وكان ملكا في كندة خرج يستنجد بملك
الروم كما سيأتي ذكره فمر على تيماء وبها حصن السموءل المسمى
بالابلق المذكور في شعره فاودع السموءل مائة درع وسلاحا ومضى
فسمع الحارث بن ظالم وقيل الحارث بن ابي شمر الغساني بها فجاء
لياخذها منه فابى السموءل وتحصن بحصنه فاخذ الحارث ابنا له و
ناداه اما ان تسلم الي الادراع واما قتلت ولدك فابى ان يسلم اليه
الادراع فضرب وسط الغلام بالسيف فقطعه وابوه يراه وانصرف
فقال السموءل في ذلك قصيدة

اعاذلتي الا لا تعذليني   فكم من امر عاذلة عصيت

وفيت بادرع الكندي اني   اذا ما ذم اقوام وفيت

واوصى عاديا يوما بان لا   تهدم يا سموءل ما بنيت

دعيني وارشدي ان كنت اغوى   ولا تغوي زعمت كما غويت

ومات امرئ القيس قبل ان يصل الى تيماء ومنع السموءل الادراع
الى ان مات هو ايضا وضرب به المثل وفي ذلك يقول الاعشى

كن كالسموءل اذ طاف الهمام به   في جحفل كسواد الليل جرار
فقال عذر وثكل انت بينهما   فاختر وما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له   اقتل اسيرك اني مانع جاري

والسموءل من شعراء الجاهلية المجيدين وله في الحماسة اللامية المشهورة (المعروفة)

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه   فكل رداء يرتديه جميل

وقوله

اني اذا المرء بين شكه   وبدت عواقبه لمن يتأمل
ويرى الضعفاء من خولهم   والحر من حر الضيم الكلكل
ادع التي هي ارفق الخلاق   عند الحفيظة للتي هي اجمل

وقوله

ياليت شعري حين اندب هالكا   ماذا تؤبنني به انواحي
ايقلن لا تبعد ورب كريهة   فرجتها بشجاعة وسماح
ولقد اخذت الحق غير مخاصم   ولقد بذلت الحق غير ملاحي

هو الاحنف المضروب به المثل في الحلم والسيادة واسمه الضحاك وقيل
صخر ابن قيس بن معوية ابن حصين السعدي ويكنى ابا بحر ادرك
النبي صلعم ولم يره ودعا له حدث الاحنف قال بينا انا اطوف
بالبيت في زمن عمر بن الخطاب اذ لقيني رجل اعرفه فاخذ بيدي
فقال الا ابشرك قلت بلى قال الا تذكر اذ بعثني رسول الله صلعم الى قومك

من بني سعد ادعوهم الى الاسلام فجعلت اخبرهم واعرض عليهم فقلت انت
انه يدعوهم الى خير ولا اسمع الا حسنا فاني رجعت الى النبي صلعم فاخبرته
بمقالتك فقال اللهم اغفر للاحنف قال فما شيء ارجى لي منها و
سمي الاحنف في رجله وهو ان تقبل الرجل بالابهام على الاخرى
وكانت امه ترقصه وهو طفل والله لولا حنف في رجله
ما كان في فتيانكم من مثله   وقال عبد الملك بن عمير وقد
علينا الاحنف مع مصعب بن الزبير الكوفة فما رايت منظرا ابذم
الا رايته فيه كان ضئيلا اصعل الراس متراكب الاسنان جاحظ
العينين وكان اذا تكلم جلا عن نفسه وقال الشعبي اوفد ابو موسى وفد
البصرة الى عمر بن الخطاب وفيهم الاحنف بن قيس فلما قدموا على عمر
تكلم كل رجل منهم في حاجة نفسه وكان الاحنف في اخر القوم فحمد
الله تعالى وصلى على نبيه ثم قال اما بعد يا امير المؤمنين فان اهل
مصر نزلوا في منازل فرعون واصحابه واهل الشام نزلوا في منازل
القيصر واهل الكوفة نزلوا منازل كسرى ومصانعه في الانهار والعذ
والجنان المخصبة في مثل عين البعير وكالحوار في سلاته تأتيهم ثمارهم قبل
ان تبلغ وان اهل البصرة نزلوا في ارض سبخة زعقة نشاشة طرف لها
في ملح اجاج والطرف الاخر في الفلاة لا ياتي الجليل الا في مثل حلقوم النعامة
فادفع حيثيتنا وانعش وكيستنا ومد للناقفين ما وردهنا وتزلنا

بنهر فتعذب منه الماء فقال عمر انجزيتم ان تكونوا مثل هذا هذا والله السيد
فما زلت اسمع امنه ثم حبسه عنده سنة ثم قال يا احنف انى بلوتك
فاعجبتنى وانما حبستك لاعلم علمك فان رسول الله صلعم يقول احذروا
المنافق العالم واشفقت عليك منه فوجدتك بريا مما تخوفت عليك
وستر جوره واحسن جوابه تدو لم يزل يشرف حتى مات وساد بعقله وحلمه
حتى كان يجرد لامره مائة الف سيف وكان امرا الامصار يلتجئون اليه فى
المهمات وكان اذا اراد حربا قال الناس قد غضبت ذبر اقصاد مثلا و
وذيرا جارستير كانوا مطيعا لها فكانوا يكنون عن غضبه فى الحرب بغضبها
وكان يقول كنا نختلف الى قيس بن عاصم نتعلم منه الحلم كما نختلف
الى العالم نتعلم منه العلم وحكى خالد بن صفوان قال كنت بالرصافة عند
هشام بن عبد الملك فقدم عليه العباس ابن الوليد فقبله الناس
فدخلت عليه فقال حدثنى عن شوبيد كلام الاحنف وانتبادكم له قال
لئن شئت حدثتك عنه بواحدة تسود وان شئت باثنين وان شئت
بثلثة وان شئت حدثتك عشيتك حتى تمضى ولم تشعر بصومك
وكان صائما فى يوم خميس فقال هات الاولى فقال كان اعظم من رأينا
او سمعنا سلطانا على نفسه فيما اراد حملها عليه ودفعها عنه ثم ذكى
دهنى فقلت عنى الخلفاء فقال لقد ذكرتها مجملا كافية فما الثانية قلت
قد يكون الرجل عظيم السلطان على نفسه ولا يكون بصيرا بالمحاسن والمساوى

ولم يسمع باحد ابصر منه بالمحاسن والمساوى فلا يحمل السلطنة الا
على حسن ولا يكفها الا عن قبيح قال قد جئت بصلة الاولى لا تصلح الا
بها فما الثالثة قلت قد يكون الرجل عظيم السلطان على نفسه بصيرا
بالمحاسن والمساوى ولا يكون حفيظا فلا ينشر له ذكر وكان عند الناس
مشهورا قال وابيك لقد وصلت الاثنين فما بقيته ما يقطع منى العشى
قال يا امير المؤمنين لما فتح خراسان اجتمعت عليه الاعاجم بمرو الروذ فجائه
ما لا قبل له به وهو فى منزل مضيعة وقد بلغ الامر به فصلى العشاء الاخرة
ودعا وتضرع الى الله تعالى ان يوفقه ثم خرج يمشى فى العسكر مشى المكروب
متنكرا يسمع ما يقول الناس فمر بعبيد يحتجن وهو يقول لصاحب له
العجز لامرنا يقيم بالمسلمين فى منزل مضيعة وقد طاف بهم العدو من
نواحيهم واتخذوهم اغراضا وله متحول فجعل الاحنف يقول اللهم وفق
اللهم سدد فقال العبد للعبد فما الحيلة قال ان ينادى الساعة بالرحيل
وانما بينه وبين الغيضة فرسخ فيجعلها خلف ظهره فيمنعه الله بها
فاذا امتنع ظهره بها بعث بمجنبة اليمنى واليسرى فيمنع الله بهما ناحيتيه
ويلقى عدوه فى جانب واحد فسمعه الاحنف ثم نادى بالرحيل مكانه حتى
اتى الغيضة فنزل فى قبلتها واصبح فاتاه العدو فلم يجدوا سبيلا الا
من وجه واحد وهو لوا بطبول لاربعة وركب الاحنف واخذ اللواء
وحمل بنفسه على طبل فنقره وقتل صاحبه وهو ينشد

ان على كل رئيس حقا   ان يخضب الصعدة او تندقا

ودق بقية الطبول فلما رأت الاعاجم اصوات طبولهم هامدة انهزموا
وركب المسلمون اكتافهم وكان الفتح ثم عند خالد بقية ايام امره الى ان
انقضى الهناد وللاحنف حكايات لطيفة حسنة والفاظ محكمة و
مؤاخذات معدودة فمن حكاياته حدث بعض غلمانه قال كان الاحنف
يكثر الصلوة بالليل وكان يجيء الى المصباح فيضع اصبعه فيه فيقول
حس ويقول يا حنيف ما حملك ان صنعت كذا يوم كذا وشكى اليه رجل وجع
ضرسه فقال لو ذهبت عيني منذ ثلثين سنة ما علم بذلك احد و
قال له عمر اي الطعام احب اليك قال الزبد والكمأة فقال عمر ما هما باحب
الطعام اليه ولكنه يحب الخصب للمسلمين يعني ان الزبد والكمأة لا يكونان
الا في الخصب خلا به رجل فسبه سبا قبيحا فقام الاحنف وهو يتبعه
فلما وصل الى قومه وقف وقال يا اخي ان كان قد بقي من قولك فضلة فقل
الآن والا يسمعك قومي فيؤذوك وقال له رجل بم سدت قومك و
لست باشرفهم قال بتركي من امرك ما لا يعنيني كما لم تترك من امري
ما لا يعنيك وقال له رجل لاشتمنك شتما يدخل معك قبرك قال والله
يدخل الا في قبري وقيل له بم سدت قال لو ان الناس كرهوا الماء ما شربته
وقال يوما ما يسرني ان نزلت بدار مجزة واني البث وسمت فقيل له
يا ابا بحر وما يراد من دار الحزم عن هذا فقال اني اكره سوء العادة ووفد على

معوية مع اهل العراق فقال الآذن ان امير المؤمنين اقسم عليكم ان لا يتكلم
احد منكم الا لنفسه فدخلوا فقال الاحنف لولا عزيمة امير المؤمنين لاخبرته
ان دافة دفت ونازلة نزلت ونائبة نابت وكلهم به فاقة الى وفد امير المؤمنين فقال
حسبك يا ابا بحر فقد كفيت من غاب ومن شهد وذكره معوية يوما
بطيعة علي بن ابي طالب ع صلوات الله عليه وايام صفين فقال يا امير
المؤمنين القلوب التي ابغضناك بها بين جنوبنا والسيوف التي
قاتلناك بها على عواتقنا وان شئت استصفيت كدرنا بحلمك فقال
اجل ومما اخذ عليه فيه وعيب به امر الزبير بن العوام وذلك انه لما
ترك القتال يوم الجمل ورجع مر ببني تميم فاتى رجل الاحنف فقال
هذا الزبير قد مر انفا فقال ما اصنع به جمع بين متعادين فقتل بعضهم
بعضا ويريد ان ينجو الى اهله فتبعه ابن جرموز فقتله غدرا فقال الناس
انما قتله الاحنف وان ذلك كان عن رأيه وحين اتاه كتاب الحسين بن علي ع
يستنصره فقال قد بلونا حسنا وآل حسن فلم نجد عندهم ايالة الملك ولا
صيانة المال ولا مكيدة الحرب ولم يجبه وقوله للحباب ابن زيد اسكت
يا ادبر وكان الحباب ادبر وطاعته لجاريته وبراحتي شل عن ذلك فقال
كيف لا اطيع من لي اليه كل يوم حاجة وانا رجل فلطمه فقال له الطمني
قال اجعل لي جعلا على ان الطم سيد بني تميم قال لست بسيدهم وانا سيدهم
حارثة بن قدامة فمضى الرجل اليه ولطمه فقطع يده فقال الناس انما قطع

يا الاحنف وارسل اليه عمرو بن الاهتم رجلا يكايده فقال ما كان
مال ابيك ففطن له الاحنف فقال صرمة يقري منها ضيفه و
يكفي عياله ولم يكن اهتم سلاحا وخاط عند رجل ثوبا ثم تقاضاه
دهرا فلما ضجر اخذ بيده له لرجاء الى الخياط فقال اذا مت فادفع
الثوب لهذا ومن كلامه لا خير في لذة تعقب ندما لن يفتقر من زهد
اقبلوا عذر من اعتذر وما اقبح القطيعة بعد الصلة انصف من نفسك
قبل ان ينتصف منك لا تكونن على الاساءة اقوى منك على الاحسان
اعلم ان لك من دنياك ما اصلحت به مثواك فانفقه في حق ولا تكن
خازنا لغيرك لا راحة لحسود ولا مروة لكذوب عجبت لمن تكبر وقد
خرج من مخرج البول مرتين وقال يوما ما رددت عن حاجة قط قيل له
ولم قال لا اطلب المحال وقال ما ذمني احد الا اخذت في امره بثلاث
ان كان فوقي عرفت له فضله وان كان دوني رفعت قدري عنه وان كان
مثلي تفضلت عليه وقال له رجل دلني على المروة فقال عليك بالخلق
الفسيح والكف عن القبيح ثم قال الا ادلك على ادوى الداء قال الكتاب الذنب
بلا منفعة وقال يوما كانت المودة محضا وليتها اليوم مذقا ومن شعره

رمد سروي بالكثير　　لجدت وكنت له باذلا
فان المروة لا تستطاع　　اذا لم يكن مالها فاضلا

وكان يجالسه رجل كثير الصمت فاعجب به الاحنف ثم تكلم يوما فقال يا ابا بحر

تقدر

تقدر تمشي على شرف المسجد فقال يا اخي اني كبرت ولا اقدر على ذلك

ثم انشد

وكائن ترى من صامت لك معجب　　زيادته او نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده　　ولم يبق الا صورة اللحم والدم

نزواها قوم له وقيل تمثل بها وهي لغيره فانها ارفع طبقة من شعره
ومات بالكوفة سنة تسع وستين وخرج مصعب بن الزبير في جنازته
ماشيا بغير رداء وهو اول امير فعل ذلك في جنازة كبير ولما وضع في قبره
قامت امرأة فقالت لله درك من مدرج في كفن نسئل الله الذي ابتلانا
بفقدك ان يوسع في لحدك ويكون لك يوم حشرك اما والذي كنت من
امره الى مدته لقد عشت حميدا سودودا ومت مفقودا ولقد كنت من
الناس قريبا وفي الناس غريبا رحمنا الله واياك **وحاتما انما جاد**
بوفرك ولقي الاضياف ببشرك هو حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي وكنيته
ابو سفانة وابو عدي واجواد العرب في الجاهلية ثلثة حاتم بن طائي و
هرم بن سنان وكعب بن مامه وحاتم اشهرهم ذكرا ادرك مولد النبي صلعم
ومات قبل مبعثه وحكي عن علي بن ابي طالب صلوات الله عليه انه قال
سبحان الله ما ازهد كثيرا من الناس في خير عجبا لرجل يجيئه اخوه المسلم في
حاجة فلا يرى نفسه للخير اهلا ولو كان لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا
لكان ينبغي له ان يسارع الى مكارم الاخلاق فانها تدل على سبيل النجاح

فقال اليه رجل فقال يا امير المؤمنين اسمعته من النبي صلى الله عليه
وآله وسلم قال نعم لما اتى بسبايا طي وقفت جارية عيطاء لعساء فلما
رايتها اعجبت بها وقلت لاطلبنها من النبي صلعم فلما تكلمت انسيت
جمالها بفصاحتها فقالت يا محمد ان رايت ان تخلي عني ولا تشمت بي
احياء العرب فاني ابنة سيد قومي وان ابي كان يفك العاني
ويشبع الجائع ويكسو العاري ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة
قط انا ابنة حاتم الطائي فقال النبي صلعم يا جارية هذه صفة المؤمن
ولو كان ابوك مات مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان اباها كان
يحب مكارم الاخلاق والله يحب مكارم الاخلاق وقال عدي بن
حاتم قلت للنبي صلعم ان ابي كان يطعم المساكين ويعتق الرقاب ويعتق
الرقاب ويصل الرحم فهل له في ذلك من اجر قال ان اباك رام امرا فادركه
يعني الذكر ومما ظهر من وجود حاتم ان اباه خلفه في ابله وهو
غلام فمر به جماعة من الشعراء منهم عبيد بن الابرص وبشر بن ابي حازم
والنابغة الذبياني يريدون النعمان فقالوا لحاتم هل من قرى ولم
يعرفهم فقال تسئلوني القرى وقد رايتم الابل والغنم انزلوا فنزلوا
فنحر لكل واحد منهم وسئلهم عن اسمائهم فاخبروه ففرق فيهم الابل
والغنم وجاء ابوه فقال ما فعلت قال طوقتك مجد الدهر تطوق الحمامة
وعرفه فقال ابوه اذا لا ابالي وحكى عن زوجته النوار قالت اصابتنا سنة

اشرت

اشرت لها الارض وضنت المراضع على اولادها فوالله اني لفي ليلة
صنبرة بعيدة ما بين الطرفين اذ تضاغى ولدنا عبد الله وعدي
وسفانة فقام الى الصبيين وقمت الى الصبية فوالله ما سكتوا الا
بعد هدأة من الليل ثم ناموا ونمت انا واياه فاقبل علي يعللني بالحديث
فعرفت ما يريد فتناومت وما بي من نوم فقال ما لها انامت فسكت
فلما تغورت النجوم اذا شيء قد رفع كسر البيت فقال ما هذا قال جارتك
فلانة قال ما لك قالت اتيتك من عند صبية يتعاوون تعاوي
الذئاب من الجوع قال اعجليهم فوثبت اليه فقلت ماذا صنعت فوالله
لقد تضاغى صبيتك من الجوع فما اصبت ما تعللهم قال اسكتي فو
اقبلت المراة تحمل اثنين ويمشي جانبيها اربعة كانها نعامة حولها رئالها
فقام الى فرسه جلاب فنحرها وكشط عن جلدها ودفع المدية الى
المراة ثم قال ابعثي صبيانك فبعثتهم فاجتمعنا فقال سوءة تاكلون
دون اهل الصرم ثم جعل ياتي بيتا بيتا ويقول دونكم النار فاجتمعوا
والتفع بثوبه ناحية ينظر الينا والله ما ذاق منها مزعة وانها لاحوجهم واصبحنا
وما على وجه الارض الا عظم او حافر وحكى ابن الاعرابي قال امر حاتم في
غرة فقالت له المراة يوما قم فافصد لنا هذه الناقة وكان الفصد
عندهم ان يقطع عرق من عروق الناقة ثم يجمع الدم فيشوى ويؤكل
فقام حاتم الى الناقة فنحرها فلطمته المراة فقال لو غير ذات سوار

لطمتني ثم قال له النسوة اما قلنا افصدها قال هذا فزدي انه يعني
فصدي انا وهي لغة طيّ وحكى المدائني قال اقبل ركب من بني اسد و
من قيس يريدون النعمان فلقوا حاتما فقالوا تركنا قومنا يثنون
عليك خيرا وقد ارسلوا اليك رسالة قال وما هي فانشده الاسديون
شعرا للنابغة فيه فلما انشدوه قالوا انا نستحيي ان نسألك شيئا وان
لنا لحاجة قال وما هي قالوا صاحب لنا قد ارجل يعني فقدت راحلته فقال
حاتم خذوا فرسي هذه فاحملوه عليها فاخذها وربطت الجارية فلوها
بثوبها فاقبل يتبع امه واتبعته الجارية لترده فصاح حاتم ما تبعكم فهو
لكم فذهبوا بالفرس والفلو والجارية ولحاتم اخبار كثيرة وشهرته
مغنية وكانت امه عتبة ابنة عفيف موسرة لا تمسك شيئا وكانت اخوتها
يمنعونها فابى فحجروا عليها سنة يطعمونها قوتها لعلها تكف مما
تصنع ثم ملكوها صرمة من ابلها وقالوا استمتعي بها فاتتها امراة من
هوازن فسالتها فقالت دونك الصرمة فقد والله ذقت من الفقر
ما اليت ان لا امنع سائلا شيئا وحاتم من فحول الشعراء ومن محاسن شعره قوله

اعاذل ان المال غير مخلد | وان الغنى عارية فتزود
وكم من جواد يفسد اللوم جوده | وساوس قد ذكرته الفقر في غد
وكم لئيم آباؤه فاكف جودهم | ملام ومن ابد بهم خلقه يدي

وقلت لها

يخاطب امراته اماوي ان المال غاد ورائح | ويبقى من المال الاحاديث والذكر

اماوي

اماوي ما يغني الثراء عن الفتى | اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
اماوي ان يصبح صداي بقفرة | من الارض لا ماء لدي ولا خمر
ترى ان ما اهلكت لم يك ضرني | وان يدي مما بخلت به صفر
وقد علم الاقوام لو ان حاتما | اراد ثراء المال كان له وفر
واني لا آلو بمال صنيعة | فاوله زاد وآخره ذخر
غنينا زمانا بالتصعلك والغنى | وكلا سقاناه بكاسيهما الدهر
فما زادنا بغيا على ذي قرابة | غنانا ولا ازرى باحسابنا الفقر

وقوله يصف طارقا

هو ايسا شبه الجنون وما به | جنون ولكن كيد امر يحاوله
فاثقبت ناري ثم اثرت ضوءها | واخرجت كلبي وهو في البيت داخله
وقلت له اهلا وسهلا ومرحبا | وشدت ولم اقعد اليه اسائله
وقمت الى البذل الهجان اعدها | لوجبة حق نازل انا فاعله
حنت له الاجيال الجبال الحمى | فحنت قلوصي ان رات شوطا احمرا
واني لمزجا المطي على الوجى | وما انا من خلانك ابنة عفزرا
فلا تسأليني واسألي اي فارس | اذا الخيل جالت في قنا قد تكسرا
فلا تسأليني واسألي بي صحبتي | اذا ما المطي في الفلاة تضورا
واني كاشلاء اللجام ولن ترى | اخا الحرب الا ساهم الوجه اغبرا
اخا الحرب ان عضت به الحرب عضها | وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقوله

وعاذلتين هبتا بعد هجعة — تلومان متلافاً مفيداً ملوّما

لحا الله صعلوكاً مناه وهمّه — من العيش ان يلقى لبوساً ومطعما

وسه صعلوك يساور همّه — ويمضي على الاحداث والهول مقدما

اذا ما رأى يوماً مكارم اعرضت — تيمم كبراهن ثمت صمّما

زيد بن مهلهل اتانا ركب بنجد بك

هو زيد بن مهلهل ابن زيد الطائي فارس مظفر بعيد الصيت ادرك الاسلام وسماه رسول الله صلعم زيد الخير وهو شاعر يعدّ من الشعراء والفرسان وانما سمي زيد الخيل لكثرة خيله وانه لم يكن لاحد من العرب غير الفرس والفرسين وكانت له خيل كثيرة منها المسماة المعروفة التي ذكرها في شعرها مثل الهطال والكامل ودول ولاحق وكان زيد الخيل عظيم الخلقة طويلا جدا وسمي مقبل الظعن لانه كان يقبل المرأة وهي في الهودج وكذلك ابو زبيد الطائي وابن جندل الطعان كما ذكروا الرواة حكى ابو عمرو الشيباني قال وفد زيد الخيل على رسول الله صلعم ومعه زر بن سدوس وغيرهم من طي فاناخوا ركابهم بباب المسجد ودخلوا ورسول الله صلعم يخطب الناس فلما رآهم قال اني خير لكم من العزى وما حازت مناع من كل ضار نفاع ومن الجبل الاسود الذي تعبدونه من دون الله فقام زيد الخيل وكان من اتم الرجال يركب الفرس ورجلاه

تخط

تخط في الارض كانه على حمار فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال ومن انت قال زيد الخيل بن مهلهل فقال بل انت زيد الخير ثم قال الحمد لله الذي جاء بك من سهلك وجبلك ورقق قلبك على الاسلام يا زيد ما وصف لي رجل فرأيته الا كان دون ما وصف الا انت فانك فوق ما قيل فيك وقد رأيت فيك خصلتين يحبهما الله و رسوله الاناة والحلم فلما ولى قال رسول الله صلعم اي رجل ان سلم من آطام المدينة فاخذته الحمى فمكث سبعا ثم اشتدت الحمى فخرج وقال لاصحابه جنبوني بلاد قيس فقد كانت بيننا حمايات في الجاهلية ولا والله لا اقاتل مسلما حتى القى الله عز وجل فنزل بماء لجرم يقال له فردة واشتدت به الحمى فقال

امرتحل صحبي المشارق غدوة — وأترك في بيت بفردة منجد

فليت اللواتي عدنني لم تعدني — وليت اللواتي غبن عني عوّدي

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتب معه لبني نبهان كتابا بفدك فمكث زيد الخيل بفردة سبعا ثم مات فاقام عليه قبيصة ابن الاسود المناحة سبعا ثم بعث براحلته ورحله وفيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله فلما نظرت امرأته وكانت على الشرك الى الراحلة وليس عليها زيد ضربتها بالنار فاحترق الكتاب مع ما احترق فلما بلغ رسول الله ضربها الراحلة بالنار واحراق الكتاب وقال ويل لبني نبهان وحكى الشيباني عن شيخ من بني عامر قال اصابتنا سنة

ذهبت بالاموال فخرج رجل من القوم ربيبا له حتى انتهى الى الحيرة فقال
لهم كونوا في بيات الملك يجيبكم من خبري هذا ادجع اليكم والى اليه
لا يرجع حتى يكبهم خبرا فنزو ذلك ثم مشى سبعة ايام حتى انتهى الى
عطن ابل مع نطفل الشمس فاذا خباء عظيم وفيه قبة من ادم قال
فقلت في نفسي ما لهذا الخباء بد من اهل وما لهذا العطن بد من ابل
فنظرت في الخباء فاذا شيخ قد اخلفت ترقوتاه وكانه نسر فجلست
خلفه مختفيا فلما وجبت الشمس اذا بفارس قد اقبل ولم ار قط فارسا
اعظم منه ولا اجسم على فرس مشرف ومعه عبدان يمشيان جنبيه
واذا مائة من الابل مع فحلها فبرك الفحل وبركن حوله فقال لاحد
عبديه احلب فلانة ثم اسق الشيخ فحلب في عس حتى ملاه ثم وضعه
بين يدي الشيخ وتنحى عنه فكرع منه الشيخ مرة او مرتين ثم نزع وثرت
اليه مختفيا فشربته ورجع العبد فقال يا مولاي قد اتى على اخر العس
ففرح وقال احلب له فلانة فحلبها ثم وضع العس بين يدي الشيخ
فكرع منه واحدة ثم نزع فثرت اليه فشربت نصفه وكرهت ان اتى على
اخره فجاء العبد فاخذه ثم امر مولاه بشاة فذبحها وشوى للشيخ منها
ثم اكل هو وعبداه فامهلت حتى اذا ناموا وسمعت الغطيط ثرت
الى الفحل فحللت عقاله فاندفع وتبعته الابل فمشيت لبلتي الى
الصباح فلما علا الصباح اذا انا بفارس قد اقبل واذا هو صاحبي فعقلت

الفحل ونثلت كنانتي ووقفت بينها وبين الابل فوقف بعيدا وقال
احلل عقاله فقلت كلا لقد تركت نسيات بالحيرة وآليت ان لا ارجع
اليهن حتى افيدهن خيرا او اموت قال فانك ميت حل عقاله لا
ابا لك فقلت هو ما قلت قال انك لمغرور ثم قال انصب لي خطامه
وفيه ثلث كجر ففعلت فقال اين تحب ان اضع سهمي فقلت في
هذا الموضع فكانما وضعه بيدي ثم والى الثلث نصاتها فرددت
نبلي ووقفت مستسلما فدنا مني واخذ السيف والقوس ثم قال
اركب وعرف اني الذي شربت اللبن عنده فقال كيف ظنك
بي قلت احسن ظن قال وكيف قلت لما القيت من تعب ليلتك وقد
اظفرك الله بي قال اترى انى كنت اهيجك وقد بت تنادم مهلهلا
قلت ازيد الخيل انت قال نعم فقلت كن خير اخذ قال لا باس عليك
ومضى الى موضعه ثم قال اما لو كانت هذه الابل لي لسلمتها اليك ولكنها
لابنة مهلهل فاقم على فاني على شرف غارة فاقمت اياما ثم اغار على
بني نمير بالملح فاصاب ابلا فاعطانيها وبعث معي خفراء حتى اتيت
الحيرة وحكى الاصمعي قال اسر زيد الخيل الحطيئة الشاعر و
كعب بن زهير في حرب فاما كعب ففداه قومه واما الحطيئة الشاعر
فشكا الحاجة فقال زيد

اقول لعبدي جرول اذ اسرته ... اثبني ولا يغررك انك شاعر

فقال الحطيئة

فان لم يكن مالي بآت فانني ... سيأتي ثنائي زيداً ابن مهلهل
فما نلتنا غدراً ولكن لقيتنا ... غداة التقينا في المضيق بأجبل
تفادى حماة الخيل من وقع رمحه ... تفادي صفاف الطير من وقع اجدل

فرضي عنه زيد ومنّ عليه فلما رجع الحطيئة الى قومه قام شاكراً لذكر
ذاكر النعمة فلما اسرت طي بني بدر طلبت فزارة الى شعراء العرب
ان يهجوا بني لام وزيداً فتحاماهم الشعراء فجاؤا الى الحطيئة فابى عليهم
فقالوا نجعل لك مائة ناقة فقال لو جعلتموها الفاً ما فعلت ثم
قال كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تأتيني

ومن شعر زيد الخيل قوله

بني عامر هل تعرفون اذا غدا ... ابو مكنف قد شد عقد الدوابر
بجيش تضل البلق في حجراته ... ترى الاكم منه سجداً للحوافر
ابت عادة للورد ان تكره القنا ... وحاجة رمحي في نمير وعامر

وقوله غزا غزوة فطلع فرس من خيله فلم يتبع الخيل فاخذه بنو الصيداء

يا بني الصيداء ردوا فرسي ... انما يصنع هذا بالذليل
لا تذيلوه فاني لم اكن ... يا بني الصيداء مهري بالمذيل
عوّدوه كالذي عوّدته ... دلج الليل وايطاء القتيل

وقوله

جلبنا الخيل من اجاء وسلمى ... تخب نزائعاً خبب الذئاب

ضربن

صففن بغمرة فخرجن منها ... خروج الودق من خلل السحاب
وقد علمت بنو عبس وبدر ... ومرة انني شعب عقابي

والسليك ابن السلكة انما عدي على رجليه

هو السليك ابن عمير بن يثربي احد بني مقاعس وامه السلكة جاهلي
قديم وهو من صعاليك العرب العدائين الذين كانوا لا يلحقون ولا
تعلق بهم الخيل حكى ابن شهاب قال كان السليك السعدي اذا كان
الشتاء استودع بيض النعام ماء السماء ثم دفنه فاذا كان الصيف
وانقطعت اغارات الخيل اغار وكان ادل من قطاة فيجيء حتى يقف
على البيضة وكان لا يغير على مضر بل على اليمن فاذا لم يفد اغار على ربيعة
وكان يقول اللهم انك تهيئ ما شئت لما شئت اللهم اني لو كنت ضعيفاً
ما كنت عبداً ولو كنت امرأة لكنت امة اللهم اني اعوذ بك من الخيبة فاما
الهيبة فلا هيبة فذكروا انه املق حتى لم يبق له شيء فخرج على رجليه رجاء
ان يصيب غرة من بعض من يمر به فيذهب بابله حتى اذا امسى في ليلة
من ليالي الشتاء مقمرة فاشتمل الصماء ثم نام فبينما هو نائم اذ جثم عليه رجل
فقعد على جنبه فقال له استأسر فرفع السليك رأسه وقال الليل مقمر
وانت طائل فذهبت مثلاً فجعل الرجل يلهزه ويقول يا خبيث فلما
اذاه اخرج السليك يده فضم الرجل ضمة ضرط منها وهو فوقه فقال
السليك اضرطاً وانت الاعلى فذهبت مثلاً ثم قال السليك ما انت قال

رجل افتقرت فقلت لاخرجن فلا اعود الى اهلى حتى استغنى قال فانطلق
معى فانطلقنا فوجدنا رجلا قصته مثل قصتنا فاصطحبنا جميعا حتى اتينا
الجوف جوف مراد فلما اشرفنا عليه اذا فيه نعم كثير فهابوا ان يغيروا
فيطردوا ويستحثوا فيلحقهم الطلب فقال لهم السليك كونا قريبا حتى
آتى الرعاء فاعلم لكما علم الحى اقريب ام بعيد فان كان قريبا رجعت اليكما
وان كانوا بعيدا قلت لكما قولا اومى لكما به فاغيروا فانطلق حتى اتى الرعاء فلم
يزل يستنطقهم حتى اخبروه مكان الحى فاذا هو بعيد ان طلبوا لم يدركوا
فقال السليك للرعاء الا اغنيكم قالوا بلى فرفع صوته وغنى يا صاحبى
الا لا حى بالوادى الا عبيد وآم بين اذواد

هل تنظران ريث غفلتهم ام تعدوان فان الريح للعادى

فلما سمعا ذلك اتيا السليك فطردوا الابل وذهبوا باكبرها ولم يبلغ
الصريخ الحى حتى فاتوهم وقال ابو عبيدة بلغنى ان السليك رأى طلايع
لبكر بن وايل وكانوا يتجردون ليغيروا على بنى تميم ولم يعلم بهم فقالوا
ان علم السليك انذر بنا قومه فبعثوا اليه فارسين على جوادين فلما هاجاه
خرج يمحز كانه ظبى وطارداه سحابة يومهما ثم قالوا اذا كان الليل اعيا
فسقط او قصر عن العدو فناخذه فلما اصبحوا وجدوا اثره قد عثر باصل
شجرة فنزع منها وندرت قوسه فانحطمت فوجدوا قصدة منها قد ارتزت
بالارض فقالا ما له اخزاه الله وهموا بالرجوع ثم قالا لعل هذا كان من اول الليل

ثم فتر فتبعا فاذا اثره متفجا قد بال ودعى في الارض وخدها فقالا ما له
قاتله الله فما راينا اشد منه ولا نتبعه ابدا فانصرفا ووصل الى قومه
فانذرهم فكذبوه لبعد الغاية فقال

يكذبنى العمران عمرو بن جندب وعمرو بن سعد والمكذب اكذب
ثكلتهما ان لم اكن قد رايتها كراديس يهديها الى الحرب موكب

وجاء الجيش فاغاروا وحكى الاصمعى ان السليك لقى رجلا من خثعم ومعه
امراة له فاخذه فقال له الخثعمى انا افدى نفسى منك فقال له السليك
ذلك لك على ان لا تحيس لى ولا تطلع على احد من خثعم فحالفه وحلف
عنده امراته رهينة فرجع الى قومه فنكحها السليك فجعلت تقول له
احذر خثعم فانى اخاف عليك قال وما خثعم الا ثار اذلة الى الذلة
والاسحاق تمنى وتتمنى وبلغ حزره سبيل ابن قلادة وانس بن مدرك
الخثعمى فجالقا الى السليك فلم يشعر الا وقد طرقاه بالخيل فانشا يقول

من مبلغ قومى انى مقتول يا رب قرن قد تركت مجدول
ورب زوج قد نكحت عطبول ورب عان قد فككت مكبول

ثم عطفا عليه وليس له طريق للعدو فقتلاه
ومن شعره

وقد اغار بقومه فانصرفوا عنه خوفا من العطش ونجى معه رجل فسبى
مره فبكى فقال السليك وغاية ابن قال لك انا الاهب لا تسه بيدا بكى
بكى حرمه لما راى الحى اعرضت مهامه رمل دونه وسهوب



فقلت له لابنك عليك انما   قضية لنا فتؤب

سيكفيك ضرب القوم لحم معرض   وماء قدور في القصاع مشيب

الضرب اللبن الحامض وماء القدور المرق كانه يقول سنستغنى

ونأكل اللحم بعد اللبن وقوله

الا عتبت على فصارمتني   واعجبها ذوو اللمم الطواله

اشاب الراس اني كل يوم   ارى لي خالة وسط الرحاله

يشق على ان يلقين ضيما   ويعجز عن تخلصهن مالي

وعامر بن مالك انا لاعب الاسنة تبديك

هو عامر بن مالك ابن جعفر من بني صعصعة المعروف بملاعب الاسنة
ويكنى ابا براء وامه ام البنين ايمن امراة في العرب وذلك انها ولدت
من مالك بن جعفر خمسة ابا براء والطفيل ابا عامر بن الطفيل وذو سعيه
ابا لبيد ونزالا ومعوذا وسمى معوذ الحكماء وقد افتخر بها لبيد عند
النعمان فقال نحن بنو ام البنين الاربعة وانما قال الاربعة لضرورة
الشعر ونصب نحن على المدح وابو براء من فرسان العرب وكبارهم وانما
لقب ملاعب الاسنة لقول اوس بن حجر فيه

يلاعب اطراف الاسنة عامر   فراح له حظ الكتائب اجمع

وقيل لقول آخر ولقد فرعنا اخره في حرب

فررت واسلمت ابن امك عامرا   يلاعب اطراف الوشيج المزعزع

وقول

وقيل لقول حسان بن نمير وقد رآه بين فرسان اطافوا به يقاتلهم
ما هذا الا ملاعب الاسنة ووفد عامر على رسول الله صلى الله عليه وآله
ولم يسلم وتزعم بنو جعفر انه مات مسلما حدث خالد بن عبد الله قال
قدم عامر بن مالك ابو البراء مالك ملاعب الاسنة على رسول الله واهدى له
فرسين وراحلتين فقال رسول الله ص لو قبلت هدية مشرك لقبلت
هديتك وعرض عليه الاسلام فلم يسلم ولم يبعد وقال يا محمد اني ارى
امرك هذا حسنا شريفا وقومي خلفي فلو انك بعثت نفرا من اصحابك
رجوت ان يجيبوا دعوتك ويتبعوا امرك فانهم ان اتبعوا امرك فما امنع
امرك فقال النبي ص اني اخاف عليهم اهل نجد فقال عامر بن مالك لا تخف
اني جار لهم ان يعرض لهم احد من اهل نجد فبعث معه اربعين رجلا
من الانصار وقيل سبعين وامر عليهم المنذر بن عمرو فلما نزلوا بئر
من مياه بني سليم يقال له بئر معونة عسكروا وسرحوا ظهرهم وبعثوا
مع سرحهم الحرث بن الصمة وعمرو بن امية وقدموا حرام بن ملحان بكتاب
رسول الله ص الى عامر بن الطفيل في رجال من بني عامر بن مالك فلما
انتهى حرام لم يقرء الكتاب ووثب عامر بن الطفيل على حرام فقتله
واستصرخ عليهم بني عامر فابوا وقد كان عامر بن مالك خرج قبل القوم
الى ناحية نجد واخبرهم انه جار اصحاب رسول الله ص فلا تعرضوا لهم فقالوا
لن تخفر جوارك وابوا ان ينفروا مع ابن الطفيل واستصرخ عليهم قبائل

من بني سليم فنفروا معه ودلسوا عليهم فقال ابن الطفيل اقسم بالله
ما اقتل هذا وحده فاتبعوا اثره حتى وجدوا القوم فقاتل القوم حتى
قتل اصحاب رسول الله صلعم ونجى المنذر بن عمرو فقالوا له ان شئت
امناك فقال لن اقبل امانا حتى آتي مقتل حرام فاتوه حتى مصرعهم ثم
برؤا من امانه فقاتلهم حتى قتل واقبل الحارث ابن الصمة وعمرو بن
امية بالسرح وقد ارتابوا بعكوف الطير قريبا من منزلهم فجعلا يقولان
قتل والله اصحابنا ثم اوفوا على نشز من الارض فاذا اصحابهم مقتولون
والخيل واقفة فقال الحارث لعمرو ما ترى قال ارى ان الحق برسول
الله صلعم فاخبره الخبر فقال الحارث ما لك لا تأخر عن موطن قتل فيه المنذر
فاقبلا فلقيا القوم فقاتلهم الحارث حتى قتل منهم اثنين ثم اخذوه
فاسروه واسروا عمرو بن امية وقالوا للحارث ما نحب ان تضع بك فانا
لا نحب قتلك قال ابلغوا بي مصرع المنذر وبرئت ذمتكم فبلغوه ثم
ارسلوه فقاتلهم فقتل منهم اثنين فتنخعوا له الرماح حتى نظموه فيها
قتلا وقال عامر بن الطفيل لعمرو بن امية وهو اسير في ايديهم لم يقاتل
انه كانت على امي نسمة فانت حر عنها وجز ناصيته فلما جاء رسول الله
خبر بئر معونة ثم جعل يقول هذا عمل ابي براء قد كنت لهذا كارها وعاد
على قتلهم بعد الفجر في الركعة الثانية من الصبح في صبحة تلك الليلة التي
جاءه فيها الخبر فلما قال سمع الله لمن حمده قال اللهم اشدد وطأتك على مضر

اللهم

اللهم عليك ببني ذكوان وعصية فانهم عصوا الله ورسوله قال
ذلك خمس عشرة ليلة حتى نزلت هذه الآية ليس لك من الامر شيء
ثم اقبل ابو براء سائرا وهو شيخ كبير هم فاخبر بما فعل ابن الطفيل فشق
فشق ذلك عليه ولا حركة به من الضعف فقال اخفرني ابن اخي
مرتين وسار حتى لحق ابن الطفيل فطعنه بالرمح فاخطأه مقتله وقيل
كان الطاعن ربيعة ولده فتصايح الناس فقال ابن الطفيل انما لم
تضرني وقد وهبتها العمي وانصرف عنه ونزل عمرو بن مالك بقوله
قد عام الى الارتحال الى النبي صلعم وطلب ثار القتلى الذين كانوا في جواره
فتثاقلوا عليه وقالوا له بعض بني اخيه انهم يقولون انه حدث لك
عارض في عقلك فدعا ابن اخيه لبيدا وقينة له فشرب وقال لها غني
ثم قال يا لبيد لو وجدت بعمك حدث في عقله ما كنت قائلا فان قومك
يزعمون ان عقله ذهب فالموت خير من عزوب العقل فقال لبيد
قوما تجوبان مع الانواح   وابنا ملاعب الرماح   ابا براء مدرة الشياح
كان غياث المرمل المحتاج   من ابيات ثم شرب ابو براء الخمر صرفا حتى مات
وهو يقول لا خير في العيش وقد عصتني   بنو عامر وبنو جعفر بن يزعمون
انه مات مسلما وكان شريف بيته يزعمون انه لما اتى ابن اخيه عامر
ابن الطفيل مع علقمة بن علاثة يستحمل الاعانة فاعطاه نعليه فقال
استعن بهما في مفاخرتك فاني ربعت فيهما اربعين مرباعا مع انه كان

كادها المنافرة وفي ذلك يقول ... امران اسب بني شريج

ولا والله افعل ما حييت ... ومن احسن ما سمعت من شعره قوله

لعا الله انا ناعز الضيف بالقرى ... ولا امنا عن عرض والده ذبا

وادخلنا الليث من قبل اسنه ... اذا القوم ابدى من جوانبه ركبا

العود لا كرم والجبال الصغار مبخان البخيل اذ كان جالسا بفنائه
فرأى راكبا قد لاح من البعود زحف بظهره داخلا الى بيته فرارا من الضيف
وقيس ابن زهير انما استعان بدهائك هو قيس بن زهير بن
جذيمة العبسي صاحب الحروب بين عبس وذبيان بسبب الفرسين
داحس والغبراء كما سيأتي ذكرها فارسا شاعرا داهية يضرب به المثل
فيقال ادهى من قيس حكى الدليجي ان رجلا من بجيلا الاحوص فلما ادهم ض
القوم حيث يرونه نزل عن راحلته فاتى شجرة فعلق عليها رطبا
من لبن ووضع في بعض اغصانها حنظلة ووضع صرة من تراب و
صرة من شوك ثم اتى راحلته فاستوى عليها وذهب فنظر الاحوص
والقوم في امره فعيي بهم فقالوا ارسلوا الى قيس بن زهير فجاء فقال
له الاحوص الم تخبرني انه لا يرد عليك امر الا عرفت ما تاه ما لم تروا
الخيل قال وما الخبر فاعلموه فقال وضح الصبح لذي عينين فصار مثلا
يضرب في وضوح الشيء ثم قال هذا رجل اسر جيش قاصد لكم ثم اطلق
بعد ان اخذت عليه العهود والمواثيق ان لا ينذركم فعرض لكم بما فعله

اما الصرة

اما الصرة من التراب فانه يزعم انه قد اتاكم عدد كثير واما الحنظلة فانه يخبر
ان حنظلة غزتكم وان الشوك فانه يخبر ان لهم شوكة واما اللبن فهو
دليل على قرب القوم او بعدهم ان كان حلوا او حامضا فاستعد الاحوص
وورد الجيش كما ذكر وحكي ان النعمان بن المنذر ارسل الى ابيه زهير
يخطب ابنته وسأله ان يبعث اليه بعض بنيه فارسل اليه ولده
شاسا فلما قدم عليه اكرمه واحسن جائزته وزوده الى بيته وعرض عليه
ان يوجه معه قوما يخفرونه فقال لا اشتهي امنع لي من نسبتي الى ابي
وخرج وحده فمر بماء من مياه بني غني فاكل وشرب ونزل الى الماء
يغتسل وكان رياح بن الاشل الغنوي نازلا في بيته على الماء ومعه
امراته فرآها تحد النظر الى جسد شاس وقد سمنه رايحة المسك
فاخذته غيرة وفوق اليه سهما فقتله وغيب اثره واخذ ما معه وكان
فيه عيبة مملوة مسكا وعطرا وحللا يمانية وقبطا حين شاس عن زهير
فاخبر بانصرافه من عند النعمان ولم يدر من قتله فقلق لذلك
فقال قيس يا ابت انا اكشف خبر اخي ثم دعا بامراة هاوتر من نساء
قومه وكانت السنة شديدة فامرها ان تاخذ لها سمينا فتقدده وتخرج
به الى بني عامر وغني فتعرض ذلك عليهم وتقول اني قد زوجت ابنتي
وانا ابتغي لها طيبا وثيابا ففعلت الى ان وقفت على امراة الغنوي
فقالت لها ان كنت على اعطيتك صاحبك فخبرينا بامر شاس واعطتها

مسكا وثيابا وباعها ذلك بما معها من السمن واللحم وخرجت العبسية حتى اتت
قيسا فاخبرته فاخبر اباه فركب في قوم من بني عبس فاغار على بني
فقتلهم وفرقهم وحكى انه في بعض حروبه لبني ذبيان وهو يوم
الشعب صعد بالجيش والنعم الى الجبل وعقل الابل عشرة ايام لا تشرب
الماء والماء كثير تحت الجبل فلما همت بنو ذبيان بالصعود الى الجبل
حل عقل الابل وارسلت بذنب كل بعير رجل ومعه سلاحه فمرت الابل
طالبة الماء لا تمر بشيء الا طحنته والرجال في اعقابها تضرب من مرت
فكانت الهزيمة على بني ذبيان وحكى انه لما تطاولت الحروب بينه و
بين حذيفة وحمل ابني بدر الذبيانيين جمع جمعا عظيما وبلغ بني عبس
انهم ساروا اليهم فقال قيس اطيعوني فوالله لئن لم تفعلوا لاتكئن
على سيفي الى ان يخرج من ظهري قالوا فانا نطيعك فامرهم فسرحوا
السوام والضعاف بليل وهم يريدون ان يظعنوا من منزلهم ذلك
ثم ارتحلوا في الصبح واصبحوا على ظهر العقبة وقد مضى سوامهم وضعفاؤهم وهم
فلما اصبحوا اطلعت عليهم الخيل من الثنايا فقال قيس خذوا غير
الطريق الذي فيه المال فلا حاجة للقوم ان يقعوا في شوكتكم ولا
يريدون غير ذهاب اموالكم فاخذوا غير طريق المال فلما ادركه حذيفة
الاثر وراه قال ابعدهم الله وما خيرهم بعد ذهاب اموالهم وسارت
ظعن عبس والمقاتلة من ورائهم وتبع حذيفة وبنو ذبيان المال فلما

ادركوه

ادركوه ورد اوله على آخره ولم يفلت منهم شيء وجعل الرجل يطرد
ما قدر عليه من الابل فيذهب بها وتفرقوا واشتد الحر فقال قيس
يا قوم ان القوم قد فرق بينهم المغنم واشتغلوا فاعطفوا الخيل
في آثارهم فلم تشعر بنو ذبيان الا بالخيل فلم يقاتلهم كثير احد
انما كان هم الرجل في غنيمته ان يحرزها ويمضي فوضعت بنو عبس
فيهم السلاح حتى ناشدتهم بنو ذبيان البقية ولم يكن لهم هم غير
حذيفة فارسلوا الخيل تقص اثرهم وكان حذيفة قد استرخى
حزام فرسه ونزل عنه ووضع رجله على حجر مخافة ان يقص اثره ثم
شد الحزام فنفر فوقعت فرسه والحنفاء ان تقتل احدى اليدين
على الاخرى فتبعوه ومضى حتى استغاث بجفر الهباءة وهو ماء في موضع
يسمى الهباءة وقد اشتد الحر فرمى نفسه ومعه حمل ابن بدر وورقاء
ابن بلال وقد نزعوا سلاحهم وطرحوا سروجهم ودوابهم تتمعك وجعل
ربيئتهم يتطلع فاذا لم ير شيئا رجع فتطلع نظرة فقال اني رايت شخصا كالنعام
فلم يكترثوا بقوله وبيناهم يتكلمون اذا هم بشداد بن معوية فحال بينهم
وبين الخيل ثم جاء قرواش وقيس حتى تتاموا خمسة فحمل بعضهم على
خيلهم فطردها وحمل البقية على من في الجفر فقال حذيفة يا بني
عبس فاين العقول والاحلام فضرب اخوه حمل بين كتفيه وقال اتق
مأثور القول فذهبت مثلا يعني انك تقول قولا تخضع فيه وتقتل

ويشهد عنك وقتل حذيفة وحمل وبنى حصن وتفرقت بنو ذبيان وارتحل قيس في الكتائب والقتل ثم ندم على ذلك ورثى حمل ابن بدر وهو اول من رثى مقتوله ولما اطال الحروب وشكا اشار على قومه بالرجوع الى قومهم ومصالحتهم فقالوا اسر معك فقال لا والله لا نظرت في وجهي ذبيانية قتلت اباها او اخاها او زوجها او ولدها ثم خرج على وجهه حتى لحق بالنمر بن قاسط فقال يا معشر النمر انا قيس بن زهير غريب حريب فانظروا الى امراة قد ادبتها الغنى واذلها الفقر فزوجوني امراة منهم ثم قال اني لا اقيم فيكم حتى اخبركم باخلاقي اني امرؤ غيور فخور انف ولست افخر حتى ابتلى ولا اغار حتى ارى ولا انف حتى اظلم فرضوا باخلاقه واقام فيهم زمانا ثم اراد التحول عنهم فقال يا معشر النمر اني ارى لكم علي حقا بمصاهرتي لكم ومقامي بين اظهركم واني امركم بخصال وانهاكم عن خصال عليكم بالاناة فيها تدرك الحاجة وتسويد من لا تعابون بتسويده والوفاء فيه تتعايشون واعطاء من تريدون اعطاءه قبل المسئلة ومنع من تريدون منعه قبل الالحاح وخلط الضيف بالانام واياكم والرهان فيه ثكلت مالكا اخي والبغي فانه صرع زهيرا ابي وحملا والسوف في الدماء فان قتل اهل الهباءة اورثني العار ولا تعطوا في الفضول فتعجزوا عن الحقوق ثم رحل الى عمان فاقام بها حتى مات وقيل انه خرج هو وصاحب له من بني اسد عليهما المسوح يسيحان في الارض

ويقربان مما ينبت الى ان دفعا في ليلة قرة الى اخبية لقوم من العرب وقد اشتد بهما الجوع فوجدا ريح القتار فسعيا يريدانه فلما قاربا ادركت قيسا شهامة النفس والانفة فرجع وقال لصاحبه دونك وما تريد فاني لي لباعلى هذه الاجانب انه قبس داهية القرون الماضية فمضى صاحبه ورجع من الغد فوجده قد لجا الى شجرة باسفل واد فنال من ورقها شيئا ثم مات وفي ذلك يقول الحطيئة من ابيات

نظم ان قيسا كان ميتته | انفا والحر منطلق
في دريس لا يعيّبه | وبحر ثوبه خلق

يرثي حمل ابن بدر

تعلم ان خير الناس ميت | على جبل الهباءة لا يريم
ولولا ظلمه ما زلت ابكي | عليه الدهر ما بدت النجوم
ولكن الفتى حمل ابن بدر | بغى والبغي مرتعه وخيم
اظن الحلم دل على قومي | وقد يستجهل الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسوني | فمعوج علي ومستقيم

وله

تعرض من ذبيان من لو لقيته | بيوم حفاظ طار في اللهوات

وقوله

ولو ان شاء الريح يحملكم قذى | لاعينتا ما كنتم بقذاة
اذا انت قربت الظلامة لامرئ | ومال بأخرى شغبها متقادم
فلا تبد للاعداء الا خشونة | فما لك منهم ان تلين راحم

واياس بن معوية انما استضاء بمصباح ذكائك

هو اياس بن معوية ابن ابي قرة المزني قاضي البصرة وكنيته ابو وائلة
صاحب الفراسة والاجوبة البديعة يضرب به المثل فيقال
اذكن من اياس والذكن الفهم والفطن قال الشاعر
ذكنت منهم على مثل الذي زكنوا   وبعض الناس يقولوا اذكن من اياس
وهو الذي اراده ابو تمام بقوله فيهم احنف في حلم في ذكاء اياس حكى ابن عايشة
قال اول ما عرف من ذكاء اياس انه دخل الشام وهو صغير فقدم خصما
له شيخا الى القاضي عبد الله بن مروان وكان القاضي يعرف الخصم فقال
لاياس لا تستحيي تقدم شيخا كبيرا فقال اياس الحق اكبر منه قال له اسكت
قال فمن ينطق بحجتي اذا سكت قال ما احسبك تقول حقا حتى تقوم
قال اشهد ان لا اله الا الله فقام القاضي ودخل على عبد الملك فاخبره
الخبر فقال له اقض حاجته واصرفه عن الشام لا يفسد علينا الناس وحكى
عنه قال اول ما عرف من ذكاء اياس انه كان صبيا في المكتب فاجتمع قوم
من النصارى يضحكون من المسلمين وقالوا ان المسلمين يزعمون انه
لا يكون في الجنة ثفل الطعام يعنون الغايط فقال اياس لمعلمه يا معلم
اليس تزعم ان اكثر الطعام يذهب في البدن فقال نعم قال فما ينكر ان
يكون الباقي يذهب ايضا في البدن فسكت النصارى واعجب به المعلم
وحكي انه دخل الشام مرة ثانية واراد الحج فقال للكري انظر لي اثنا نا
غريبا فاني اريد ان اخرج سرا يعني عديله فاكراه ما طلبنا في المحمل ثلثا

لا يسئل

لا يسئل هذا عن شيء فقال اياس يا عبد الله بعد ثلث لا تجرن انت
قال غيلان فقال غيلان القدري فقال نعم فمن انت قال اياس
قال ابو وائلة قال نعم ان شئت سئلتني وان شئت سئلتك فقال
لغيلان تكلم فقال ان شئت اخبرتك بقول اهل الجنة واهل النار
والملائكة والشياطين والعرب والعجم فقال غيلان اخبرني بما قال
قال اهل الجنة حين دخلوها الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا
لنهتدي لولا ان هدانا الله وقال اهل النار حين دخلوها ربنا
غلبت علينا شقوتنا وقالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا وقال
الشيطان رب بما اغويتني وقالت العرب لا ينفعنك الطرهبنا ادونه
فقد خط في الاقلام ماكنت لاقيا   وقالت العجم هرج بايد مان بود
هما ار دبس **وكان سبب ولاية القضا** ان عمر بن عبد
العزيز ارسل رجلا من اهل الشام وامره ان يجمع بين اياس والقاسم
ابن ربيعة الجوشني ويولي القضاء انفذهما فجمع بينهما وكان كل منهما
يمتنع من الولاية فقال اياس للشامي سل عني وعن القاسم فقيهي
المصر الحسن البصري وابن سيرين فعلم القاسم انه ان سئل عنهما اشار به
فقال للشامي لا تسئل عنه فوالله الذي لا اله الا هو ان اياسا افضل
مني واعلم بالقضاء فان كنت ممن يصدق فينبغي لك ان تصدق قولي
وان كنت كاذبا فما يحل لك ان توليني القضاء وانا كاذب فقال اياس

للشامي انك جئت برجل فاقمته على شفير جهنم فافتديت نفسك منها بيمين
كاذبة يستغفر الله عز وجل منها وينجو من النار فقال الشامي اما اذا
فطنت لها فانا اوليك فاستقضاه فلم يزل على القضاء مدة ثم هرب
ولما ولي القضاء دخل عليه الحسن البصري فبكا اياس وقال له يا ابا سعيد
بلغني ان القضاة ثلثة رجل مال به الهوى فهو في النار ورجل اجتهد
واخطا فهو في النار ورجل اجتهد واصاب فهو في الجنة فقال الحسن
ان فيما قص الله تعالى من نبا داود ما يرد قول هولاء ثم قرا ففهمناها
سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فحمد سليمان ولم يذم داود ٭ اودع
رجل رجلا كيسا فيه دنانير وغاب مدة طويلة فلما طال الامر فتق
الرجل الكيس واخذ الدنانير ووضع عوضها فيه دراهم والخيط و
الخاتم على حاله ثم قدم صاحب المال فطلب ماله فدفع له الكيس بخاتمه فلم
يقلبه وقال هذه دراهم ومالي دنانير فقال هذا كيسك وخاتمك
فرفعه لابن هبيرة فقال لاياس انظر بينهما فقال لاياس منذ
كم اودعك قال منذ عشرة اعوام فقال فضوا الخاتم ففضوه ونثر الدراهم
فوجدوا منها ضرب خمس سنين وست سنين واقل واكثر فقال اياس
قد اقررت انه عندك منذ عشر سنين وفي الكيس ضرب خمس سنين
فاقر بالدنانير والزم ردها ونظر اياس يوما الى رجل لم يره قط فقال
هذا غريب واسطي معلم كتاب هرب له غلام فوجدوا الامر كذلك فسئل

عن ذلك

عن ذلك فقال رايته يمشي ويلتفت فعلمت انه غريب ورايت على ثوبه
حمرة تراب واسط فعلمت انه من اهلها ورايته يمر بالصبيان فيسلم عليهم
ولا يسلم على الرجال فعلمت انه معلم ورايته اذا مر بذي هيبة لم يلتفت
اليه واذا مر باسود ذي اسمال تامله فعلمت انه يطلب ابقا ووجد
يوما الحكم بن ايوب فسبه وقال انك خارجي منافق تاتيني بكفيل
فقال انت ايها الامير تكفلني ولا اعلم احدا اعرف منك بي فقال وما
علمي بك وانا من اهل الشام وانت من اهل العراق فقال اياس ففيم
الشهادة منذ اليوم وتبصر الناس هلال شهر رمضان فلم يره احد
غير انس بن مالك وقد قارب المائة سنة فشهد عند اياس فقال
اياس اشر لنا الى موضعه فجعل يشير ولا يرونه فتامل اياس فاذا شعرة
بيضاء من حاجب انس قد انثنت فصارت على عينه فمسحها اياس و
سواها ثم قال يا ابا حمزة ارنا موضع الهلال فنظر فقال ما ارى شيئا و
قيل لاياس يوما ان فيك عيوبا دمامة واعجابا بالقول وعجلة بالحكم
فقال اما الدمامة فليس امرها الي واما الاعجاب بالقول افليس يعجبكم ما
اقول قالوا نعم قال فانا احق بالاعجاب بقولي واما العجلة بالحكم فكم
هذه ومد اصابع يده قالوا خمس فقال عجلتم بالجواب ولم تعدوها
اصبعا اصبعا قالوا وكيف نعد ما نعلم فقال وانا كيف اوخر حكم ما اعلم
ودخل الى واسط فقال يوم قدمت بلدة كم غزت جيادكم من شرادكم من عنب

ان اكشف عنهم قالوا كيف قال بعنا قوم خيار القوا منكم قوما وقوم
شرار الفوا قوما فعلت ان خياركم من الفرخيار دنا وكذلك شراركم
وكان يقول عرفنا الزكن من امى وكانت خراسانية واهل بينها
يزكنون اى يتفرسون ولاياس اخبار كثيرة من هذا الباب مجموعة
فى كتاب يسمى زكن اياس ومات سنة احدى وعشرين ومائة وهو
ابن ست وتسعين سنة وكان فى العام الذى مات فيه رايت فى
المنام كانى وابى على فرسين فجريا جميعا فلم اسبقه ولم يسبقنى وكان
ابى قد مات ايضا وهو ابن ست وتسعين سنة **وسحبان انما**
تكلم بلسانك هو سحبان بن زفر بن اياس الوائلى وائل باهلة خطيب
مفصح يضرب به المثل فى البيان ادرك الجاهلية واسلم ومات سنة
اربع وخمسين حكى الاصمعى قال كان اذا خطب يسيل عرقا ولا يعيد كلمة
ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ وقدم على معوية وفد من خراسان
فيهم سعيد بن عثمان فطلب سحبان فلم يوجد فى منزله فاقتضب
من ناحية اقتضابا وادخل عليه فقال تكلم فقال انظروا الى عصا تقوم
من اودى فقالوا وما تصنع بها وانت بحضرة امير المومنين قال وما كان
يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه وعصاه فى يده فضحك معوية
وقال هاتوا عصى فجاوا بها فلم يرضها وقال هاتوا لى
عصاى فاتى بها فاخذها ثم قام فتكلم منذ صلوة الظهر الى ان فاتت صلوة

العصر

العصر ما تنحنح ولا سعل ولا توقف ولا ابتدا فى معنى فخرج منه وقد بقى عليه
منه شىء فما زالت تلك حاله حتى اشار معوية بيده فاشار اليه سحبان
ان لا تقطع على كلامى فقال معوية الصلوة قال هى امامك ونحن فى صلوة
وتحميد ووعد ووعيد فقال معوية انت اخطب العرب فقال سحبان
والعجم والانس والجن ومما روى من خطبة البليغة ان الدنيا دار بلاغ
والاخرة دار قرار ايها الناس خذوا من دار ممركم لدار مقركم ولا تهتكوا استاركم
عند من لا تخفى عليه اسراركم واخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل ان تخرج منها
ابدانكم ففيها حييتم ولغيرها خلقتم ان الرجل اذا هلك قال الناس ما ترك
وقالت الملائكة ما قدم الله فقدموا بعضا يكون لكم ولا تخلفوا كلا فيكون
عليكم ومن شعره يمدح طلحة الطلحات وهو طلحة بن عبد الله الخزاعى

يا طلح اكرم من بها حسبا ... واعطاهم لتالد منك العطا فاعطنى
وعلى مدحك فى المشاهد

فيقال ان طلحة قال له احتكم فقال فرسك الورد وقصرك بكذا فقال طلحة
اف لك لو سالتنى على قدرى اعطيتك كل فرس لى وكل قصر ولكن بنت
الا باهليتك **وعمرو بن الاهتم انما سحر ببيانك**
هو عمرو بن سنان الاهتم بن سمى التميمى المنقرى وانما لقب سنان بالاهتم
لانه هتمت ثنيته يوم الكلاب وعمرو من اكابر سادات بنى تميم وشعرائهم و
خطبائهم فى الجاهلية والاسلام بليغ القول طلق العبارة وكان يدعى المكحل

بحاله وفد على النبي صلعم الزبرقان بن بدر فاسلما وكان رسول الله صلعم
يكرمهما فسئل يوما عمرو عن الزبرقان فقال مطاع في ادنيه شديد
العارضة في قومه مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان يا رسول الله انه
يعلم مني اكثر من ذلك ولكنه حسدني فقال عمرو اما والله انه لزمر المروة
ضيق العطن لئيم الخال احمق الولد والله يا رسول الله ما كذبت في
الاولى ولقد صدقت في الثانية ولكني رجل رضيت فقلت احسن
ما علمت وغضبت فقلت اقبح ما علمت فقال صلعم ان من البيان لسحرا و
اختلف قوم في معنى الحديث ان من البيان لسحرا فقال قوم اريد به المدح
فان البيان الفهم وانما سمي سحرا لحدة عمله وسرعة قبول القلب له والتعجب
منه كما يتعجب للسحر وقد اتفق الناس على ان تصوير الحق في صورة الباطل و
الباطل في صورة الحق من اعلا درجات البلاغة وقال قوم اريد به الذم
لان السحر تمويه والبيان كثرة الكلام والنفاق واحتجوا بقوله صلعم الحياء
والعي شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق و
الاول اصح وانما سمي البيان ههنا نفاقا اذا كان من البذاء وحكى العتبي
قال وفد الاحنف وعمرو بن الاهتم على عمر بن الخطاب فاراد ان يقرع
بينهما في الرياسة فلما اجتمعت بنو تميم قال للاحنف
ثوى قدح عن قومه طول ثوى فلما اتاهم قال قوموا تناحروا فقال
عمرو انا كنا وانتم في دار جاهلية وكان الفضل فيها لمن جهل فسفكنا دماءكم

وسبينا

وسبينا نساءكم واليوم في دار اسلام والفضل فيها لمن حلم فغفر الله لنا
ولك فغلب يومئذ عمرو على الاحنف ووقعت القرعة لال الاهتم فقال عمرو

ولما دعتني للرياسة منقر لدى مجلس اضحى به النجم باديا
شددت لها اندى وقد كنت قبلها لامثالها قدما اشد ازاريا

وتوفي سنة سبع وخمسين وكان يقول اشجع الناس من رد جهله بحلمه
ويقول ذاك الحزم وكان مخضرما في الجاهلية لو كان العقل يشترى
ما كان شيء انفس منه فالعجب لمن يشتري الحمق بماله فيدخله في
نفسه فيجيبه ويسلح في ذيله ومن شعره وهو في اعلا الطبقات قوله

ومستنبح بعد الهدو دعوته وقد حان من ساري الشتاء طروق
يعالج عرنينا من الليل باردا تلف رياح ثوبه وبروق
اضفت فلم افحش عليه ولم اقل لاحرمه ان المكان مضيق
وقلت له اهلا وسهلا ومرحبا فهذا مبيت صالح وصديق
وقمت الى البرك الهواجد فاتقت مقاحيد كوم كالمجادل روق
بادماء مرباع النتاج كانها اذا عرضت دون العشار فنيق
فقام اليها الجازران فاعملا يطيران عنها الجلد وهي تفوق
فجر الينا ضرعها وسنامها وازهر يحبو للقيام عتيق
وبات لنا منها وللضيف موهنا شواء سمين زاهق وغبوق
وكل كريم يتقي الذم بالقرى وللخير بين الصالحين طريق

لعمرك ما ضاقت بلادٌ باهلها ولكنّ اخلاق الرجال تضيق

نمتني عروق من زرارة للعلى ومن فدكي والاشد عروق

مغاديب يجعلن العنق في ادومتر يفاع ويبغض الوالدين دقيق

وقوله ايضاً

وذي لوثة شهي الرقاد بعينه فقام رخيم الصوت ارث ثائر

فقلت له كمش ثيابك فارتحل ولا يتكادك السرى والهواجر

اذا ما نجوم الليل صادت كأننا مجاني يطلعن الفلاة صوادي

شامية الاسهيل كانه فتيق غدا من شوله وهو جافر

وقوله

وهو احسن ما للمتقدمين في هذا المعنى

تطاردني يوم جديد وليلة هما ابليا جسمي وكل فتى بالي

اذا ما سلخت الشهر اهللت بعده كفى قاتلا سلخي الشهور واهلالي

وات الصلح بين بكر وتغلب بن سالك

بكر وتغلب هم بنو وائل الذين قامت بينهم حرب البسوس كما تقدم في
ذكر جساس ومهلهل واستمرت اعواما كثيرة الى ان تفانى الحيان
وقتل عظماؤهم فخرج مهلهل الى اخواله ضجرا من الحرب وتطاولت
المدة ومال من بقي من القوم الى صلح بعضهم بعضا وتسلم الحارث
ابن عمرو بن معوية الكندي ملك كندة وهو جد امرئ القيس الشاعر
في الصلح بينهم والتمليك عليهم وقد كانوا قالوا ان سفهاءنا قد غلبوا

على امرنا واكل القوي الضعيف والرأي ان نملك علينا ملكا نعطيه البعير
والشاة فيأخذ من القوي ويرد الظالم ولا يمكن ان يكون من بعض
قبائلنا فيأباه الآخرون ولا تنقطع الحروب فاجابوا الحارث بن
عمرو الى ما ارادوا فقدم عليهم وتلافى بقيتهم واصلح امرهم وشغلهم
بغزو اللخميين من بني غسان ملوك الشام وكان الحارث ملكا جليلا
رفيع الهمة ويسمى آكل المرار وانما سمي بذلك لان زياد بن الهبولة احد
ملوك الشام غزا ارضه والقوم خلوف بالبحرين فاصاب سبيا وغنائم
وسبا هند ابنة ظالم زوجة الحارث فبلغ الحارث الخبر فخرج للقاء
ابن الهبولة وارسل سدوس بن شيبان وخليع بن وهب يتجسسان
له الخبر في عسكر ابن الهبولة فخرجا حتى هجما على العسكر ليلا وقد امن
الطلب وقسم النهب واخذ الرباع واوقد نارا عظيمة ونادى مناديه
من جاء بحزمة حطب فله قدرة من تمر فاخذ كل منهما حزمة من الحطب
والقاها عند النار واخذ التمر فاما خليع فقال تكفي هذه اية وانصرف
واما سدوس فقال لا ابرح حتى اتيه باهر جلي فلما دخل ابن الهبولة
قبته قرب سدوس منها بحيث يسمع كلامه واقبل ناس يحرسون
القبة فضرب سدوس يده الى جليس له مخافة ان يستنكره فقال له
من انت قال انا فلان ودنا ابن الهبولة من هند امرأة الحارث
فقبلها وداعبها وقال لها ما ظنك الآن بالحارث فقالت ما هو الظن

بذا اليقين انه لن يدع طلبك حتى يعاين القصور الحمر يعني الشام
وكاني انظر اليه في فوارس من شيبان يذمرهم ويذمرونه شديد
الكلب كانه بعير اكل مرارا فسمي اكل المرار والمرار نبت فيه مرارة اذا
اكلته منه الابل قلصت مشافرها وقيل بل سمعها سدوس
يعني هندا تقول لابن الهبولة وقد سألها من حبها الحارث فقالت
والله ما ابغضت نسمة قط بغضي له وما رايت احزم منه نائما و
مستيقظا وكان اذا اراد النوم امرني ان اجعل عنده عسا من لبن
فبين ما هو نائم يوما وانا قريب منه انظر اليه اذ قبل اسود سالخ
الى العس فشرب منه ثم مج فيه فقلت يستيقظ فيشرب منه فيموت
فاستيقظ من نومه فقال علي بالاناء فناولته اياه فشمه
ثم القاه فهريق ثم قال اين ذهب الاسود فقلت ما رايته قال كذبت
فلما سمع سدوس هذه المقالة امهل حتى نام الحرس وخرج يسري
ليلته حتى صبح الحارث فدخل عليه وهو ينشد

اتاك المرجفون برجم ظن — على دهش وجئتك باليقين

ثم قص عليه ما سمع وكان الحارث جالسا في موضع فيه شيء كثير من
نبات المرار فجعل يسمع الحديث ويعبث بالمرار ويأكل منه غيظا واسفا
وهو لا يعلم انه ياكله من شدة الغيظ الى ان فرغ الحديث ووجد طعمه
فسمي اكل المرار ثم لحق ابن الهبولة فقاتله وظفر عليه ولم يزل ملكا على

بني وايل

على بني وايل الى ان مات ومن شعره

رب هم جشمته في هواكم — وبعير تركته محسور
وغلام كلفته دلج الليل — فاضحى كانه مخمور
ان من غره النساء بشيء — بعد هند لجاهل مغرور
حلوة العين واللسان ومر — كل شيء يجن منها الضمير
كل انثى وان بدا لك منها — اية الحب حبها خيتعور

والحمالات قيد ماء عبس وذبيان اشتدت الى الكلالتك

الحمالات جمع حمالة وهي ما يتحمله الرجل عن القوم من دية او غرامة و
اصل الحروب بين بني عبس وذبيان ان قيس ابن زهير القدم
ذكره كان قد اشترى من مكة درعا حسنة تسمى ذات الفضول و
ورد بها الى قومه فرآها عمه الربيع ابن زياد وكان سيد بني عبس
فاخذها منه غصبا فانتقل عنه قيس ابن زهير باهله وماله ونزل
على بني ذبيان وسيدهم حمل ابن بدر بن حصن واخوه حذيفة بن بدر
فاكرموه واحسنوا جواره وكانت لقيس خيل كريمة من جملتها داحس
وانما سمي داحسا لانه كان لرجل من بني يربوع يقال له قرواش فرس
تسمى جلوى ولرجل منهم فرس يقال له حوط وفرس يقال له ذو
العقال وكان لا يطرقه شيئا وانهم توجهوا في نجعة والمحلاحه ابنتين لحوط
يقودانه فمرت بهما جلوى ودنيا فلما انتشاها وافتضحك شباب منهم

فاستحبت الفتايان فارسلتا مقودة فوثب على جلوى ثم جاء حوط
وكان سيء الخلق فرأى عين فرسه فقال لنا والله فاخبر الخبر فنادى
بني رياح فاجتمعوا وقالوا والله ما اكرهنا فقال اريد ماء فرسي فقالوا
له دونك فاوثقها حوط ثم جعل في يده ترابا وسطا عليها فادخل يده
في فرجها واخرجها فاشتملت الرحم على ما فيها فنتجها قرواش مهرا فسماه
داحسا السطو حوط عليه ودحسه اياه وخرج داحس كانه ابوه ثم ان قيس
بن زهير اغار على بني يربوع فغنم وسبا وركب داحسا فنيا ان نزع
اديم فنجوا وقطعا الخيل فلما رأى قيس اعجب به فدعا الى ان يجعل فدا
السبي ففعلوا وصار لقيس فتراهن رجلان من بني ذبيان على برد
على فرس لحذيفة تسمى الغبراء ايهما السابق على عشرة قلاص وقد قيل
ان داحس والغبراء كانا فرسي قيس والخطار والحنفاء فرسي حذيفة
وانهم اجروا الجميع وقيل تراهنا على فرسي قيس ايهما اسبق وللرواة
في ذكر هذا السباق اخبار مختلفة مطولة جدا تشتمل على اشعار وقد
اختصرتها لكثرة ما فيها في الموضوعات ثم ان الرجلين اجرا حذيفة
بدء الرهان على فرسه وفرس قيس فرضي به ومضيا واتيا قيسا
فقالا انا راهنا عن فرسك فقال لا اراهنا ان شئتما وجنبا ان بني بدر
فانهم قوم يظلمون فقال قد اوجبنا الرهان مع حذيفة فقال والله
ليشعلن علينا شرا ثم جاء قيس الى حذيفة فقال انا جئتك لا واضعك

الرهان عن صاحبي فقال كلا والله بالعشر فلا يصح فاحفظ ذلك قيسا
وغضب وتزايدا حتى بلغا مائة قلوص ووضع الرهان على يد رجل من
بني تغلب وجعل الغاية مائة غلوة ثم قادا الفرسين الى الغاية وركبهما
فتيان منهما وكان حمل ابن بدر قد جعل حيسا في دلاء ووضعه في
شعب من شعاب هضبة القليب على طريق الفرسين واكمن فيه
فتيانا وامرهما ان جاء داحس سابقا ان يردا وجهه الى ان تسبقه الغبراء
فسبق داحس فثار اليه من كان في الشعب فردوا وجهه وجاءت الغبراء
وعلم قيس والذي على يده الرهان بذلك فقال قيس لحذيفة اعطني
سبقي وقال الذي على يده الرهان يا حذيفة اعطوه سبقه فقد
سبق داحس فاعطاه السبق ثم ان جماعة من قوم حذيفة ندموا
على دفعه السبق الى قيس ومنعه آخرون من الشر وقالوا ان قيسا
لم يسبق لحذيفة وانما سبق داحس دابة غائب وبعث بنو مالك بن حذيفة
الى قيس يطلب منه السبق فقال له هذا سبقي فكيف اعطيكم اياه فقتلنا
ابن حذيفة بن عوض قيس وشتمه واغلظ له وكان الى جانب قيس رمح
طعنه فدق صلبه واجتمع الحيان فادوا دية المقتول واخذها حذيفة
دفعا للشر ثم ان قوما ندموا فعادوا الشر بينهم فحمل قيس بن سعد من
قومه ورحل وجمع الفرسان وقامت الفتن بين الحيين الى ان قتل مالك
بن زهير اخو قيس وكان الربيع بن زياد عمهما معتزل الحرب فلما سمع

يقتل ابن اخيه مالك ثم ذلك عليهم فقاتل بني ذبيان وقال

من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسرا يندبنه ... بالصبح قبل تبلج الاسحار

افبعد مقتل مالك بن زهير ... يرجو النساء عواقب الاطهار

يعني انه اخذ بثار مالك فقد ندبنه النساء وكذلك عادة العرب لا تندب
القتيل حتى يوخذ ثاره ولبعض الادباء اعتراض في قوله بالصبح قبل تبلج
الاسحار فان الصبح لا يكون الا بعد تبلج الاسحار واجيب باقوال منها
ان الصبح هنا الحق الواضح من وصفه الذي هو كالصبح كانهن يندبنه
بخلاله الحسنة الواضحة والبيت الثالث شاهد ذلك يستشهد به العروضيون على
دخول الحذف في عروض الطويل كما يدخل في ضربه وهو نقل السبب
من مفاعلن المقبوضة وهو قليل ولا يستعمل ثم توالت الحروب بينهم وكان
اعظمها يوم الهباءة كما تقدم وسئم قيس بن القتال فذهب الى اخواله
كما ذكر في ترجمته وكان الربيع قد مات واكل بعض القوم بعضا فقام
في الصلح الحارث بن عوف المري وهرم بن سنان المري وحملا الحمالات
واجتهدا في اصلاح ذات البين وفي ذلك يقول زهير بن ابي سلمى

تداركتما عبسا وذبيان بعدما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وكانت اليد الطولى للحرث بن عوف بن سنان اولا وآخرا والسبب في ذلك
كما حكى ان الحارث قال يوما لخارجة بن سنان اتراني اخطب الى احد فيردني

قال

قال نعم قال ومن ذلك قال اوس بن حارثة بن لام الطائي فقال الحرث
لغلامه ارحل فركبنا حتى اتينا اوس بن حارثة في بلاده فوجدناه
في فناء منزله فلما رأى الحارث بن عوف قال مرحبا بك يا حار قال وبك
قال ما جاء بك قال جئتك خاطبا قال لست هناك فانصرف ولم يكلمه
ودخل اوس الى امرأته مغضبا وكانت من عبس فقالت من رجل
وقف عليك قال ذاك سيد العرب الحرث بن عوف قالت فما لك
لم تستنزله قال انه استحمق قالت وكيف قال انه جاءني خاطبا قالت
افتريد ان تزوج بناتك قال نعم قالت فاذا لم تزوج سيد العرب
فمن تزوج قال قد كان ذلك قالت فتدارك ما كان منك قال بماذا
قالت بان تلحقه فترده قال وكيف وقد فرط مني ما فرط اليه قال
تقول انك لقيتني وانا مغضب بامر لم تقدم فيه قولا فانصرف ولك
عندي ما تحب فانه سيفعل فركب اوس ابن حارثة في اثره قال خارجة
فوالله انا لنسير اذ حانت مني التفاتة فرأيته فاقبلت على الحارث وما
كلمني فقلت هذا اوس بن حارثة فقال وما نصنع به امض فلما رآنا
لا نلتفت صاح يا حارث اربع علي فوقفنا وكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا
فبلغني ان اوسا لما دخل منزله قال لزوجته ادعي لي فلانة لاكبر بناته
فاتته فقال يا بنية هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب
وقد جاءني خاطبا وقد اردت ان ازوجك منه فما تقولين قالت لا تفعل

قال ولم قالت لان امراة في وجهي ردة وفي خلقي بعض العهدة ولست
بابنة عمه فيرعى رحمي وليس بجارك في البلد فيستحيي منك ولا امن
ان يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون علي وصمة فقال قومي بارك الله
فيك ثم دعا الوسطى فاجابته بنحو من هذا الجواب ثم دعا الصغرى
فقال لها كما قال لاختيها فقالت انت وذاك فقال اني عرضت ذلك
على اختيك فابتا فقالت لكني الجميلة وجها الصناع يدا الحسنة انا
فان طلقني فلا اخلف الله عليه قال بارك الله عليك ثم خرج
الينا فقال قد زوجتك بهيسة بنت اوس قال قد قبلت فامر امها
ان تهيئها وتصلح من شانها ثم امر ببيت فضرب له وانزله اياه فلما ادخلت
اليه لبث هنيهة ثم خرج الي فقلت افرغت من شانك قال لا والله
لما مددت اليها يدي قالت مه اعند ابي واخوتي هذا ما لا يكون
قال فامر بالرحلة فارتحلنا بها معنا فسرنا ما شاء الله ثم قال لي تقدم
فتقدمت وعدل بها عن الطريق فما لبث ان لحقني فقلت افرغت
قال لا والله قالت لي كما يفعل بالامة الجليبة والسبية الاخيذة لا والله
حتى تنحر الجزور وتذبح الغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل لمثلي قلت والله
لاري همة عقل واني لارجو ان تكون المراة النجيبة ثم سرنا حتى
دخلنا بلادنا فاحضر الابل والغنم ثم دخل اليها وخرج فقلت افرغت قال
لا والله قلت ولم ذاك قال دخلت عليها اريدها فقلت قد احضرنا من المال

ما ترين فقالت والله لقد ذكرت لي من الشرف بما لا اراه فيك قلت كيف
قالت اتفرغ لنكاح النساء والعرب تقتل بعضها بعضا يعني عبسا و
ذبيان قلت فتقولي ماذا قالت اخرج الى هؤلاء القوم فاصلح بينهم ثم ارجع
الى اهلك فلن يفوتك قلت والله لاري عقلا وهمة ولقد قالت
قولا فاخرج بنا فخرجنا حتى اتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على ان
لا يحسبوا القتلى بين الفريقين ثم تؤخذ الفضل ممن هو عليه فحملنا منهم
الديات وكانت ثلثة آلاف بعير وعاش الحارث الى ان ادرك النبي صلعم
ووفد عليه واسلم وبعث معه رسول الله صلعم رجلا من الانصار في جواره
يدعو قومه الى الاسلام فقتله رجل من بني ثعلبة فبلغ رسول الله صلعم
الخبر فقال لحسان قل فيه وقال

يا حار من يغدر بذمة جاره ... منكم فان محمدا لا يغدر

وامانة المري حيث لقيته ... مثل الزجاجة صدعها لا يجبر

فشال الحارث لهذا القول وارسل بعقده وبعث بدية الرجل سبعين
بعيرا فقبلها رسول الله صلعم ومات الحارث عقيب ذلك ومن شعره قوله

فان اكبر فاني في لداتي ... وغايات الاصاغر ان يشيبوا

وما كثرت فوائد تبتدي ... كفانا في الفوائد ما يطيب

وقوله ولو لم يكن للشاعر الا هذا القول لكفاه

كم من يد لي وذي جود نعمتها ... عندي لمختبط طار ومنتمن

اذ جاء يسعى الى رحل لاسعفه   البيس قد ظن بي خيس ام يزني

وان احتيال هرم لعامر وعلقمة حتى تصينا كان عن ارادتك

هو هرم بن قطبة ابن سنان الفزاري حكم من حكام العرب تقضي بين
السادات فيرضون بقضائه ولا يرد قوله اذا فضل احد المنافرين على الآخر
ومعنى المنافرة المحاكمة في الحسب والفضل بين الرجلين يقال نافره اذا حاكمه
ونفره اذا غلبه وعلقمة هذا هو علقمة ابن علاثة بن جعفر من بني عامر بن
صعصعة وعامر هو ابن الطفيل ابن مالك بن الاحوص وكل منهما سيد
من سادات قومه فارس شاعر وسأورد من اخبارهما شيئا فاما سبب
منافرتهما كما حكى ابو عبيدة قال اول ما هاج النفار بين علقمة بن علاثة
وعامر ابن الطفيل ان علقمة كان قاعدا ذات يوم يبول فبصر به عامر فقال
لم ار كاليوم عورة رجل اقبح فقال علقمة اما انها لا تثب على جاراتها ولا تنازل
كنائنها يعرض بعامر فقال عامر وما انت والفرس والله لفرس انثى المسمى
حوة اذكر من ابيك ولفحل الجمل المسمى العيهب اعظم ذكرا منك فقال علقمة
اما فرسكم فعارة واما فحلكم فغدرة وكانوا قد استعاروا هذا الفحل من
رجل من كلب ليستطرقوه فغلبوا عليه ولكن ان شئت نافرتك قال
قد شئت فقال علقمة والله اني لبر وانك لفاجر واني وفي وانك غادر
ففيم تفاخرني يا عامر فقال عامر اني والله لانزل منك في القفرة واكر
للبكرة واطعن للكثرة ثم تنافرا على مائة من الابل الى من نزيانيها للحكم ايهما

نفر عليه

نفر عليه صاحبه ثم خرج علقمة بمن معه من بني عامر وخرج عامر بمن معه من
بني مالك وقد اتى عامر بن الطفيل عمه ملاعب الاسنة فقال يا عماه اعني
قال يا ابن اخي سبني قال لا اسبك وانت عمي قال دونك نعلي فاني قد ربعت
فيهما اربعين مرباعا فاستعن بها في نفارك وجعلا منافرتهما الى ابي
سفين بن حرب فلم يقل فيهما شيئا وكره ذلك لحالهما وحال عشيرتهما فانطلقا
الى هرم بن قطبة حتى نزلا به فقال لاحكمن بينكما ثم لافصلن ثم لست
اثق بواحد منكما فاعطياني موثقا اطمئن اليه ان ترضيا بما اقول و
امرهما بالانصراف ووعدهما مثل ذلك اليوم من قابل فانصرفا حتى اذا بلغ الاجل
خرجا اليه فخرج علقمة ببني الاحوص معهم القباب والجزر والقدور ينحرون
في كل منزل ويطعمون وجمع عامر بني مالك وخرجوا على الخيل عليهم السلاح
فقال رجل من غني يا عامر ما صنعت اخرجت ببني مالك تفاخر بني الاحوص
معهم القباب والجزر وليس معك شيء يطعم الناس ما اسوأ ما صنعت فقال
عامر لرجلين من بني عمه احصيا كل شيء مع علقمة من قبة او قدر او لقحة
ففعلا فقال عامر يا بني مالك انها المقارعة عن احسابكم فاشخصوا بمثل
ما شخصوا ففعلوا واتوا هرما فاقاموا عنده اياما وارسل الى عامر فاتاه
سرا لا يعلم به علقمة فقال يا عامر قد كنت ارى لك رايا وفيك خيرا وما
حبستك هذه الايام الا لتنصرف عن صاحبك اتفاخر رجلا لا تفخر انت
وقومك الا بآبائه فما الذي انت به خير منه فقال عامر نشدتك الله والرحم

ان تفضل علي علقمة فوالله لئن فعلت لا افلح بعدها هذه ناصيتي فاجززها
واحتكم في مالي فان كنت لا بد فاعلا فسوّ بيني وبينه فقال انصرف فسوف
ارى رأيي فخرج عامر وهو لا يشك ان سينفره عليه علقمة ثم ارسل هرم الى
علقمة سرًّا لا يعلم به عامر فاتاه فقال يا علقمة والله لئن كنت لاحسب فيك
خيرًا تفاخر رجلا هو ابن عمك في النسب وابوه ابوك وهو اعظم منك
غناء واحمد لقاء فما الذي انت به خير منه فقال له علقمة نشدتك الله
ان تنفر علي عامرا واجابه بما اجاب به عامرا فانصرف ثم ان هرما احضر
بنيه وبني ابيه فقال اني قائل غدا بين هذين الرجلين مقالة فاذا فعلت
ذلك فليطرد بعضكم عشر جزائر فلينحرها عن عامر ويطرد بعضكم عشرة
جزائر فلينحرها عن علقمة وفرقوا بين الناس لئلا يكون لهم جماعة واصبح
هرم فجلس في مجلسه واقبل الناس واقبل علقمة وعامر حتى جلسا وقام لبيد فقال

يا هرم ابن الاكرمين منصبا ... انك قد وليت حكما معجبا
فاحكم وصوب رای من تصوبا ... فقام هرم فقال يا بني جعفر قد تحاكمتما

عندي وانتما كركبتي الجمل الادم يقعان معا على الارض وليس منكما
احد الا وفيه ما ليس في صاحبه وكلاكما سيد كريم وعمد بنو هرم الى الجزر
فنحروها وفرقوا الناس ولم يفضل بينهما وهما ابنا عم فوقع بذلك
عداوة بين الحيين وخرجا من عنده راضيين وقد قيل انه قال لهما انتما كغربي
السيف فانه لو قال كركبتي الجمل قالا ايما اليمنى وقيل انه لم يقل شيئا من ذلك

وانما

وانما اكتفينا بما قال سرًّا وذهبا عنه وادعى الاعشى انهما حاكماه وحكم لعامر
على علقمة وقال في ذلك قصائد ومات مسلما وله وفادتان احداهما الى
النبي صلى الله عليه وسلم فيما والثانية الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجرت له معه حكاية
ظريفة كان علقمة صديقا لخالد بن الوليد وكان عمر يشبه بخالد
فلقاه في الليل فقال يا خالد اعزلك وهو يظن انه خالد وكان
عمر قد عزل خالدا عن جيش الشام غيظا منه بسبب قتل مالك بن نويرة
وتزوج زوجته فقال عمر نعم فقال لعله علقمة والله ما هو الا نفاسة
عليك وحسد لك فقال عمر فما عندك معونة على ذلك قال معاذ الله
ان لعمر علينا سمعا وطاعة وما نخرج عليه ولا لخالفه وانصرفا فلما
اصبح دخل علقمة على عمر وعنده خالد فقال عمر ايه يا علقمة انت القائل
البارحة لخالد ما قلت فقال علقمة لخالد فعلتها فقال والله ما لقيتك
البارحة ولا رأيتك الا في هذه الساعة ففطن علقمة وعرف انه انما
لقي عمر وظنه خالدا فقال يا امير المؤمنين ما سمعت الا خيرا قال اجل
فولاه حوران وخرج اليها يقصده الحطيئة مادحا له فمات علقمة قبل
ان يصل اليه فقال

لعمري لنعم المرء من آل جعفر ... بحوران امسى اعلقته الحبائل
وما كان بيني لو لقيتك سالما ... وبين الغنى الا ليال قلائل

فلما وصل وجد علقمة قد اوصى له بشيء من ماله واما عامر بن الطفيل فكان

شجاعا مشهورا مقدما قال ابو عبيدة اجتمع العالمون على ان
فرسان العرب ثلثة ففارس تميم عتيبة ابن الحرث بن شهاب
احد بني ثعلبة صياد الفوارس وفارس ربيعة بسطام ابن قيس
وفارس قيس عامر ابن الطفيل وقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
واربد بن قيس مع قوم من بني عامر فقال يا محمد ما لي ان اسلمت
قال رسول الله صلعم لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم قال الا ان
تجعل لي الامر من بعدك قال ليس ذلك لك ولا لقومك قال فتجعل
لي الوبر ولك المدر قال لا ولكن اجعل لك اعنة الخيل قال اوليست
لي ثم قال والله يا محمد لاملأنها عليك خيلا ورجلا ولاربطن
بكل نخلة فرسا وولى فقال رسول الله صلعم اللهم اكفني عامرا واربد و
اهد بني عامر واغن الاسلام عن عامر ثم انهم فواحتى اذا كانوا ببعض
الطريق بعث الله تعالى على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فاندلع
لسانه في فيه كضرع الشاة فمال الى بيت امرأة من سلول وجعل يقول
غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم مات فرد اصحابه و
جعلوا على قبره انصابا ميلا في ميل وجعلوه حمى فقيل ان بعض
ولده رأى ذلك فيما بعد فقال لقد ضيقتم على ابي واما اربد فارسل
الله تعالى عليه صاعقة قتلته وفي ذلك يقول اخوه

اخشى على اربد الحتوف ولا ‖ ارهب نوء السماك والاسد

ولعامر

ولعامر بن الطفيل شعر يتمكن فمن ذلك قصيدته الرائية التي ذكر فيها
عور عينه وذلك ان مسهر بن يزيد كان فارسا شريفا فجنى جناية في
قومه فلحق ببني عامر فشهد يوم فيفا الريح مع عامر بن طفيل وكان عامر
يتعهد القوم يومئذ فيقول يا فلان ما رأيتك فعلت ويا فلان ما
رأيتك صنعت فيقول الرجل الذي ابلى انظر الى سيفي وما فيه ورمحي
وان مسهرا اقبل في تلك فقال يا ابا علي يعني ابن الطفيل انظر لي
ما صنعت انظر لي ما صنعت اليوم انظر الى سنان رمحي حتى اذا اقبل
عليه عامر وجاءه بالرمح في وجهه ففلق الوجنة وانفقأت عين عامر
ففقأها عامر وترك الرمح في عينه وضرب فرسه ولحق بقومه قالوا
وانما دعى مسهرا الى الغدر بعامر انه كان يراه يضيع بقومه هذا
فقال هذا والله مبير قومي فاراد قتله واراحتهم منه فقال عامر لقد

لقد علمت هوازن انني ‖ انا الفارس الحامي حقيقة جعفر
وقد علم المزنوق اني اكره ‖ على جمعهم كر المنيح المشهر
الست ترى ارماحهم فيّ شرعا ‖ وانت حصان ماجد العرق فاصبر
لعمري وما عمري علي بهين ‖ لقد شان حر الوجه طعنة مسهر
فبئس الفتى ان كنت اعور عاقرا ‖ جبانا فما اغني لدى كل محضر

ومن ذلك قوله

وكم مثلهم نفضا النار ودوننا ‖ اذا ما التقينا كان اخفى الذي ابدى

مطاعين في اللاء ومطاعين في الوغا شمائلنا تتلى وايماننا تندا

وصاحب صدق وقد اخذت بضبعهم وقلت له واذ وداخالك فازددا

ضروب بنصل السيف خلف صحابه اذا اغبر اولاد القنا ديف اسفرا

وجه ابن العمري قد سئل عن ابيهما الحجاج يتفق وقع عن اشارتك

يعني هرم بن قطبة المتقدم ذكره وذلك انه كان اسلم وكان عمر بن الخطاب رضي

يحبه فقال له يوما يا ابا عمرو ايهما كنت تنفر يعني علقمة وعامرا ومن كان

عندك الافضل منهما فقال لو قلت الآن فيهما كلمة لعادت جذعة

يعني الحرب بين الحيين فاعجب هذا القول منه وقال ابى حكمك الرب

وان الحجاج تقلد ولاية العراق بحذافيرها الجد الحظ والجد الاجتهاد في الامور وكلا

الوجهين يصلح ههنا وهذا المذكور هو الحجاج بن يوسف بن ابي عقيل

الثقفي الفتاك المشهور ولد سنة احدى واربعين ونشا بالطائف

وزعم بعض الرواة انه كان اول امره معلما للصبيان ويسمى كليبا وفيه يقول الشاعر

اينسى كليب زمان الهزال وتعليمه سورة الكوثر

رغيف له فلكة ما ترى وآخر كالقمر الازهر

يشير الى خبز المعلمين فانه يختلف في الصغر والكبر على قدر بيوت الصبيان

ثم صار دباغا ويستدل على ذلك بحكاية تتبرع كعب الاشقري ايام ولايته

وذلك ان المهلب ابن ابي صفرة لما طال قتال الازارقة في ولاية الحجاج

كتب اليه يستبطئه في ناحية مناجزة الازارقة ويعجزه فقال المهلب لرسوله

قل له

قل له ان الشاهد يرى ما لا يرى الغايب وقام كعب الاشقري وكان

من جند المهلب فانشد

ان ابن يوسف غره من غزوكم خفض المقام بجانب الامصار

لو شاهد الصفين حين تلاقيا ضاقت عليه رحيبة الاقطار

ورأى معاودة الدباغ غنيمة ايام كان مخالف الاقتار

وبلغت ابياته الحجاج فكتب الى المهلب يامره باشخاص كعب فاعلم كعبا

بذلك واوفده تحت ليلته الى عبد الملك بن مروان وكتب اليه يستوهبه

منه فقدم كعب برسالة المهلب الى عبد الملك فاستنطقه واستنشده

فاعجبه ما سمع منه وكتب الى الحجاج يقسم عليه ان يعفو عنه فلما دخل

كعب على الحجاج قال ايه يا كعب ورأى معاودة الدباغ غنيمة فقال ايها الامير

والله لوددت في بعض ما شاهدته من تلك الحروب وما يورده ناه المهلب

من خطرها ان انجو منها واكون حجاما او حائكا فقال له الحجاج اولى لك لولا

قسم امير المؤمنين لما نفعك ما اسمع الحق بصاحبك وبعض الرواة ينكر

هذا القول ويزعم ان الحجاج لم يزل في كنف ابيه وكان ابوه رجلا نبيلا جليل

القدر الى ان اتصل بروح ابن زنباع ثم بعبد الملك بن مروان ولم يزل

يترقى الى ان ولي العراق والمشرق وطار ذكره وعظم سلطانه واول ما عرف

من شهامته وجوده ان اباه خرج من مصر بين يدي عبد الملك بن مروان و

معه ابنه الحجاج فاقبل سليم بن عتر القاضي وكان من اورع الناس واتقيهم

فقام اليه يوسف فسلم عليه وقال اني اريد ان القى امير المؤمنين
فانكانت لك حاجة فاعلمني قال نعم حاجتي ان تسئله يعزلني
عن القضا فقال يوسف والله لوددت قضاة المسلمين كلهم يكونوا
مثلك فكيف اسئله هذا ثم انصرف فقال ابن الحجاج من هذا الذي
قام اليه فقال يا بني هذا سليم بن عتر قاضي اهل مصر وقاصهم فقال
يعمرك الله يا ابة انت ابن ابي عقيل تقوم الى رجل من كندة او تجيب
فقال والله يا بني اني ارى الناس ما يرحمون الا بهذا واشباهه فقال
والله ما يفسد الناس على امير المؤمنين الا هذا واشباههم يقعدون
ويقعد اليهم احداث فيذكرون سيرة ابي بكر وعمر فيخرجون على امير
المؤمنين والله لو صفا هذا الامر ليك امير المؤمنين ان يجعل الى
النيل فاقتل هذا واشباهه فقال ابوه والله يا بني اني لاظن ان امه
خلقتك شقيا واول ما اعجب عبد الملك منه انه كان اتصل بروح ابن
زنباع وكان من اتباع شرطته وكان روح بمنزلة نايب عبد الملك ثم ان
عبد الملك توجه الى الجزيرة لقتال زفر بن الحارث عند ما عصى عليه بقرقيسيا
فامر روح بن زنباع جماعة من اصحاب شرطته يحثون الناس
من اهل العسكر في كل منزلة وكان الحجاج من جملتهم وكان يجتهد في
ذلك الى ان مر يوما بعد رحيل العسكر بجماعة من خواص غلمان روح
في خيمة ياكلون فامرهم بالرحيل فسخروا منه ادلالا بمحلهم ومحل سيدهم

وقالوا

وقالوا له انزل كل واسكت فضرب بسيفه اطناب الخيمة فسقطت عليهم
واطلق فيها نارا فاحرقت اثاثهم فقبضوا عليه واتوا به الى روح و
سمع عبد الملك الخبر فطلبه وقال من فعل هذا بغلمان روح فقال
انت يا امير المؤمنين امرتنا بالاجتهاد فيها وليتنا ففعلنا ما امرت
وهذه الفعلة يرتدع من بقي من اهل العسكر وما على امير المؤمنين ان
يعوض عليهم ما ذهب قد قامت الحرمة وتم المراد فاعجب عبد الملك
وقال ان شرطتكم لجلد ثم اقره على ما هو عليه ولما طال القتال و
الحصار بينه وبين زفر ابن الحارث ارسل عبد الملك رجاء ابن حيوة
وجماعة منهم الحجاج بكتاب الى زفر يدعوه الى الصلح فاتوا بالكتاب
وقد حضرت الصلوة فقام رجل وصلى مع زفر وصلى الحجاج وحده
فسئل عن ذلك فقال لا اصلي مع منافق خارج على امير المؤمنين وعن
طاعته فسمع عبد الملك ذلك فزاد عجبا بالحجاج ورفع قدره وولاه
بلدا اسمها تبالة وهي اول ما ولي فخرج اليها فلما قرب سال عنها فقيل
انها وراء هذه الاكمة فقال اف لبلد تسترها اكمة ورجع فقيل في المثل
اهون من تبالة على الحجاج ثم قدم على عبد الملك ملازما خدمته فلما
فرغ عبد الملك من قتال مصعب بن الزبير ورجع الى الشام فقال
من لابن الزبير يعني عبد الله القائم بالحجاز وندب الناس الى قتاله فقام
الحجاج وقال يا امير المؤمنين ابعثني انا اليه فقد رايت في المنام كاني اخذته

وسلحة فبعثه اليه وجهز معه جيشا فقدم الى مكة ونصب المنجنيق على
الكعبة وفعل ما فعل حتى قتل ابن الزبير وصفت الخلافة لعبد الملك
فنبوا باجتهاده وارسل اليه عهده على مكة والمدينة والطائف فاستخف
اهل الحرمين واهانهم ثم كتب الى عبد الملك يقول اني خرجت
الحجاز بشمالي وبقيت يميني فارغة يعرض بالعراق فبعث اليه
عهده بالعراق وهذه احد الاقوال في سبب ولايته العراق والقول
الاخر انه وفد على عبد الملك ومعه ابراهيم بن طلحة بن عبد الله
التيمي وكان من رجال القريش علما وعملا وزهدا وديانة وكان
الحجاج مسخرا له لا يترك من اجلاله شيئا فلما قدما على عبد الملك اذن
للحجاج في الدخول فلما دخل سلم ولم يبدا بشيء الا ان قال يا امير
المؤمنين قدمت عليك برجل من اهل الحجاز ليس له نظير في كمال
المروة والديانة وحسن المذهب والطاعة مع القرابة ووجوب الحق
فقال ومن هو قال ابراهيم بن طلحة التيمي فليفعل امير المؤمنين ما
يفعله بامثاله فقال عبد الملك ذكرتنا حقا واجبا ورحما قريبة
اذن له فلما دخل قربه وادناه ثم قال له ان ابا محمد ذكرنا ما لم نزل
نعرفك به من الفضل وحسن المذهب فلا تدعن حاجة الا ذكرتها فقال
ابراهيم ان اولى الامور ان تفتتح به الحوائج ما كان لله فيه رضا ولحق
رسول الله اداء ولجماعة المسلمين نصيحة قال وما هو قال لا يمكن القول

الا

الا وانا خال فاخلني قال اودون ابي محمد قال نعم فاشار عبد الملك الى الحجاج
فخرج فقال قل فقال يا امير المؤمنين انك عمدت الى الحجاج مع
تغطرسه وتعجرفه وبعده من الحق وركونه الى الباطل فوليته الحرمين
وبهما من اولاد المهاجرين والانصار من قد علمت يسومهم الخسف و
يقودهم بالعنف ويطاهم بطغام اهل الشام ورعاع لا روية لهم في اقامة
حق ولا في ازاحة باطل ثم تظن ان ذلك ينجيك من عذاب الله فكيف
بك اذا جاثاك محمد عند الخصومة بين يدي الله تعالى اما والله انك لن
تنجو هنالك الا بحجة تضمن لك النجاة فابق لنفسك او دع وكان عبد الملك
متكيا فاستوى جالسا وقال كذبت ومنت فيما جئت به ولقد ظن
بك الحجاج ظنا لم يجده فيك فانت المائن والحاسد قال فقمت والله
لما ابصر شيئا فلما جاوزت الستر لحقني لاحق فقال للحاجب امنع هذا
من الخروج واذن للحجاج فدخل فلبث مليا ولا اشك انهما في امري ثم خرج
الاذن لي فدخلت فلما كشف الستر اذا انا بالحجاج خارج فاعتنقني وقبل
ما بين عيني وقال اذا جزى الله المتواخيين بفضل تواصلهما فجزاك الله
افضل الجزاء اما والله لئن بقيت لارفعن ناظريك ولاتبعن الرجال غبار
قدميك قال فقلت في نفسي انه ليسخر بي فلما وصلت الى عبد الملك ادناني
مجلسي كما فعل في الاول ثم قال يا ابن طلحة هل اعلمت الحجاج بما جرى او
شاورك احد في نصيحتك قلت لا والله ولا اعلم احدا اظهر يدا عندي من

الحجاج ولو كنت محابيا احدا بديني لكان هو ولكني آثرت الله ورسوله
والمسلمين فقال قد علمت صدق مقالتك ولو آثرت الدنيا لكان
في الحجاج امل وقد عزلته عن الحرمين لما كرهت ولايته عليهما واخبرته انك
الذي استنزلتني له عنهما استصغارا للولاية ووليته العراق لما
هنالك من الامور التي لا يدحضها الا مثله وانما قلت له ذلك ليؤدي
ما يلزمه من ذمامك فاخرج معه فانك غير ذام لصحبته مع يدك عنده
فخرج مع الحجاج فاكرمه اضعاف اكرامه واستدل الناس على مكانه من عبد الملك
واخلاقه واعترافه بالحق وتلطفه بالامور وقيل في سبب ولاية الحجاج
العراق قول آخر ثم رحل الحجاج الى العراق فدخل الكوفة وبدأ بالمسجد
وخطب خطبته المشهورة التي يقول فيها يا اهل العراق يا اهل الشقاق والنفاق والله
لاعصبنكم عصب السلمة ولالحونكم لحو العصا فطالما اوضعتم في
الضلالة وتماديتم في الجهالة يا عبيد العصا انا الغلام الثقفي لا اعد
الا وفيت ولا اخلق الا فريت انما مثلكم كما قال الله تعالى وضرب الله
مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان
فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون
شاهت الوجوه فانكم اشباه ذلك فاستوثقوا واستقيموا اقسم بالله
لتدعن الارجاف ولتقبلن على الانصاف ولتنتهن عن القيل و
القال وكان وكان وما الخبر وما الخبر او لاهبرنكم بالسيف هبرا يدع النساء

ايامى

ايامى والولدان يتامى والله لكاني انظر الى الدماء تترقرق بين اللحى
والعمائم فلما سمع اهل الكوفة هذه الخطبة وكان بعضهم قد اخذ
حصى اراد ان يحصب به الحجاج فتساقط من ايديهم خوفا ورعبا وثبتت
مهابته في قلوبهم وتحكم حينئذ في رقابهم وكان القاسم ابن سلام
يقول قاتل الله اهل الكوفة اي قبائلهم وعشائرهم واهل الانفة
منهم واين نخوتهم قتلوا عليا وطعنوا الحسين صلوات الله عليهما و
قاتلوا المختار وعجزوا عن قتل الملعون الدميم الصورة وقد جاءهم
في اثني عشر راكبا وهم في مائة الف ولكن ظهر تصديق قول امير المؤمنين علي
في قوله اللهم سلط عليهم الغلام الثقفي ثم اقام الحجاج بالعراق يقتل
ويرهب حتى استوسقت له الامور ثم خرج عليه عبد الرحمن بن الاشعث
باهل العراق فامده عبد الملك باهل الشام فكانوا اشيعتهم واستمرت بينه
وبين ابن الاشعث الوقايع حتى هزم الحجاج بدير الجماجم بعد ثمانين
وقعة في ستة اشهر وكان مع ابن الاشعث اكثر من مائتي الف فلما هزموا
قال الحجاج لاصحابه اتركوهم فليتبددوا ولا تتبعوهم ثم نادى مناديه
من رجع فهو آمن ودخل الكوفة وجاء الناس من المنهزمين يبايعونه
فكان يقول لمن جاء يبايعه اشهد على نفسك بالكفر وخروجك عن
الجماعة ثم تب فان شهد والا قتله فاتاه رجل من خثعم فقال اشهد على
نفسك بالكفر فقال ان كنت عبدت ربي ثمانين سنة ثم اشهد على نفسي

بالكفر لبئس العبد انا والله ما بقي من عمري الا ظمؤ حمار واني انتظر
الموت صباحا ومساء فامر به فضربت عنقه وقدم بعده شيخ اخر فقال له
الحجاج ما اظن الشيخ يشهد على نفسه بالكفر فقال يا حجاج اخادعي
انت عن نفسي انا اعرف بما منك واني لاكفر من فرعون وهامان
فضحك الحجاج وخلى سبيله وكان في الحجاج خلال اماثل منها في وقته
الكرم والفصاحة والدهاء والجور وحلم في بعض الاوقات فاكرمه
تحكى انه لما دخل المدينة فرق في اهلها عشرة الاف دينار ثم قال
اتيناكم وقد غاض الماء لكثرة النوائب فاعذرونا فقال رجل لا عذر الله
من يعذرك وانت امير المصرين وابن عظيم القريتين فقال صدقت
واقترض مالا من هناك من التجار فكان ما اعطاهما والملوك العراق كان
يطعم كل يوم على الف مائدة يجتمع على كل مائدة عشرة انفس ويطاف
به على ايدي الرجال في محفة يشرف على القوم ويقول يا اهل الشام
اشبعوا الخبز لئلا يعاد عليكم وقيل كان هذا فعله باهل الشام
خصوصا وكان يرسل الى الناس لحضور الطعام فكثر عليه ذلك
فقال ايها الناس رسولي اليكم اذا طلعت الشمس فاحضروا للغداء
واذا غربت فاحضروا للعشاء فكانوا يفعلون ذلك واستقل الناس
يوما فقال ما بال الناس قد قلوا فقام رجل فقال يا ايها الامير انك
اغنيت الناس في بيوتهم عن الحضور الى مائدتك فاعجبه ذلك وقال

اجلس

اجلس بارك الله عليك واما دهاؤه فحكى عبد الله بن ظبيان قال
مصعب ابن الزبير قال كنت يوما واقفا على باب الحجاج فاذا به قد خرج
وحده وكانت القائلة وما بالباب احد فوقع في نفسي ان اقتله
فنظر الي وقال هل لقيت يزيد بن ابي مسلم سيفي كانه قلت لا
قال القه فان عهدك على الربيعة معه قطعمت وكففت عنه وتوجهت
الى يزيد فلم يكن معه عهد ولا شيء من ذلك وانما قال الحجاج ذلك
حذرا وبينا هو وعبد الملك في بعض المساجد بابين فوقعت صاعقة
احرقت باب عبد الملك فداخله حسد للحجاج فكتب اليه الحجاج انما
مثل امير المؤمنين ومثلي كمثل بني آدم اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما
ولم يتقبل من الاخر ودخل يوما على عبد الملك فدعا بالشراب فقال
يا امير المؤمنين اعفني فاني انهى اهل عملي عنه واكره ان اخالف قول
عبد الصالح وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه فقال عبد الملك انه
نبيذ الرمان يشهي الطعام ويزيد في الباءة فقال الحجاج اما كونه يشهي
الطعام فوالله لوددت ان هذه الاكلة حتى اموت واما كونه يزيد في
الباءة فحسب الرجل ان يضع في الشهر مرة وصعد يوما المنبر فاراد ان
يختبر طاعة الناس له فقال الا ان الحجاج كافر فلم يرد عليه احد شيئا فقال
باللات والعزى وبالبغلة الشهبا ودخل عليه قاتل الحسين ع فقال
له انت قاتل الحسين ع قال نعم قال كيف قتلته قال دسرته بالرمح دسرا ثم

هبرته بالسيف هبرا وكلمت امرأته الى ربي عني وكل فقال الحجاج
اما والله لا يجتمعان في الجنة وكان قصد رضا اهل العراق واهل الشام فخرج
اهل العراق يقولون صدق الحجاج لا يجتمع واصحاب رسول الله صلعم و
قاتله في الجنة وخرج اهل الشام يقولون صدق الامير لا يجتمع من شق
عصا المسلمين وخالف امير المؤمنين هو وقاتله في طاعة الله في الجنة
واما جوره وسفكه الدماء فقد ذكر انه قتل اكثر من مائة الف صبرا اخرهم
سعيد بن جبير رضي الله عنه ومات في حبسه اكثر من عشرين الفا لم يجب
على احد منهم حد وكان حبسه بغير سقف ولا ظل صيفا ولا شتاء و
الناس فيه بعضهم على بعض ونزع عليهم يوما فاستغاثوا به فقال
اخسئوا فيها ولا تكلمون وقال ابو عمرو بن العلاء كنت اقرأ الا من اغترف
غرفة بيده بالفتح وبلغ الحجاج الخبر وكان يقرأ بالضم فطلبني فهربت
الى ذي صنعاء فاقمت زمانا فسمعت اعرابيا يقول لآخر قد مات
الحجاج فقال الاعرابي ربما تجزع النفوس من الامر له فرجة كحل العقال فلم
ادر بأي شيء كنت اشد فرحا بموت الحجاج ام بسماع البيت استشهد به
على القراءة وحكى بعض القراء قال قرأ الحجاج في سورة هود انه عمل غير
صالح فلم يدر ايقول عمل ام عمل فقال ائتوني بقارئ فاتي به وقد قام
من مجلسه فحبست ونسيني الحجاج حتى عرض السجن بعد ستة اشهر فلما انتهى
الي قال فيم حبست قلت في ابن نوح اصلح الله الامير وحكي انه اراد سفرا فصعد

المنبر فقال اني عزمت على السفر وخلفت عليكم ابني محمدا واوصيته خلاف
ما اوصى به العبد الصالح ان لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم
الا واني اعلم انكم تقولون لا احسن الله له الصحابة الا واني معجل لكم
الجواب لا احسن الله عليكم الخلافة وحدث رجل قال هربت من الحجاج
حتى مررت بقرية فاجد كلبا نائما في ظل جب فقلت في نفسي ليتني
كنت هذا الكلب كنت مستريحا من خوف الحجاج ومررت ثم عدت من
ساعتي فرأيت الكلب مقتولا فسألت عنه فقيل جاء امر الحجاج بقتل
الكلاب فتعجبت من عموم جوره واما حلمه فيحكى عنه انه خرج يوما الى
ظاهر الكوفة منفردا فرأى رجلا فقال ما تقولون في اميركم قال الحجاج
قال نعم فقال زعموا انه من ثمود وكفر بسوء سيرته خبثا فعليه لعنة الله
فقال الحجاج اتعرفني قال لا قال انا الحجاج فقال الرجل اتعرفني ايها الامير
قال لا قال انا مولى بني عامر احمق في كل شهر ثلاثة ايام هذا اليوم اشدها
فضحك من كلامه وصفح عنه واتي بقوم من اصحاب ابن الاشعث فامر
بضرب اعناقهم فقام رجل فقال ايها الامير ان لي عندك يدا قال
وما هي قال شتمك رجل بحضرة ابن الاشعث فرددت عنك فقال
من يشهد لك فقال هذا واشار بيده الى رجل منهم فقال صدق ايها
الامير فقال ما منعك ان تفعل كما فعل قال بغضي لك فقال الحجاج
اطلقوا هذا لليد عندنا وهذا لصدقه في مثل هذا الوقت وقال يوما

لاحد بن يونس فكرت في امرك فوجدت دمك ومالك لي حلالا فقال
ايها الامير اشد ما في القضية ان هذا الراى بعد الفكرة فضحك وعفى
عنه وعطس يوما بعض ندمائه وقد ادركته سنة فعطس النديم عطسة
منكرة ففزع الحجاج وقام مغضبا وقال اما اردت بهذه العطسة الا
ان تروعني فقال ايها الامير هذه والله عادتي فقال والله لئن لم
تاتني بشاهد على ذلك والا ضربت عنقك فخرج الرجل فوجد بعض
اصحابه فقص عليه الامر فقال انا اشهد لك فدخلا على الحجاج فقال
لصاحبه بم تشهد قال ايها الامير اشهد انه عطس يوما عطسة وقع
منها ضرسه فضحك الحجاج حتى استلقى وقال حسبك ولم يكن ما اخرجه او
كان قليل الضحك الا ان يغلب عن نفسه واما فصاحته وبلاغته
فمنها خطبته المشهورة المطولة مثل يوم دير الجماجم وغيره وفصول الوعظ
في المكاتبات وعلى المنابر قال مالك بن دينار والله لربما رايت الحجاج
يتكلم على المنبر ويذكر حسن صنيعه الى العراق وسوء صنيعهم اليه حتى يخيل
لي انه مظلوم وقال الحسن البصري لقد وقذتني كلمة سمعتها من الحجاج
يقول على هذه الاعواد ان امرأ ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له
لجدير ان تطول حسرته وخطب يوما فقال ايها الناس اقدعوا هذه
الانفس فانها اسأل شيء اذا اعطيت وامنع شيء اذا سئلت فرحم الله
امرأ جعل لنفسه خطاما وزماما فقادها بخطامها الى طاعة الله وعطفها

بزمامها

بزمامها عن معصية الله فاني رايت الصبر على محارم الله ايسر من الصبر على عذابه
وبلغه وفاة اخيه وابنه فصعد المنبر فقال محمدان في يوم واحد اما والله ما كنت
احب ان يكونا معي في الدنيا لما ارجو لهما من ثواب الاخرة وايم الله ليوشكن
الباقي منا ومنكم ان يفنى والجديدان يبلى وستدال الارض منا فتاكل
من لحومنا وتشرب من دمائنا كما اكلنا من ثمارها وشربنا من انهارها
وخطب يوما فقال ان الله امرنا بامره بالعمل وكفانا الرزق فليتنا لو امرنا
بالرزق وكفينا العمل وقال ايها الناس والله ما احب ان ما مضى من الدنيا
بعمامتي هذه ولما بقي منها اشبه بما مضى من الماء بالماء ولما قتل عبد
الله بن الزبير ارتجت مكة بالبكاء فصعد الحجاج المنبر فقال الا ان ابن
الزبير قد كان من اخيار هذه الامة حتى رغب في الخلافة ونازع فيها و
خلع طاعة الله واستكن بحرم الله ولو كان شيء مانعا للعصاة لمنعت آدم
حرمة الجنة لان الله تعالى خلقه بيده واسجد له ملئكته واباحه جنته فلما
عصاه اخرجه منها بخطيئته وآدم على الله اعظم من ابن الزبير والجنة اعظم
حرمة من الكعبة وخطب يوما فقال ايها الناس من اعياه داؤه فعلي دواؤه
ومن ثقل عليه رأسه وضعت عنه ثقله ان للشيطان طيفا وللسلطان
سيفا فمن وضعه ذنبه رفعه صلبه ومن لم تسعه العافية لم تضق عنه
الهلكة وارجف قوم بموته فخرج متحاملا حتى صعد المنبر فقال الا ان اهل
العراق ان اهل النفاق نفخ الشيطان في مناخرهم فقالوا مات الحجاج وان مت

قبح الله ما يرجى الخير الا بعد الموت وما رضي الله تعالى ذكره بالتخليد لاحد من
خلقه الا اخسهم واهونهم عليه ابليس ولقد سأل سليمان ع ربه فقال
رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فنفذ ثم اضمحل كان لم يكن
استغفر الله لامير المؤمنين ولي وللمسلمين ثم نزل فكتب الى قتيبة بن مسلم
اني نظرت في سني فاذا انا ابن خمسين سنة وانت نحو مني في السن و
ان امرءا قد سار خمسين حجة الى مورد لقمن ان يرده ولما حضرته الوفاة كان
يقول اللهم اغفر لي فان الناس يزعمون انك لا تفعل ومات بواسط
سنة خمس وتسعين وهي مدينته التي انشأها وكان بموضعه عرس المرفه و
لم يعلم بموته حتى اشرفت جارية من القصر وهي تبكي وتقول الا ان مطعم الطعام
ومفلق الهام قد مات ثم دفن فسمع من السلاسل من قبره فقال كاتب رحمك
الله ابا محمد ما تدع قراءة القرآن حيا ولا ميتا فضحك الناس من قوله ووقف
رجل من اهل دمشق من قبره فقال اللهم لا تحرمنا شفاعة الحجاج وحلف رجل
بالطلاق ان الحجاج في النار فاستفتى طاوس فقال يغفر الله لمن يشاء وما
اظننا الا طلقت فقال انه استفتى الحسن فقال اذهب الى زوجتك وكن
معها فان لم يكن الحجاج في النار فما يضركما انكما في الحرام وقتيبة فتح ما وراء النهر
بعده هو قتيبة بن مسلم بن عمرو الباهلي وكنيته ابو صالح نشأ في الدولة
المروانية وترقى وتولى الامارة وفتح الفتوحات العظيمة وغنم ما وراء النهر بلادا
وابلى في الكفار وكان شجاعا جوادا ادمث الاخلاق فطنا ولم يكن يعاب الا

انه

انه باهلي وكان اصحابه يمازحونه بذلك ويحلم ويحتمل حكى ابو عبيدة قال
قدم رجل من بني سلول على قتيبة بن مسلم بكتاب عامله على الري وهو العلا
المحاربي فرآه على الباب قدامة بن جعفر وكان صديقا لقتيبة كثير
الادلال عليه فدخل على قتيبة فقال بالباب الام العرب فقال ومن هو قال
سلولي رسول لمحاربي الى باهلي فتبسم قتيبة تبسم غيظ والتفت الى مرداس
الاسدي فقال انشدني شعر الاقيشر يهجو مرداس سر اده فانشده شعر
الاقيشر فيه تعريض بقدامة

قلت قم صل فصلى قاعدا　　تتغشاه سمادير السكر

فتغير وجه قدامة فقال قتيبة هذه بتلك والبادي اظلم ويروى انه مازح
اعرابيا جافيا فقال ايسرك ان تكون مثلي باهليا اميرا فقال لا والله
قال فيكون باهليا خليفة قال لا والله ولو ان لي ما طلعت عليه الشمس
قال فيسرك ان تكون باهليا وتكون في الجنة فاطرق ثم قال بشرط
ان لا يعلم اهل الجنة اني باهلي فضحك قتيبة من قوله وكان قتيبة من اكبر
الامراء المنتمين الى الحجاج وهو الذي كاتب عبد الملك بن مروان في امره
في ولاية خراسان وذلك ان يزيد بن المهلب كان قد ولي خراسان بعد ابيه فظهر
منافقته وعظمت آثاره فحسده الحجاج فعمل على عزله وتوليته قتيبة وكان لما
اكد امر يزيد انه عند الحجاج وفد على عبد الملك ثم عاد الى العراق فمر في طريقه
بدير فيه راهب عالم بالكتب وعلوم الاول فسأله هل تجدون امرنا في كتبكم قال

نعم فما تقول في عبد الملك قال نجده في زماننا الذي نحن فيه قال ومن
يقوم بعده قال رجل يسمى الوليد قال فهل تعلم من يلي العراق قال نعم
قال فمن يليه قال يزيد قال في حياتي ام بعد مماتي قال لا اعلم فوقع
في نفس الحجاج انه يزيد بن المهلب ثم جلس يوما يبكي وعنده عبيد بن
يونس وهو ينكت في الارض فقال له ما الذي بك قال ان اهل الكتب
يذكرون ان ما تحت يدي يليه رجل يسمى يزيد واني نظرت في
هذا الاسم فذكرت جماعة منهم يزيد بن ابي كبشة ويزيد بن الحصين
ويزيد بن دينار وليس فيهم من يصلح لهذا الامر وما ثم غير يزيد بن
المهلب قال فاحلق به فلم يجد شيئا يعزله به فكتب الى عبد الملك بن
مروان يذم من يزيد ويقول انه يميل الى آل الزبير فكتب اليه عبد
الملك ان ذلك وفاء لآل الزبير من آل المهلب ووفاؤهم لا ولئك
يدعوهم الى الرقا منا فكتب اليه الحجاج يخوفه غدر يزيد وآل المهلب
فكتب اليه عبد الملك قد اكثرت في يزيد فسم لي رجلا يصلح لخراسان
فسمى له مجاعة ابن سعود فلم يكن يصلح وانما جعل ذلك دهاء منه حتى لا
يعرف ميله الى قتيبة ويعلم ان عبد الملك لا يرضى مجاعة بن سعر فكتب
اليه عبد الملك يسفه رايه ولم يرض ابن سعر فسمى له قتيبة ابن مسلم فقال
وله فولاه وكره ان يواجه ابن المهلب بالعزل فكتب اليه اقدم علي واستخلف
اخاك وعند قدومه سار قتيبة الى خراسان فدخلها وصعد المنبر.

فسقطت

فسقطت العصا من يده فتطير الناس فاخذها وقال ليس كما سا
الصديق وسر العدو ولكن كما قال الشاعر

فالقت عصاها واستقرت بها النوى ... كما قر عينا بالاياب المسافر

ثم نهض قتيبة لغزو ما وراء النهر فجمع جيوشه وخطبهم خطبة بليغة و
قطع النهر فتلقاه ملك الطالقان ورسل الملوك وهداياهم واولهم صاحب
طخارستان وهو من ملوك الترك وارسل اليه مفتاح بلده وغير ذلك
من الهدايا فصالحهم واقام قتيبة على بلخ لان بعضها كان عاصيا عليه
فقاتل اهلها وسباهم وكان فيمن سبا امراة برمك جد البرامكة و
صارت الى عبد الله بن مسلم اخي قتيبة فواقعها فيقال حملت منه بخالد
وقيل كانت حاملا به ثم غزا قتيبة بيكند وهو ادنى مداين بخارا من
النهر ويقال لها مدينة النحاس اي وهي على راس المفازة من بخارا فلما
نزل بهم استنصروا بالصغد واستنجدوا من وراءهم فاتوهم في جمع كثير
واخذوا على قتيبة الطرق والمضايق فلم يصل اليه رسول ولا قدر على
انفاذ رسول مدة شهر وابطا على الحجاج خبره فاشفق عليه وعلى
من معه من المسلمين فامر الناس بالدعاء وكتب بذلك الى الامصار
واقام قتيبة يقاتلهم كل يوم وكان لقتيبة عين فيهم يقال له تيذر
عجمي فجمع اليه اهل بخارى مالا على ان يدفع عنهم قتيبة فاتاه فقال
اخلني فاخلى المجلس فقال قد عزل الحجاج عن العراق وهذا عامل جديد

يقدم عليك فارجع بالناس الى مرو وكان عند قتيبة لغلامه
اقتل سيد دفضرب عنقه وقال الغراد والله لئن علم احد بهذا الحديث
قبل ان ينقضي حربنا لالحقنك به فان انتشار مثل هذا الحديث
يفت في اعضاد المسلمين ثم اصبح الناس على راياتهم وانكروا قتل
سيد وقالوا كان ناصحا للمسلمين فقال قتيبة ظهر لي غشه فاخانه
الله بذنبه ثم تقدم فقاتل وانزل الله النصر على المسلمين فهزموهم وفتح
ع قتيبة اكثا فنم ووصل الى ليكند ففتحها عنوة واصاب بها من
الاموال والجواهر ما لم يصبه في بلد آخر وكان بها صنم فاذابوه فخرج
منه مائة الف وخمسون الف مثقال ذهب فكتب الى الحجاج بالفتح ثم
توجه الى سجستان فارسل اليه صاحبها فصالحه ثم توجه الى خوارزم
وكان صاحبها قد ارسله نزاخو فان اخيه الخارج عليه فصالحه وسلم
اليه خاه لانه كان شرط عليه ذلك ثم توجه الى سمرقند فقاتلهم السغد
فصالحوا الصلح فصالحهم على الفي الف ومائتي الف كل سنة وعلى ان
يعطوه ثلثين الف راس ليس فيهم طفل ولا شيخ وعلى ان يخلوا المرتبة
المدينة لقتيبة ويخرجوا منها المقاتلة ويدخلها قتيبة فيبني بها مسجدا
ويصلي فيه ويخطب ويتغدا ويخرج منها فاجابوه فقال ابعثوا لنا ما
صالحناكم عليه فبعثوا اليه بالمال والرؤوس فقال قتيبة الان ذلوا
حين صار اولادكم واخوانهم في ايدينا ثم بنوا جامعا ونصبوا فيه منبرا

ودخلو

ودخلوا المدينة وانتخب قتيبة من اراد من فرسانه ودخلها فاتى المسجد
فصلى وخطب ثم تغدا وارسل الى اهلها الست بخارج منها فخذ واما
اعطيتمونا فكان قتيبة يعير باهل سمرقند ثم حرق الاصنام
وبيوت النيران ووجد جارية من بنات يزدجرد فقال قتيبة اترى
هذه يكون هجينا فقالت نعم من قبل ابيه فارسل بها الى الحجاج فبعث
بها الى الوليد بن عبد الملك فولدت له يزيد ثم غزا قتيبة الصين
وكاشغر فبعث اليه ملك الصين ابعث لنا رجلا من قومك ننا لهم
عن دينكم فانتدب له عشرة من اشراف القبائل لهم هيبة وجمال فدخلوا
عليه وعليهم ثياب رقيقة فلم يكلمهم احد فنهضوا ثم دخلوا عليه في اليوم
الثاني وعليهم البيض والمغافر والسلاح كانهم الجبال فقال الملك
احدهم من ضيعهم امس واليوم فقال ذاك لباسنا في اهلنا وهذا
في حربنا فقال انصرفوا الى صاحبكم وقولوا له ينصرف فقد عرفت قلة
اصحابه والا بعثت اليه من يهلكه ومن معه فقالوا كيف تقول هذا لمن
اول خيله في بلادك واخرها في منابت الزيتون يعنون الشام وقد غزاك
في بلادك ودوخها وسار وهو في طلبك لا تردله راية فقال وما الذي
يريد قال انه اقسم لا يرجع حتى يطأ ارضك ويختم على اعناق الملوك
ويأخذ الجزية قال الملك فنحن نبر قسمه ثم دعا بصحاف من ذهب وجعل
فيها من تراب قصره ودعا باربعة من اولاد الملوك وبعث مع الاكثر وما

ليطا هذا التراب بخيتم على هذه الغلمة ويأخذ منا المال ففعل قتيبة
ذلك ووقر عليه المال ومضى وقد اذعنت له ممالك ما وراء النهر و
اشتهرت فتوحاته حتى سمع معبد المغني انه فتح سبعة حصون في
المشرق لا يرتقى اليها فصنع سبع اصوات صعبة المأخذ وسماها
مدن معبد معارضة لقتيبة واقام قتيبة بالمشرق واليا عليه ثلاث
عشرة سنة عظيم الرتبة مرهوب الجانب وكان اشرف بيته ثم عمل
على خلع سليمان بن عبد الملك لما سمع انه عازم على ولاية يزيد
المهلب حكى الجاحظ قال لما بلغ قتيبة ان سليمان يريد عزله عن خراسان
كتب ثلث صحايف وقال للرسول ادفع اليه هذه فان دفعها الى
يزيد بن المهلب فادفع له هذه فان شتمني فادفع اليه الثالثة فلما
دفع له الكتاب الاول اذا فيه لامير المؤمنين ان من بلائي في طاعتك
وطاعة ابيك كيت وكيت فدفعه الى يزيد فدفع الرسول اليه الكتاب
الثاني وفيه عجبا كيف تأمن ابن دحمة على اسرارك ولم يكن ابوه يأمنه
على امهات اولاده يعني يزيد بن المهلب فشتم قتيبة فدفع اليه الرسول
الكتاب الثالث وفيه من قتيبة الى سليمان اما بعد والله لاوتدن لك
اخية لا ينزعها المهر الارن فقال سليمان جددوا له عهدا على عمله ثم
فسدت على قتيبة بطانته وقتلوه في خلافة سليمان وقام الغزاة في
المشرق عليه وقال رجل من الاعاجم يا معشر العرب قتلتم قتيبة والله

لو كان

لو كان فينا لجعلناه في تابوت واستفتحنا به غزونا ولقتيبة اجابات و
الفاظ تدل على غزارة علمه وعقله وفصاحته كتب اليه الحجاج اني قد
طلقت بنت قطن الهلالية عن غير ريبة فتزوجها فكتب اليه ليس كل
مطالع الامر احب ان اطلع فقال الحجاج ويل ام قتيبة اعجابا بقوله
وكتب عبد الملك الى الحجاج ان قدح ابن مقبل فلم يدر الحجاج ما اراد
له فقال فسال قتيبة وكان عالما برواية الشعر فقال قتيبة ان ابن مقبل نعت قدحا

غدا وهو مجدول فراح كأنه ... من المس والتقليب بالكف افطح
اذا امتحنته من معد قبيلة ... غدا ربه قبل المفيضين يقدح

يصف هذا القدح وهو السهم الذي يستقسم به على عادة العرب في الميسر
وهو اصطلاح على نوع من القمار معروف ويقول ان هذا القدح لكثرة
فوزه وخروجه على قداح الجماعة يكثر تقليبه للتعجب منه ويقدح صاحبه
النار قبل خروجه تفننا بفوزه وقال قتيبة ان هذا القدح فاز
سبعين مرة لم يخب منها مرة واحدة حتى ضرب به المثل ولما دخل قتيبة
خراسان قام اليه بعض الشعراء وانشده

شد العصاب على البري وما جنا ... حتى يكون لغيره تنكيلا
والجهل في بعض الامور وان حلا ... ستخرج للجاهلين عقولا

فقال له قتيبة قبحك الله من شيخ والله لا فتشت عنك في بلد ثم اخرجه من
خراسان ونظر في بعض مغازيه الى رجل من الازد معه ترس من جلد بعير

قد نشفت من جميع نواحيه فقال يا اخا الازد ترس ابن ابي ربيعة

حيي من ترسك يريد قولهم

فكان مجني دون من كنت اتقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

فقال الرجل ايها الامير هذا المجن اصلح من ذلك المجن ومن كلام
قتيبة لا تستعن على من تطلب اليه حاجة بمن له عنده طعمة فانه لا
يوثرك على نفسه ولا بكذاب فانه يقرب لك البعيد ويبعد عنك
القريب ولا باحمق فانه يريد ما اراد فيفعل فضرك ومر بيوتا بكناسة
فيها عظام واقذار فقال ان الذي يبخل به امر آخره الى هذا البخيل

والمهلب افنى شوكة الازارقة بايده وفرق ذات بينهم بكيده

هو المهلب بن ابي صفرة واسمه ظالم بن سراق بن صبح الازدي العتكي
البصري امير مشهور الذكر شجاع جواد نشأ في دولة ابي سفيان ثم امره
مصعب بن الزبير على البصرة نيابة عنه في ايام اخيه عبد الله بن الزبير
ثم ولاه خراسان وقتال الخوارج واستمر على ذلك الى ان مات في زمن
الحجاج سنة ثلث وثمانين من الهجرة وهو اول من اتخذ الركب الحديد
وكان قبل ذلك من الخشب وكان يقال ساد الاحنف بحلمه ومالك بن
مسمع بمحبته للعشيرة وقتيبة بدهائه وساد المهلب بهذه الخلال كلها
وستاتي في آخر الترجمة نبذة من اخباره والفاظه واما الازارقة فهم الخوارج
القائلون بمذهب نافع بن عبد الله بن الازرق الخارجي خرج بمن معه من البصرة

والاهواز

والاهواز وغيرها من بلاد فارس واتبعوه وعظمت شوكتهم وتملكوا البلاد
وكانت له آراء ومذاهب دانوا بها معه منها انه كفر عليا بسبب التحكيم
المشهود وقال انزل الله في حقه ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة
الدنيا الآية وانزل في حق ابن ملجم ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء
مرضات الله ومنها انه كفر من لم يقاتل معه واستحل دمه ولام القعدة
عن القتال وتبرأ ممن قعد عنه وكان على دينه وحكم ان من ارتكب كبيرة
خرج من الاسلام وكان مخلدا في النار مع سائر الكفار واستدل بكفر
ابليس وقال ما ارتكب الا كبيرة حيث امر بالسجود فامتنع والا فهو عارف
بوحدانية الله تعالى الى غير ذلك من المذاهب التي اجتمع عليها الازارقة
وحكي عن قارب بن خالد حدثنا قال لما تفرقت آراء الخوارج ومذاهبهم
اقام نافع بن الازرق بسوق الاهواز يعترض الناس وكان متشككا
في ذلك فقالت له امرأة ان كنت كفرت بعد ايمانك وشككت فدع محلتك
ودعوتك وان كنت قد خرجت من الكفر الى الايمان فاقتل الكفار حيث لقيتهم
تعني المسلمين المخالفين لمذهبه فاثخن في النساء والصبيان كما قال نوح
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فقبل قولها وبسط سيفه و
قتل الرجال والنساء فاذا وطئ بلدا كان ذلك دابه الى ان يجيبه اهلها
فيضع عليهم الجباية والخراج واشتدت شوكته وفشا عمله في السواد فارتاع
لذلك اهل البصرة فشكوا الى الاحنف بن قيس فشكوا اليه امرهم وقالوا ليس بيننا

وبين القوم الا ليلتان فقال لهم الاحنف سيرتهم في مصركم ان ظفروا بكم
مثل سيرتهم في السواد فخذوا في جهاد عدوكم وحرضهم الاحنف فاجتمعوا
عشرة آلاف في السلاح وامر عليهم مسلم بن عبيس وكان شجاعا دينا فخرج
بهم فلما صار بموضع يعرف بدولاب خرج اليه نافع بن الازرق على
الشراة وكانوا ستمائة نفر فاقتتلوا قتالا شديدا حتى تكسرت الرماح
وعقرت الخيل وتضاربوا بالعمد فقتل في المعركة ابن عبيس وهو امير
على البصرة وقتل نافع بن الازرق ايضا فتعجب الناس من قتل الاثنين ثم
ولي على اهل البصرة الربيع بن عمرو وعلى الازارقة عبد الله بن الماحوز فقتل
الربيع وتحمل الحجاج فقتل وتولى حارثة بن بدر فنادى في الناس بان
اثبتوا فاذا فتح الله عز وجل فللعرب زيادة فريضتين وللموالي زيادة فريضة
وندب الناس الى الغزو وقد فشت بينهم الجراح وما تطأ الخيل الا على القتلى
فبيناهم كذلك اذ اقبل من اليمامة مدد كثير عظيم للازارقة فاجتمعوا وهم
مريحون مع اصحابهم وحملوا على الناس فلما راهم حارثة نكص براسه فانهزم
وقال لاصحابه كرنبوا ودولبوا وحيث شئتم فاذهبوا ابن الحماد فريضته لد
لعبيدكم والخصيان فريضة الاعراب فتتابع الناس منهزمين على اثره و
تبعهم الخوارج فالقوا انفسهم في دجيل فغرق منهم خلق كثير اكثرهم من
الازد وفي ذلك يقول شاعر الازارقة

يرى من جاء ينظر في دجيل ... شيوخ الازد طافية لحاها

وقلق

وقلق اهل البصرة لذلك ودخل قلوبهم الرعب من الخوارج فبيناهم كذلك
اذ ورد المهلب بن ابي صفرة متوجها الى خراسان وكتب له عبد الله بن
الزبير عهده فلما مر بالبصرة قال الاحنف لوجوه اهل البصرة والله ما للخوارج
غير المهلب فكلموه في ذلك فقال هذا عهدي على خراسان وما كنت
لادع امر امير المؤمنين عبد الله بن الزبير فاتفق اهل البصرة مع الاحنف على
ان يفتعلوا كتابا عن ابن الزبير يامره فيه بقتال الخوارج فكتبوه وفيه
اما بعد فان الحسن بن عبد الله كتب الي يخبرني ان الازارقة اصابوا جندا
من المسلمين وانهم قد اقبلوا نحو البصرة وكنت قد كتبت عهدك على
خراسان ووجهتك وقد رايت ان تتولى قتال الخوارج فان الاجر
فيه اعظم من مسيرك الى خراسان فلما قرا المهلب الكتاب قال والله ما اسير
اليهم حتى تجعلوا لي ما غلبت عليه وتقرضوني من بيت المال وانتخب من
فرسانكم ورجالكم من شئت فاجابوه الا طائفة من بني تميم فعقدها
عليهم المهلب وسار الى الخوارج فكان اشد من كل من قاتلهم وبلغ ابن
الزبير افتعال الكتاب فلم يقل شيئا واقره على ذلك ثم ان المهلب اخذ
بالحزم في القتال واعمال الراي والمطاولة فاذكى العيون واقام
الحرس وخندق ولم يزل الجند على مصافهم والناس على راياتهم واخماسهم
فكانت الازارقة اذا ارادوا ابيات المهلب وجدوا امرا محكما ثم خرج المهلب
يوما على تعبئة جيشه وخرج الخوارج على مثل ذلك الا انهم احسن عدة واكثر

خيلا وسلاحا من اهل البصرة وذلك انهم اكلوا ما بين كرمان الى الاهواز في
في الغافر والدروع يستحونها فالتقى الناس واشتد القتال وضرب
بعضهم على بعض عامة النهار ثم شدت الناس على الخوارج شدة منكرة
فانجفل الناس وانضاعوا منهزمين واسرع المهلب حتى سبقهم الى مكان
يفاع ثم نادى الناس الا الى عباد الله فثاب اليه جماعة من قومه حتى
اجتمع اليه نحو من ثلاثة آلاف فلما نظر الى من اجتمع رضي جماعتهم فحمد الله
واثنى عليه ثم قال اما بعد فان الله يكل الجمع الكثير الى انفسهم فيهزمون
وينزل النصر على الجمع اليسير فيظهرون ولعمري الى الآن لجماعتكم ارضى
وانتم والله اهل الصبر وفرسان المصر وما احب ان احدا ممن انهزم معكم
لو كانوا فيكم ما زاد وكم الا خبالا عزمت على كل نفر منكم لما اخذ عشرة احجار
معه ثم امشوا بنا نحو معسكرهم فانهم الآن آمنون وقد خرجت خيلهم
في طلب اخوانكم فتقبلوا منه ثم اقبل بهم زحفا فلا والله ما شعر الخوارج الا
بالمهلب يضاربهم في جانب عسكرهم ثم استقبلوا اميرهم عبد الله بن
الماحوز واصحابه وعليهم الدروع والسلاح فجعل الرجل من اصحاب
المهلب يعترض وجه الرجل بالحجارة حتى يثخنه ثم يضربه بسيفه فلم يقاتلهم
الا ساعة حتى قتل ابن الماحوز وضرب الله وجوه اصحابه واخذ المهلب عسكر
القوم وما فيه ومضى المنهزمون الى كرمان واصبهان ثم ولي مصعب بن
الزبير العراق ورجع اليه المهلب فقاتل معه المختار بن ابي عبيد الى ان قتل

ورجع الى الازارقة فلم يزل يناديهم القتال ويراوحهم مع ذلك شديد
الاحتراز على عسكره والتحفظ واليقظة الى ان مضت مدة طويلة وبلغ الخوارج
قتل مصعب بن الزبير امير العراق واستيلاء عبد الملك بن مروان قبل
ان يبلغ المهلب واصحابه فناداهم الخوارج ما تقولون في مصعب قالوا
امام هدى ولينا في الدنيا والآخرة قالوا فما تقولون في عبد الملك قالوا
ذاك ابن اللعين قالوا فانتم برآء منه في الدنيا والآخرة قالوا نعم ونحن له
اعداء كعداوتنا لكم قالوا فان امامكم المصعب قد قتله عبد الملك وانكم
ستجعلون غدا عبد الملك امامكم وانتم اليوم تتبرؤون منه وتلعنون اباه
قالوا كذبتم يا اعداء الله فلما كان من الغد تبين لهم قتل مصعب فبايع
المهلب الناس لعبد الملك فنادتهم الازارقة ترى يا اعداء الله بالامس
تتبرؤون منه واليوم تبايعونه بالخلافة وقد قتل امامكم الذي كنتم
تتولونه فايهما المهتدي وايهما الضال فقالوا رضينا بذلك ونرضى بهذا
اذ ولي كل منهما امورنا فقالوا لا والله ولكنكم اخوان الشياطين
طلبتم الدنيا ثم ولى عبد الملك وامر الحجاج على العراق وامره بامداد المهلب
فسر المهلب لذلك وتتابع المدد الى ان قال المهلب لقد ولي العراق رجل
ذكر ثم ان الحجاج كتب الى المهلب يستبطئه في مناجزة الازارقة ويستحثه
فبعث المهلب رسولا الى الحجاج ليراه حتى يرى صنع الخوارج وجلدهم وثباتهم
وكتب الى الحجاج يقول ان الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فان كنت نصبتني

لحرب هؤلاء على ان ادبرها كما ارى فاذا امكنتني فرصة انتهزتها واذا لم
تمكني توقفت فانا ادبر ذلك بما يصلحه وان اردت مني ان اعمل وانا
حاضر برايك وانت غايب فان كان صوابا فلك وان كان خطاء فعلى
فابعث بكاتب من اردت والسلام ولما طالت الحروب بينهم وبينه
ورأى اتفاق اهوائهم ونياتهم علم انهم لا يظفر الا باختلاف يقع بينهم
وكان في عسكرهم حداد رومي ابرن يصنع نبالا مسمومة فيرمي بها
اصحاب المهلب فوجه المهلب رجلا من اصحابه بكتاب والف درهم
الى عسكر الخوارج وقال الق الكتاب في العسكر واحذر على نفسك وكان
في الكتاب الى الحداد اما بعد فان نصالك قد وصلت الينا وقد وجهت
اليكم بالف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال فوقع الكتاب الى
قطري ابن الفجاءة فدعى به وقال ما هذا الكتاب قال لا ادري قال
فما هذه الدراهم قال لا اعلم علمها فامر به فقتل فجاءه عبد ربه الصغير
وكان من كبار القوم فقال له اقتلت رجلا على غير ثقة ولا تبين
قال فما حال هذه الدراهم قال يجوز ان يكون امرها كذبا ويجوز ان يكون
حقا فقال قطري فقتل رجل في صلاح الناس غير منكر وللامام ان يحكم بما
يراه صلاحا وليس للرعية ان تعترض عليه فتنكر له عبد ربه في جماعة معه
ولم يفارقوه فبلغ ذلك المهلب فدس اليه رجلا نصرانيا وقال اذا
رايت قطري فاسجد له فاذا نهاك فقل انما سجدت لك ففعل النصراني

ذلك

ذلك فقال له قطري انما السجود لله تعالى فقال ما سجدت الا لك فقال
له رجل من الخوارج قد عبدك من دون الله وتلى انكم وما تعبدون من
دون الله حصب جهنم فقال قطري ان هؤلاء النصارى قد عبدوا
عيسى بن مريم فما ضر عيسى شيء فقام رجل من الخوارج الى النصراني
فقتله فانكر ذلك عليه وقال قتلت ذميا فاختلفت الكلمة فبعث
اليهم المهلب رجلا تسألهم عن شيء يقدم به اليهم فاتاهم الرجل فقال
ارايتم رجلين خرجا مهاجرين اليكم فمات احدهما في الطريق وبلغكم الآخر
فامتحنتموه فلم يجز المحنة ما تقولون فيهما فقال بعضهم اما الميت فهو
من اهل الجنة واما الذي لم يجز المحنة فكافر حتى يجيزها فقال قوم آخرون
بل هما كافران حتى يجيزا المحنة فكثر الاختلاف فخرج قطري الى حدود
اصطخر واوقع المهلب بمن بقي منهم مع صالح بن مخراق ورفع الى [illegible]
وخندق عليه ثم اقام اياما واوقع بينهم الفتنة حتى وقع بين قطري
وعبد ربه وانحاز الى عبد ربه جماعة وولوه عليهم وذهب قطري
باصحابه وقاتل المهلب جيش عبد ربه وقايع عظيمة وانقلب جند الازارقة
وتشتتوا في البلاد وتخطفهم الناس وكتب المهلب الى الحجاج بالفتح الحمد
لله الكافي بالاسلام فقد ما سواه بان حكم ان لا ينقطع المزيد منه حتى
ينقطع الشكر من عباده اما بعد فقد كنا نحن وعدونا على حالتين
مختلفتين يسرنا منهم اكثر مما يسوؤنا ويسوؤهم منا اكثر مما يسرهم على اشتداد

شوكتهم فقد كان علي من امرهم حتى ارتاعت القضاة وتوم بن الضبيع فانتهزت
منه الفرصة في وقت امكانها واذنبت السواد حتى تصادفنا الوجوه فلم
يزل كذلك حتى بلغ الكتاب اجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد
لله رب العالمين فكتب اليه الحجاج يشكره ويذكر بلاده ويامره بالقدوم
عليه واستخلاف احد بنيه فقدم على الحجاج فاجلسه على السرير الى
جانبه واظهر اكرامه وبره وقال يا اهل العراق انتم عبيد المهلب ثم
قال انت والله كما قال الايادي

وقلدوا امركم لله دركم ... رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا
لا يطعم النوم الا ريث يبعثه ... هم يكاد حشاه يقصم الضلعا
حتى استمر على شزر مريرته ... مستحكم الرأي لا قحما ولا ضرعا

فقام رجل اصلح الله الامير والله لكاني اسمع قطريا وهو يقول المهلب
كما قال لقيط ثم انشد هذا الشعر فسر الحجاج حتى ظهر عليه وسأل المهلب
ما اعجب ما رايت من قتال الازارقة قال رايت رجلا منهم يطعن
الرجل فيمشي في الرمح الى طاعنه وهو يقول وعجلت اليك رب لترضى
وكان مدة اقامة المهلب على قتال الخوارج ومصابرتهم تسعة عشر سنة
الا ان فتح الله على يديه وظهر منهم الارض ومات ومن اخبار التميمية
انه اقبل يوما من بعض غزواته فتلقته امراة فقالت ايها الامير اني قد نذرت
ان اقبلت سالما ان اصوم يوما وتهب لي جارية والف درهم فضحك وقال

قد وفينا

قد وفينا نذرك فلا تعاودي مثله فليس كل احد يفي لك به ووقف
له رجل فقال اريد منك حويجة فقال المهلب اطلب لها رجيلا يعني ان مثلي
لا يطلب منه الا حاجة عظيمة ومر يوما بالبصرة فسمع رجلا يقول هذا
الاعور ساد الناس ولو خرج الى السوق لما ساوى اكثر من مائة درهم
فبعث اليه مائة درهم وقال لو زدتنا في القيمة زدناك في العطية ولما
هزم قطري ابن الفجاءة دخل عليه العتبي فانشد

اسود العباد لعمري لا غياث لهم ... الا المهلب بعد الله والمطر
هذا يجود ويحمي عن ديارهم ... وذا تعيش به الانعام والشجر

فقال هذا والله الشعر وامر له بعشرين الف درهم ومن كلامه

عجبت لمن يشتري العبيد بماله ... ولا يشتري الاحرار بافضاله

وكان يقول لولده اذا غدا عليكم الرجل وراح فكفى بذلك تقاضيا وتذكروا
عنده الباب فقال الحسن يا بنيكم ما رايتموه على ضيفكم وكان كثيرا ما يامر
بصلة الرحم والمكيدة في الحرب وحكي ان عبد الرحمن بن الاشعث لما خرج على
الحجاج بالجيش الذي بعثه معه الى قتال رتبيل كاتب المهلب وهو بخراسان
يدعوه الى خلع الحجاج فقال المهلب لا اغدر بعد سبعين سنة ثم كتب
الى الحجاج اما بعد فان اهل العراق مع ابن الاشعث قد اقبلوا اليك وهم
مثل السيل المنحط من عل ليس يرده شيء حتى ينتهي الى قراره ولاهل العراق
شدة في اول جريهم وبهم صبابة الى نسائهم وابنائهم فليس شيء يردهم دون

اهليهم فلا تستقبلهم وخل لهم السبيل حتى ياتوا البصرة فيضاجعوا نساءهم
ويشتموا ابناءهم فترق قلوبهم ويخلدوا الى المقام في منازلهم ويتفرقوا
عن ابن الاشعث فاوقع بمن جاربك منهم فان الله ناصرك عليهم
فلما سمع الحجاج كتابه قال ويلي على ابن المروى والله ما الى نظر وانما نظر
لابن عمه ولم يقبل منه وكان ذلك مراد المهلب في تلطفه لبني عمه في
هذه النصيحة وما روى من شعره

انا اذا انسات قوما النائم … قالت لنا انفس اذ ديته عودوا

لا يوجد الجود الا عند ذي كرم … والمال عند لئام الناس موجود

هرمس هذا هو الذي يزعم قوم من الصابئة انه نبي مرسل وانه ادريس ع
ويسندون اليه شرايعهم من تعظيم الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر
والتقرب اليها بالذبايح والدخن وما اشبه ذلك من مذاهبهم قال ابو
معشر البلخي هو اول من تكلم في الاشياء العلوية من الحركات النجومية و
جده كيومرث وهو آدم ع علمه ساعات الليل والنهار وهو اول من
بنا الهياكل ومجد الله فيها واول من نظر في الطب وتكلم فيه وصنف لاهل
زمانه كتبا كثيرة باشعار موزونة بلغتهم في معرفة الاشياء العلوية
والارضية واول من انذر بالطوفان وراى ان آفة سماوية تلحق
الارض من الماء والنار وكان مسكنه مصر فبنى ذلك بنى الاهرام ومداين
التراب وخاف ذهاب العلم بالطوفان فبنى البرابي والجبل المعروف

ببرباة

ببرباة اخميم وصور فيها الصناعات وصناعاتها نقشا واشار الى صفات
العلوم لمن بعده حرصا على تخليدها لمن بعده وتزعم الصابئة ان النبوة
لاسقيلبوس وكان اسمه بلينوس تزيد فيه تعظيما له وكذلك يقال
فارسطوطاليس فاسمه رسطاليس وكان كل من مهر في علومهم عظم
وزيد اسمه وكان بلينوس اخذ العلوم والاسرار عن هرمس هذا وهو
هرمس الهرامسة وزعم آخرون ان هرمس صاحب بلينوس كان بعد
الطوفان وهو غير هذا وقال الكندي هو صاحب كتاب الحيوان
ذوات السموم وكان حكيما طبيبا فيلسوفا عالما بطبايع الادوية جوالا
في الارض طوافا في البلاد عالما بنصب المداين وطبايعها وطبايع اهلها
وادويتها وهو صاحب الطلسمات الاندلسية مثل السودانية النحاس و
غيرها وكان بلينوس سافر معه وطاف البلاد فلما خرجا من الهند الى فارس
خلفه ببابل وكان قد اخذ منه جميع علومه وظهرت له في الطب وابراء
المرضى وقايع معجزة الى ان كثرت فيه الاقاويل وقالوا هو ملك وزعموا ان
مولده ووصاله كان الله تعالى رفعه في عمود من نور واقليدس ينسب
اليه وهو الذي وضع علم الطب في هيكل يعرف بهيكل اسقيلبوس ويدل
على ذلك قول جالينوس في بعض كتبه ان الله تعالى لما خلصني من دبيلة
قتالة كانت عرضت لي حججت الى بيته التي هيكل اقليبوس ويقال
ان هذا الهيكل بمدينة رومية كانت فيه صورة تكلم الناس مركبة على

حركات النجومية وانه كان منها روحانية كوكب من الكواكب السبعة
وحكى جالينوس ان الله تعالى اوحى الى اسقليبيوس انى ان
اسميك ملكا اقرب من ان اسميك انسانا وكان معظما عند اليونان
يستشفون بقبره ويوقدون عليه كل ليلة الف قنديل وخلف ابنين
ماهرين في صناعة الطب وعهد اليهما ان لا يعلما الطب الا اولادهما
واهل بيتهما ولا يدخلا في هذه الصناعة غريبا وكان تعليم تلقينا
الى ان وضع ابقراط الكتب وهو السادس عشر من ولده قال جالينوس
واما صورته يعني المصورة في الهيكل فصورة رجل ملتحي فانما سنه ابجمع
الشباب يدل بهذا الشكل على انه ينبغي للاطباء ان يتعمدوا في جميع
الاوقات اخذ بيده عصى معوجة ذات شعب يدل على انه يمكن في صناعة
الطب ان يبلغ من استعملها من السن ان يحتاج الى العصى يتوكا عليها وانما
صورة العصا الا انها من شجر الخطمي وانه يطرد بها الامراض واما شعبها فتدل
على كثرة اصناف الطب والفنن فيه ثم صور على تلك العصى صورة حيوان
طويل العمر وهو التنين ويقرب هذا الحيوان منه لاشيا كثيرة احدها انه
حيوان حاد البصر كثير السهر وكذلك ينبغي للطبيب ان يكون في المعرفة
والاجتهاد والثاني انه يسلخ لباسه الذي يسمونه الشيخوخة فكذلك
يمكن الطبيب ان يسلخ الشيخوخة بما يفيد من الصحة والثالث انه طويل
العمر وعلى ذلك يحرص بعض الاطباء ويروى انه عاش تسعين سنة

ومن كلامه

ومن كلامه الصنيعة عند الكفور اضاعة للنعمة المتعبد بغير معرفة كحمار
الطاحون يمشي ولا يبرح ولا يعرف ما هو فاعل افلاطون الاول ذكره
على شهرزوري ما نقل عنه هو افلاطون ابن ارسطن الالهي آخر المتقدمين
الاوائل معروف بالتوحيد والحكمة ولد في زمان اردشير الاول و
تلمذ لسقراط ولما اعتل سقراط ومات مسموما قام مقامه وجلس على كرسيه
وقد اخذ العلم من سقراط وطيماوس وكان قد رحل الى مصر فاخذ ايضا
عن اصحاب فيثاغورث وغيره وضم الى علومه الالهية العلوم الطبيعية
والرياضية وهو احد المشائين المشهورين ومعنى المشائين انه كان
من دابه الرياضة للبدن بالمشي المعتدل لتحليل الفضول ويذاكر تلامذته
الحكمة في تلك الحال ويقال انه امر الملوك باتخاذ بيوت الحكمة
لتعليم اولادهم فكانوا يتخذون البيوت المذهبة المزخرفة وتصور
فيها اصناف الصور المستحسنة التي ترتاح اليها النفوس ثم يتعلم فيها
الصبي فاذا حفظ علما او حكمة صعد يوم عيد على درج الى المجلس بديع
الصنعة وقد اجتمع كبار اهل المملكة فتكلم بالحكمة التي حفظها على رؤوس
الاشهاد وعليه التاج وسمي حكيما كل ذلك ترغيب للصبي في الاشتغال
لما يحصل له من التشريف والشهود فيوم من هذه الايام ظهر ار
سطاليس سياتي كما ذكره ولافلاطون اراء ومذاهب اخذها عنه
رسطاليس وخالفه في بعضها مثل حدوث العالم وغيرها وكان يصور

لافلاطون الصورة ويؤتى بها اليه فيقول من خلق هذا كذا ومن حالها
كذا فصورت صورته وسئل عنها فقال من خلق صاحب هذه الصورة
كذا وكذا وهو محب للزنا فقيل انها صورتك فقال نعم ولولا انى
احبس نفسى عن ان نا لفعلت ومن كلامه ان الله تعالى يقدر ما يعطى
من الحكمة يمنع من الرزق قيل له ولم قال لان الحكمة حظ النفس الناطقة
والمال حظ النفس الشهوانية والناطقة غالبة على الشهوانية والمال
والحكمة متغايران فلا يجتمعان وقال لا ينبغى اذا فعلت شيئا اذا غرت
به غضبت فانك اذا فعلت ذلك كنت القاذف لنفسك وقال عقول
الناس مدونة في اسنة اقلامهم وظاهره في اختيارهم وقيل له بماذا
ينتصف الانسان من عدوه قال بان يزداد فضلا في نفسه وقال في
معنى الملك هو كالبحر تستمد منه الانهار فان كان عذبا عذبت وضد
ذلك وقال ينبغى للذين ياخذون على ايدى الاحداث ان يدعوا لهم موضعا
للعذر لئلا يضطروا الى الفضيحة بكثرة التوبيخ وقيل له ان فلانا لا يعرف
الشر قال فاذا لا يعرف الخير يريد ان يكون الامور مميزة عند الانسان
فانه بعد تمييزها يختار منهما واذا لم يوضحها التمييز بطل اختياره ومتى
بطل اختياره حيث خيف عليه ان يأخذ بقبح في مكانه وقال من القبيح
ان نمتنع من الطعام اللذيذ لنصح ابداننا ولا نمتنع من القبائح لنصلح
نفوسنا فاما ارسطوطاليس فهو ابن نيقوماخوس المعروف بالمعلم

الاول

الاول وانما سمى بذلك لانه اول من وضع التعاليم المنطقية واخرجها
من القوة الى الفعل وحكمه حكم واضع النحو وواضع العروض وكان سبب
محبة افلاطون له والقاء علومه اليه ان اباه كان قد اسلمه لافلاطون
صغيرا ومات فاستمر رسطاليس يتيما في خدمته وكان ووفسطاليس
الملك قد اتخذ لولده نطافورس بيتا للحكمة بعيدا وامر افلاطون
بتعليمه وكان غلاما متخلفا قليل الفهم ورسطاليس غلاما ذكيا
جادا فكان افلاطون يعلم نطافورس الاداب والحكمة ورسطاليس
يعى ذلك سرا ويحفظه فصدر منه اذا كان يوم العيد زين بيت الذهب
الذى والبس نطافورس التاج وحضر الملك واهل المملكة على العادة
وصعد افلاطون وولد الملك الى مجلس الحكمة والشرف على رؤوس الاشهاد
فلم يورد الغلام شيئا ولا نطق بحرف فاسقط في يد افلاطون واعتذر
بانه لم يقصر في الالقاء عليه ثم قال يا معشر التلامذة من فيكم ينوب
عن نطافورس فبدر رسطاليس وصعد الى مجلس الشرف واخذ
ليرد جميع ما القاه افلاطون الى ابن الملك لم يغادر منه حرفا فقال
افلاطون هذه الحكمة التى القيتها ملوله قد حفظها هذا اليتيم فما
احيا لى الرزق والحرمان ثم انصرف الجمع وقد اغتبط افلاطون بر
برسطاليس واعتنى بعد ذلك به ومكث عنده نيفا وعشرين سنة و
كان كثير التعظيم له بحيث انه كان اذا جلس فاستدعى منه الكلام يقول

اصرّ واقبح بجهر الناس وربما قال الحق بجهر العقل فاذا حضر رسطاليس
قال تكلموا ثم مات افلاطون وقد اخذ عنه رسطاليس جميع علومه وخالفه
في مسائل استدركها عليه وكان يقول انا احب افلاطون واحب الحق
فاذا افترقا فالحق اولى بالمحبة ثم وضع علم المنطق ورتب اصوله وقال
انما فضل الناس على البهايم بالنطق فاحقهم بالانسانية ابلغهم منطقا
واوصلهم الى عبارات ذات نفسه بالايجاز وله في ذلك مسائل ومصنفات
معروفة وكذلك في جميع علوم الحكمة والفلسفة وكان قد تسلم الاسكندر
ابن فيلفوس من ابيه وعلمه وهذبه وولي الاسكندر المملكة فكان لا
يبرم امرا ولا ينقضه الا باشارته وكان بمنزلة الوزير والمشير الى ان
توفي الاسكندر وعاش بعده قليلا ومات فوضعت جثته في اناء
من نحاس وقيل في خشبة كالتابوت وعلقت في جزيرة صقلية وكان
اهل البلد يجتمعون اليه عند المشاورة والمدارسة في فنون الحكمة و
يقولون ان مجيئهم الى ذلك الموضع يذكي عقولهم ويصحح فكرهم وربما
استسقوا بقبره في الجدب ومن كلامه فيما كتب به الى الاسكندر وهو في
غاية البلاغة ايها الملك لا يخدعك الهوى وان خيل اليك ان في انخداعك
له خداعا فقد استرسل الانسان وهو يظن انه متحفظ واجمع في
سياستك بين بذل لا حنق فيه ورديت لا مخلة معه وامزج كل شكل
بشكله حتى تزداد قوة ركن عبد الحق بقية الموحد ولكن وكدك الاحسان

الى الخلق

الى الخلق ومن الاحسان وضع الاساءة في موضعها وكن فصيح نفسك
فليس لك اذا اقبلت منك واذا اشكل عليك امر فاضرع الى الله تعالى
الذي بلغك هذه الغاية فانه يفتح لك المنهج واذا فاتك شيا فاعلم
ان ذلك لسهو عرض لك فالشكر على ما افادك ومهما اخطاك شي
فلا يخطاك الفكر في الرحيل عن هذه الدار ومنه ان لكل شي صناعة
وصناعة العقل حسن الاختيار وراى انسانا سمين البدن فقال ما
اشد عنايتك برفع سور حبسك وقال سلو القلوب عن الموجودات
فانها شهود لا تقبل الرشا وقال مقدم الراس للفكر ومؤخره للذكر
والدليل على ذلك ان المتفكر يطاطي راسه والمتذكر يرفع راسه
وقال من علم ان الفنا مستولي على كونه هانت عليه المصايب و
اكثر الامثال في شعر المتنبي من قوله وقد افرد الحاتمي رسالة في ذلك
وحكى عبد الله بن طاهر ان المامون قال رايت في المنام رجلا قد جلس
مجلس الحكماء فقلت له من انت قال رسطاليس الحكيم فقلت ايها الحكيم
ما احسن الكلام قال ما يستقيم في الراي قلت ثم ماذا قال ما يستحسنه السامع
قلت ثم ماذا قال ما لا تخشى عاقبته قلت ثم ماذا قال ما عدا هذا هو و
نهيق الحمار سواء قال المامون ولو كان حيا ما زاد على هذا وقد قيل ان هذا
الكلام وجد في كتبه **بطليموس سوى الاسطرلاب بتدبيك**
في صورة الكرة هو بطليموس صاحب كتاب المجسطي الكبير وجغرافيا

والاسطرلاب وكتاب اللحون الثمانية وغير ذلك وهو اول من شرح القول
على هيئات الافلاك واخرج علم الهندسة من القوة الى الفعل واكثر الرواة
يقولون انه ثالث ملوك اليونان بعد الاسكندر وبطليموس لقب
ملوكهم وكان رجلا حكيما وسبب ملكه انه لما مات بطليموس الصانع ملك
اليونان لم يكن في اهل بيت هذا الملك من يصلح للمملكة فذكر لليونان
رجل يصلح فقال بطليموس انه لا يصلح للملك قالوا ولم قال لانه كثير الخصومة
وليس يخلو في خصومته ان يكون ظالما او مظلوما فان كان ظالما لم يصلح له
الملك لظلمه وان كان مظلوما لم يصلح لضعفه فقالوا صدقت وانت اولى
بالملك فملكوه عليهم وقال بعض محققي التاريخ ليس بطليموس الحكيم من
ملوك اليونان بل هو رجل حكيم كان في زمن انطينوس احد ملوك الروم
بعد اليونان بملوك كثيرة والدليل على انه ليس من ملوك اليونان انه
ذكر في كتاب المجسطي انه رصد الشمس بالاسكندرية لبخت نصر سنة ثمان
مائة وثمانين وكان من بخت نصر الى قتل دارا اربعمائة وتسع وعشرون سنة
ومن قتل دارا الى زوال ملك اليونان على يد اوغسطس مائتا سنة و
ثمانون سنة ومن غلب اوغسطس الى ان ملك انطينوس مائة وسبعون
سنة فيكون ذلك موافقا لما حكاه بطليموس في كتابه واما الاسطرلاب
فيزعمون انه باللغة اليونانية ميزان الشمس وبه يعرف مقدار
الساعات واخذ الارصاد ومطالع الكواكب وغير ذلك وبه تثبت هيئة الفلك

وكذلك

وكذلك الكرة والاسطرلاب كرة مطبوعة مثال الكرة من شمع صنعت عليها
البلدان مضادة ثابتة وزعم بطليموس ان الافلاك تسعة فاولها
اقربها الى الارض وهو اصغرها وهو فلك القمر الذي يليه فلك
عطارد ثم الزهرة ثم الشمس ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل والثامن
فلك البروج وفيه سائر الكواكب الثابتة التاسع الاعظم الحاكم على
جميع الافلاك ويسمى الاثير لانه يؤثر في غيره وغيره لا يؤثر فيه و
الغير لا بد بين الافلاك دورة فيتم في كل يوم وليلة وهيئات
البروج مثل البطيخة المخططة اعلاها واسفلها كالنقطتين وكل ما بين
بين خطين بمنزلة البرج ثم ان الفلك المحيط يدير الافلاك الثمانية
يدور من المشرق الى المغرب والافلاك الثمانية تدور من المغرب الى
المشرق وشبهوا ذلك بسفينة تجري مع الماء وفيها رجل يمشي مصعدا
وحكى ابو حيان التوحيدي قال كان ابن بكير يقول دون فلك القمر
فلكان هما سبب المد والجزر وينقطعان الفلك كل يوم وليلة مرتين
وهذا من ارائه التي تفرد بها ولم اجد احدا يوافقه عليها والمنازعة برهانه
ولا اعرف اي برهان قام له على هذه الدعوى ومن كلام بطليموس
ما احسن الانسان ان يصبر عما يشتهي واحسن منه ان لا يشتهي الا ما ينبغي
وقال ينبغي للعاقل ان ينظر كل يوم في المرآة فان رأى وجهه حسنا لم
يشنه بقبيح فعله وان رآه ذميما لم يجمع بين قبيحين وسمع جماعة من اصحابه

حول خيمته له يقعون فيه فهو دمجا بين يديه ليعلموا انه يسمع منهم و
ان يتباعد واعنه فيبدو ثم يقولون ما احبوا وكان يقول انما
نحن كائنون في الزمن الذي يأتي من بعد هذا ومنزالي المعاد لنا الكون
والوجود الحقيقي ذلك الكون والعالم. بقراط علم العلل والامراض
بلطف حيلك هو بقراط بن ابرقليدس كان في زمن بهمن ابن
اسفنديار ويقال انه شايع الاطباء الذين اولهم اسقليبيوس وهو
قبل سقراط وافلاطون وهو الذي نظر في صناعة الطب فوجدها
قد كادت تبيد لقلة ابناء الموهوبين لها من آل اسقليبيوس فانهم
كانوا يلقونها لابنائهم ولا يلقونها فيتعلمها غيرهم فبث ابقراط
هذه الصناعة في الناس وعلم الغربا وجددها للاطباء عهدا طويلا
مشهورا وقال جالينوس في بعض كتبه ان ابقراط كان يعلم مع ما
كان يعلمه من الطب من امر النجوم ما لم يكن يدانيه فيه احد من اهل
زمانه فكان يعلم امرا لا يكاد الذي منهما تركيب ابدان الحيوان وكون
جميع الاجسام التي تقبل الكون والفساد وفسادها وهو الذي بين
كيف تكون الصحة والمرض في جميع الحيوان والنبات واستنبط اجناس
الامراض وجهات مداواتها وهو اول من اتخذ البيمارستان وذلك
انه عمل بالقرب من داره موضعا مفردا للمرضى وجعل لهم خدما يقومون
بمداواتهم وسماه اخشيذوكين اي مجمع المرضى وكذلك لفظ البيمارستان

بالفارسية

بالفارسية ولم يكن يرغب في الاتصال بالملوك حتى ان ملك الفرس كتب الى
عامله من بلاد اليونان يأمره بحمل ابقراط اليه لاجل وباء عرض في بلاده
وان يحمل اليه مائة قنطار ذهبا ويضمن له اقطاعا مثلها وكتب الى ملك
اليونان في ذلك الوقت يستعين به على اخراجه اليه وضمن له هدنة
سبع سنين فلم يجد ابقراط الى هذا وقال اهل المدينة ان خرج ابقراط
من هنا كذلك او قتلنا دونه وتفسير ابقراط ضابط الخيل وكتبه
جليلة واخباره حسنة ومن طرائف حكاياته ان ولدا لاحد الملوك عشق
جارية من حظايا ابيه فنحل بدنه واشتدت علته وهو كاتم خبره فاحضر
ابقراط فجس نبضه ونظر الى بشرته فلم ير عليه علة فذاكره حديث العشق
فرآه يهتز لذلك ويطرب فاستخبر الحال من حاضنه فلم يكن عندها
خبر فقال هل خرج من الدار فقالت لا فقال لابيه مر بتفتيش الخصيان
بطاعتي فامر بذلك فقالت اخرج على النساء فخرجن وابقراط واضع يده
على نبض الصبي فلما خرجت الحظية اضطرب عرقه وخار طبعه فعلم ابقراط
انها المعينة بهواه فصار الى الملك فقال ان ابن الملك عاشق لمن الوصول
اليها صعب قال الملك ومن ذلك قال هي زوجتي قال انزل عنها والك
عنها بد لتمنع ابقراط وقال هل رايت احدا كلف احدا طلاق امراته ولا
سيما الملك فهو يعدله وينصفه بامرني بفارقة زوجتي وهي جليلة ذو حي
فقال الملك اني اوثر ولدي وملكي واعوضك احسن منها فامتنع حتى بلغ الامر

الى التهديد والسيف فقال ابقراط ان الملك لا يسمى عادلا حتى ينصف
من نفسه ما ينصف من غيره ارايت لو كانت الشفقة خطية الملك ففهم
المراد وقال يا ابقراط عقلك اتم من معرفتك ونزل عن الخطية لابنه
وشفى الفتى ومن كلام ابقراط سلوا القلوب عن المودات فانها شهود
لا تقبل الرشا وقال الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع
يعني في المآكل والمشارب وقال خير الغذا ابواكره وخير العشا ابواصره
يعني المبادرة به في بقايا النهار والضوء متمكن قبل الدخول والدخول
في حد النوم وقال استهينوا بالموت فان مرارته في خوفه وسئل كم
ينبغي للانسان ان يجامع قال في كل سنة مرة قيل فان لم يقدر قال
في كل شهر مرة قيل فان لم يقدر قال في كل اسبوع مرة قيل فان لم
يقدر قال هي روحه متى شاء اخرجها ولما حضرته الوفاة قال من
اشتهى العلم من كثر نومه ولانت طبيعته ونديت جلدته طال عمره
وجالينوس عرف طبايع الحشايش بدقة حدسه جالينوس هو آخر الحكماء
المشهورين وهو خاتم المعلمين وذلك انه عند ما ظهر وجد صناعة
الطب قد كثرت فيها اقوال الاطباء السوفسطائيين ومحيت محاسنها
فانتدب لذلك وابطل آراءهم وشيد آراء ابقراط والتابعين له
وساح لها ونظر الحشائش وجرب وقاس امزجتها وطبايعها وشرح
الاعضاء ووضع الكتب النفيسة في هذه الصناعة وهي مادة الاطباء الى اليوم

واشهرها

واشهرها الكتب الستة التي شرحها الاسكندرانيون ولم يات بعده الا من هو
دونه منزلة وكانت وفاته بعد مبعث المسيح صلوات الله عليه ولما
حكي انه لما بلغه من دعوة المسيح احياء الاموات وخلق الطير وابرا الاكمه
والابرص قال لمن حوله من التلاميذ ان علم من هذا المدعي بما لا
يستقل به الطبيعة سهل قبل ما ادعاه لا يحاط به بحيل فيما ادعاه على
ما تقدم العلم من الفلسفة وان لم يعلم منه تقدم دعواه يطلب
بالبيان لامكانه ما وراء عالم الطبيعة وتلك سبيل كل ناطق يقوم
في ابتداء كل قرن ياتي في الزمان للاضطرار اليه عند ظهور الفساد
في الارض سبيله الدعوى بما لا يستقل به الطبيعة لانقياد الناس
الى طاعته بعد القيام بصحة ما ادعاه فمن سلك سبيله بعد ذلك ثبت
حركته ثم تحمل للاجتماع به وسار اليه فمات في طريقه بمدينة الفرما
وهي شاطي بحيرة تنيس وبها قبره ولما اشتد به المرض قيل له الا تتداوى
قال اذا نزل قضا الرب حضر المربوب ونعم الدواء الاجل ثم مات مبطونا
ومات ارسطاليس بالسل ومات افلاطون مسموما ومات افلاطون
ابقراط مفلوجا ومن حكايات جالينوس عن نفسه قال مررت بشيخ يزرع
شجرة فقلت يا شيخ ما تزرع فقال شجرة ثمرتها لي ولك قال وما هي قال
شجرة المشمش ثمرتها لي لاني آخذ ثمنها ولك لانها تكثر المرضى فتاخذ
من اموالهم وحكى عن نفسه في معرفة التشريح قال اعرف رجلا اشكى ضعف

سموم الطعام فوضعت على رقبته ادوية مقوية فبرئ لان في العضوين
المجاورين للمرقين الناهضين شعبة الى فم المعدة ينال منهما الحس
وكان في رقبة ذلك الرجل خنازير فقطعها الاطباء فاضر ذلك
بتلك القضبة التي منها الشعبة ومرضت رقبته وصار ضعيف الشهوة
عن الطعام ووضعت عليها الادوية المقوية فبرئ ومن كلام
الانسان سراج ضعيف كيف يدوم ضوئه بين رياح اربع الطبايع
وقال الانسان الى تجنب ما يضره احوج منه الى تناول ما ينفعه وقال
من كان له مال فليحصل نصفه في النرجس فانه داعي الدماغ والدماغ
داعي العقل ورأى مصارعا كان لا يرى احدا قد صار طبيبا فقال الآن
كما صرعت الناس ويليها فصلان في العلاج وسالك عن المزاج
العلاج والمعالجة في اللغة المغالبة وسمي الطب علاجا لان الطبيب
يغالب المرض وقال ابقراط يعالج الجسد على خمسة اضرب ما في الراس
بالغرغرة وما في اعلى المعدة بالقيء وما في اسفل المعدة بالاسهال وما بين
الجلد بالعرق واسهال الدم ويحتاج ذلك الى علم الاصول من الاسطقسات
والطبايع والاخلاط والقوى والارواح والاسباب وغير ذلك والمزاج
في اللغة خلط الشراب بغيره ويعبر به الاطباء عن تكافؤ الطبايع واختلاطها
في البدن والمزاج عندهم تسعة واحد معتدل وثمانية غير معتدلة و
في الثمانية اربعة مفردة وهي الحار والبارد والرطب واليابس والاخلاط

اربعة

اربعة الدم والمرة الصفراء والمرة السوداء والبلغم فالدم حار رطب
والمرة الصفراء حار يابس والمرة السوداء باردة يابسة والبلغم بارد
رطب وتعرف باقسام الاسباب والعلامات وبعرف مزاج
غير ذلك بالتجربة والقياس فيستوصفك تركيب الاعضاء
والمشاركة في الداء والدواء يشير بذكر الاعضاء المعرفة الى
التشريح التي احكمها جالينوس وحكى فيها عن نفسه الحكايات العجيبة
والاعضاء عندهم على قسمين قسم مركب وقسم بسيط فالبسيط
كالعظم والعصب والعروق والمركب كالراس واليدين والرجلين
ومن الاعضاء اعضاء رئيسة واعضاء مرؤوسة واعضاء ليست
برئيسة ولا مرؤوسة فالرئيسة اربعة الدماغ والقلب والكبد و
الانثيين والمرؤوسة ما يخدم هذه الرئيسة وذلك ان الدماغ يخدمه
العصب والقلب يخدمه الشرايين والكبد تخدمها العروق و
الانثيان اوعية المني وما ليس برئيس ولا خادم كالعظام والغضاريف
والشحم واللحم والاعضاء التي لها قوة كالمعدة والكلى والداء هو المرض
الداخل على الابدان واجناسه ثلثة الاول فساد المزاج والثاني تفريق
الاتصال والثالث المرض المشترك والدواء ما يحفظ به الصحة المائلة
عن البدن او ما يجلب به الصحة للبدن الزايلة له وهو نفس القسم
العملي ومداره على الحذاقة وكان ابقراط يقول الطبيب الحاذق بصير

السم دواء نافعا والجاهل يصير الدواء سما قاتلا ومثال ذلك ان الجاهل
بالطب اذا اخذ الصندل فسحقه كالكحل ثم طلاه على بدن حار كثير الحرارة
طليا ثخينا دخلت تلك الاجزاء الرقيقة في منافذ الجسد ومسامه فزاد في
العليل والطبيب الحاذق يأخذ العود الهندي فيسحقه سحقا
ناعما ثم يطليه على البدن طليا رقيقا فيتصل بما فيه من الرطوبة الى
حرارة البدن فيبردها ويجعل الحر سبيلا الى الخروج فيكون حرارة
العود مبردة بتدبير الطبيب الحاذق وانك لهجت لابي معشر طريق
لقضاء النجم بيان الطريق ووضوحه ومنه انهج الثوب اذا بان فيه
البلى والقضاء فصل الامر كان قولا او فعلا واصله قضاي من قضيت
فقلبت الياء همزة والمراد ههنا حكم المنجمين وقولهم بتاثير الكواكب
قال الشاعر   يقضون بالامر عنها وهي غافلة وابو معشر
هذا هو جعفر بن محمد بن عمر البلخي
المنجم المشهور العالم بالنجامة كان في الاول من اصحاب الحديث ببغداد و
كان يشنع على الكندي الفيلسوف بعلوم الفلسفة ويغري بالعامة
فدس له الكندي من حسن له النظر في علم الحساب والهندسة فدخل
في ذلك ثم عدل الى احكام النجوم فتمكن وبهر وانقطع شره عن الكندي
لانه من جنس علوم الكندي ويقال انه اشتغل بالنجوم بعد سبع واربعين
سنة من عمره وصنف الكتب الحسنة في هذا العلم مثل كتاب الالوف

وكتاب

وكتاب المدخل وكتاب المذاكرات وغير ذلك وظهرت له اصابات عجيبة
وحكي عنه حكايات بديعة قال في كتاب المذاكرات حضرت وسلمة و
الزيادي عند الموفق وكان الزيادي استاذه ما نزل في النجوم فاضمر
الموفق ضميرا فقال الزيادي اضمر الامير فقدان رجل جليل رفيع فقال له
كذبت فقال الهاشمي فوق قياسه فقال الموفق كذبت ثم قال لي
هات ما عندك فقلت اضمر الامير الله عز وجل فقال احسنت والله
وبالك اني لك هذا قلت الراس يرى فعله ولا يرى فعله نفسه وكان
في ارفع درج الفلك في الضمير ولم اعرف له مثالا الا الله عز وجل
لان الله تعالى يرى فعله ولا يرى هو وهو فوق كل عزة وسلطان
ليس فوقه شيء وحكي عنه انه كان يتنقل في البلاد فاتصل ببعض
ملوك العجم وان الملك طلب رجلا من اتباعه واكابر دولته ليطالبه
بجريرة وقعت منه فاستخفى الرجل وعلم ان ابا معشر يدل عليه بالطريق
التي يستخرج بها الخفايا والاشياء الكامنة فاراد ان يصنع شيئا لا يهتدي
اليه ويبعد عنه الحدس فاخذ طستا وملأه دما وجعل في الدم
هاون ذهب كبيرا يتمكن من القعود عليه ثم جلس عليه اياما وتطلب
الملك ذلك الرجل فاعياه فاحضر ابا معشر وقال عرفني بموضعه كما جرت
عادتك فعمل المسئلة التي يستخرج بها ذلك وسكت زمانا حائرا فقال له
الملك ما سبب حيرتك قال ارى شيئا عجيبا قال وما هو قال ارى الرجل المطلوب

على دجل من ذهب والحيل في بحره ولا اعلم في العالم موضعا على هذه
الصفة فلما يئس الملك من القدرة عليه نادى في البلد بامان الرجل
ومن اخفاه فلما اطمان الرجل بذلك ظهر وحضر بين يدى الملك
فسأله عن الموضع كان فيه فاخبره بما اعتمد فاعجبه حسن احتياله واصابته
ابى معشر في استخراجه ولابى معشر في هذا الباب اخبار كثيرة والله اعلم
بحقيقتها وكان مع تقدمه في هذه الصناعة يصيبه الصرع عند امتلاء
القمر في كل شهر وكان لا يعرف لنفسه مولدا ولكن كان قد عمل مسئلة
عن عمره واحواله وسئل عنها الزيادي المنجم لتكون اصح دلالة اذا اجتمع
عليها طبيعتان طبيعة المسؤل وطبيعة السائل فخرج طالع تلك
المسئلة السنبلة والقمر في العقرب في مقابلة الشمس والمريخ ناظر
الى القمر من الدلو وهذه الصفة توجب الصرع ومات بواسط سنة اثنين
وسبعين وماتين وقيل كان سبب موته ان المستعين ضربه اسواطا
لانه اخبر بشيء قبل كونه فكان يقول اصبت فعوقبت **واظهرت جابر**
ابن حيان على سائر الكيمياء الكيميا سر وهو في الاسم باطلة المعنى
وليعقوب الكندي رسالة بديعة سماها ابطال دعوى المدعين
صنعة الذهب والفضة جعلها مقالتين يذكر فيها تعذر فعل الناس
لما انفردت الطبيعة بفعله وخدع اهل هذه الصناعة وجهلهم ويقال
ان ابا بكر الرازي رد عليه في رسالة له ورايت لابي عثمان الجاحظ في كتاب

الحيوان

الحيوان عند ذكر خلق الفار من الطين كلاما في الكيميا يبعد فيه ويقرب
ولم يخرج عن شيء من ابطالها ولا تحقيقها والصحيح لاشتهر عدم الصحة
فيهما ولذكرها ههنا عقيب صناعة النجوم مناسبة لاقوال الناس
فيهما واما جابر بن حيان المذكور فلا اعرف له ترجمة صحيحة في كتاب
يعتمد عليه وهذا دليل على قول اكثر الناس انه اسم موضوع صنعه
المصنفون في هذا الفن وزعموا انه كان في زمن جعفر الصادق ع
وانه اذا قال في كتبه قال لي سيدي فانه يعني بقوله جعفر الصادق ع
واعطيت النظام املا ادراك الحقايق هو ابراهيم بن سيار بن
هانئ البصري المعروف بالنظام ويكنى ابا اسحق شيخ من كبار المعتزلة
وانه متقدم في العلوم شديد الغوص على المعاني وانما اداه الى المذاهب
التي استبشعت منه تدقيقه وتغلغله فانه كان اطلع على كتب كثيرة
من كتب الفلاسفة ومال في كلامه الى الطبيعيين منهم والالهيين فاستنبط
من كلامهم مسائل وخلطها بكلام المعتزلة وانفرد بها عنهم مثل قوله
ان الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي خلافا لاصحابه
فانهم قضوا بانه قادر عليها ولكنه لا يفعلها ومثل قوله ان الجوهر مؤلف
من اعراض اجتمعت وقال ان الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي
عليه الان معادن ونباتا وحيوانا وانسانا ولم يتقدم خلق آدم على خلق
اولاده غير ان الله تعالى اكمن بعضها في بعض وهذا قول اهل الكمون من

من الفلاسفة وقوله في القرآن ان في قوى البشر ان يأتوا بمثله الا ان الله تعالى
صرفهم عن ذلك الى غير ذلك من مسائله المذكورة في كتب الاصول
ومرادنا ان نزيدون بالحقائق غير ذلك من مسائله الحسنة العجيبة فانها
كثيرة وانما علت سقطات النظام لكثرة اصابته وكان من صغره
يتوقد ذكاء ويتدفق فصاحة حكي ان اباه جاء به وهو صغير الى الخليل
ابن احمد ليعلمه فقال له الخليل يمتحنه وفي يده قدح زجاج يا بني صف لي
هذه الزجاجة فقال امدح ام اذم قال امدح قال نعم تريك القذى
ولا تقبل الاذى ولا تستر ما وراها قال فذمها قال سريع اليها الكسر
ولا تقبل الجبر قال فصف لي هذه النخلة واومى الى نخلة في داره قال
امدح او اذم قال امدح قال هي حلو جناها باسق منتهاها ناضر اعلاها
قال فذمها قال صعبة المرتقى بعيدة المجتنى محفوفة بالاذى فقال له
الخليل يا بني نحن الى التعلم منك احوج ثم اشتغل على ابي الهذيل
العلاف بمذهب الكلام الى ان برع وظهر في ايام المعتصم وتبعه خلق
كثير وكان اصل مذهبهم انه من زعم ان الله تعالى شيء فهو كافر ثم
ناظر شيخه ابا الهذيل فظهر عليه مرارا وقيل له اتناظر ابا الهذيل فقال
نعم واطرح له رداء من عقلي وحكى الجاحظ عنه فانه كان من اكبر تلامذته
واصحابه قال دخل ابو اسحق النظام على ابي الهذيل وقد اسن وبعد عهده
بالمناظرة وابو اسحق حدث السن فقال يا ابا الهذيل لم زعمت عن اقراركم

ان يكون

ان يكون جوهرا مخالفا ان يكون جسما فهلا اقررت ان لا يكون جوهرا مخالفا
ان يكون عرضا والجوهر اضعف من العرض فبصق ابو الهذيل في وجهه
فقال ابو اسحق قبحك الله من شيخ فما اضعف حجتك ومما حكي عنه قال
مات لصالح بن عبد القدوس ولد فمضى اليه ابو الهذيل والنظام
معه وهو غلام حدث كالمتبع له فرآه محترقا فقال له ابو الهذيل لا
اعرف لجزعك وجها اذا كان الناس عندك كالزرع فقال صالح يا ابا الهذيل
انما اجزع عليه لانه لم يقرا كتاب الشكوك فقال ابو الهذيل وما كتاب
الشكوك قال كتاب وضعته من قراه شك فيما كان حتى يتوهم انه لم يكن
وفيما لم يكن حتى يظن انه قد كان فقال له النظام فشك انت في موت ابنك
واعمل على انه لم يمت وشك ايضا في انه قد قرا هذا الكتاب وان كان لم
يقراه فخصم صالح وكان مذهبه مذهب السوفسطائية فانهم يزعمون
ان الاشياء لا حقيقة لها وان ما نستبعده يجوز ان يكون على ما نشاهده
ويجوز ان يكون على غير ما نشاهده وان حال اليقظان كحال النائم وحكى
الجاحظ قال تجاذبت يوما انا وابراهيم حديث الطيرة فقال اني جعت
يوما حتى اكلت الطين وما صرت الى ذلك حتى قلبت قلبي اتذكر هل ثم
رجل اصيب عنده غداء او عشاء فما قدرت عليه وكان علي جبة وقميص
فنزعت القميص ثم قصدت الاهواز وما اعرف بها احدا وما كان ذلك
الاشياء امر به الضجر فوافيت الفرضة فلم اصب بها سفينة فتطيرت من ذلك

ثم انى رايت سفينة وصدرها خزف وهشم فنظرت ايضاً فقلت
للملاح تحملنى قال نعم قلت ما اسمك قال ديوزاد وهو بالفارسية
اسم الشيطان فتطيرت وركبت معه واماقربنا من الفرضة صحت
ياحمال ومعى لحاف لى وشمله ومضربة خلق وبعض ما لا بد لى منه فكان
اول حمال اجابنى اعور فقلت لبقال وكان واقفا بكم تكرى ثورك
هذا الى الخان فلما ادناه منى اذا هو اعضب فازددت طيرة الى طيرة
وقلت فى نفسى الرجوع اسلم ثم ذكرت حاجتى الى اكل الطين وقلت
ومن لى بالموت فلما صرت الى الخان وانا خايف ما اصنع اذ سمعت قرع
الباب الذى ناحيه فقلت من هذا قال رجل يريدك قلت من انا
قال ابرهيم بن سيار النظام فقلت هذا عدو او رسول سلطان ثم
تحاملت وفتحت الباب له فقال ارسلنى اليك ابراهيم بن عبد الرزين
ويقول لك وانكنا اختلفنا فى المقالة فانا نرجع بعد ذلك الى حقوق
الاخلاق الحرية وقد رايتك حيث مررت بى على حال كرهتها وينبغى
ان تكون نزعت بك حاجة فان شئت فاقم بمكانك مدة شهر او شهرين
فعسى نبعث اليك بجميع ما يكفيك زمينا من دهرك وان اشتهيت الرجوع
فهذه ثلثون دينارا فخذها وانصرف وانت احق من عذر فقال فهو دعلى
اذهلنى اما واحدة فانى لم اكن ملكت قبل فى جميع دهرى ثلثين دينارا و
الثانية انه لم يطل مقامى وغيبتى عن اهلى والثالثة ما تبين لى من ان الطيرة

ابنا

ابنا باطل وتوفى النظام سنة احدى وعشرين ومايتين وله من العمر ست
وثلثون سنة وله كلام حسن وشعر دقيق فمن كلامه العلم شى لا يعطيك
بعضه حتى تعطيك كلك فاذا اعطيته كلك فانت من اعطائه لك
البعض على خطر وقال كنا نلهو بالاماني ونغذ انفسنا بالمواعيد
فذهب من كان يحزن ثم شغلنا بالهموم من الامال وقال عمايدل على
لوم الذهب والفضة مصيرهما الى اللئام فالنبي يصير الى شبيه وقال
اذا كانت فى جيرانك جنازة وليس فى بيتك دقيق فلا تحضر الجنازة
فان المصيبة عندك اكبر منها عند القوم وبيتك اولى بالماتم

قال ابو العينا انشدت النظام

اذا هم النديم له بلحظ ... تمشت فى مفاصله الكلوم

فقال ما ينبغى ان يادم هذا الا اعمى ثم نظم المعنى فى شعره ومن شعره

ذكرتك والراح فى راحتى ... فشبت المدام بدمع عزين
فان ينفد الدمع قرطاسه ... بكيتك الحشا بدموع الضمير

ومنه

يا نادكى جسدا بغير فواده ... اسرفت فى الهجران والابعاد
الكان يمنعك الزيارة حين ... فادخل الى بعلة العواد
ان العيون على القلوب اذا جنت ... كانت بليتها على الاجساد

ومنه

اريد الفراق واشتاقكم ... كانا افترقنا ولم نفترق

واستغنم الوصل كما اشتهي   وهل يشتفي ابدا من عشق

ومنه

يروع مناجيه بهرت لفظه   ويؤنسه منه بصورة ادمي

ترى فيه لاما فوق زهرة ورده   وفصا من الياقوت من فوق خاتم

ومنه

وشادن ينطق بالظرف   يقصر عنه منتهى الوصف

دق فلو سرت سرابيله   علقه الجو من اللطف

يجرحه اللحظ بتكراره   ويشتكي الايماء بالطرف

افديه من مغرى بما ساءني   كانه يعلم ما اخفي

وقيل له وهو في مرضه وفي يده قدح دواء ما هذا فقال

اصبحت في دار بليات   ادفع آفات بآفات

وجعلت للكندي رسما استخرج بالدقايق

هو يعقوب بن اسحق بن الصباح الكندي المسمى في وقته فيلسوف الاسلام من ولد الاشعث بن قيس كان ابوه اسحق بن الصباح من ولاة الاعمال بالكوفة وغيرها في ايام المهدي والرشيد فانتقل يعقوب الى بغداد فاشتغل بعلم الادب ثم بعلوم الفلسفة جميعها فاتقنها وحل مشكلات كتب الاوايل وحذا حذو ارسطاليس وصنف الكتب الجليلة الجمة وكثرت فوايده وتلامذته وكانت ولاية المعتصم تجمل به وبمصنفاته وهي كثيرة جدا ومن اجودها كتاب اقسام العقل الانسي وكتاب الجوامع الفكرية وكتاب الفلسفة الاولى وله اخبار حسنة ونوادر في البخل وغيره فمن اخباره

حكى انه كان حاضرا عند احمد بن المعتصم وقد دخله ابو تمام فانشده قصيدته التي يقول فيها

اقدام عمرو في سماحة حاتم   في حلم احنف في ذكاء اياس

قال الكندي ما صنعت شيا قال كيف قال ما زدت على ان شبهت ابن امير المومنين بصعاليك العرب وايضا فان شعراء دهرنا تجاوزوا بالممدوح من كان قبله الا ترى الى قول العكوك في ابي دلف

رجل ابر على شجاعة عامر   بأسا وغبر في محيا حاتم

فاطرق ابو تمام ثم انشد

لا تنكروا ضربي له من دونه   مثلا شرودا في الندى والباس

فالله قد ضرب الاقل لنوره   مثلا من المشكاة والنبراس

ولم يكن هذا في القصيدة فتعجب منه ثم طلب ان تكون الجايزة ولاية عمل فاستصغر عن ذلك فقال الكندي ولعله فاته قصير العمر لانه ينحت من قلبه فكان كما قال وقد يكون في ذلك الوقت من ظهرت له دلايل من شخصه على قرب اجله وسمع الكندي انسانا ينشد

وفي اربع مني حلت منك اربع   فما انا ادري ايها هاج لي كربي

خيالك في عيني ام الذكر في فمي   ام النطق في سمعي ام الحب في قلبي

فقال والله لقد قسمها تقسيما فلسفيا وقال يوما لجاريته كان يهواها اني فرط الاعتيامات من التوقعات على طالبي المودات موذنات

يعدم المعقولات فنظرت اليه وكان ذا لحية طويلة فقال ان اللحا
المسترخيات على صدر واهل الركاكات محتاجات الى المواسي الحالقات
ومن نوادره وكلامه في البخل كان يقول من شرف البخل انك تقول
للسائل لا وذلك الى فوق ومن ذل العطاء انك تقول نعم وذلك
الى اسفل وكان يقول سماع الغناء برسام حاد لان الانسان يسمع
فيطرب فينفق فيسرف فيفتقر فيغتم فيعتل فيموت وقال عمرو بن
ميمون تغديت يوما عند الكندي فدخل جار له فدعوته الى الطعام
فقال الرجل تغديت والله فقال الكندي ما بعد الله شيء فكتفه
كتافا لو بسط يده لياكل معه كان كافرا ومن وصيته لولده يا بني كن
مع الناس كلاعب الشطرنج تحفظ شيئك وخذ من شيئهم فان مالك
اذا خرج من يدك لم يعد اليك واعلم ان الدينار محموم فان صرفته مات
واعلم انه ليس شيء اسرع فناء من الدينار اذا كسر والقرطاس اذا نشر
مثل الدرهم هو مثل الطير الذي هو لك ما دام في يدك فاذا طار صار
لغيرك وقال المتلمس قليل المال تصلحه فيبقى

ولا يبقى الكثير مع الفساد   لحفظ المال خير من تغاه
وسير في البلاد بغير زاد   واعرف بيتا بيت اكثر من ماية الف
في المساجد وهو يقول القائل

فسيري بلاد الله والتمس الغنى   تعش ذا يسار او تموت فتعذرا

فاحذر

فاحذر يا بني ان تلحق بهم ومن كلامه في الفلسفة علوم الفلسفة ثلاثة فاولها
العلم الرياضي في التعليم وهو اوسطها في الطبع والثاني علم الطبيعيات
وهو اسفلها في الطبع والثالث علم الربوبية وهو اعلاها في الطبع و
انما كانت العلوم ثلثة لان المعلومات ثلثة اما علم ما يقع عليه الحس
وهو ذوات الهيولى واما علم ما ليس بذي هيولى واما ان يكون لا يتصل
بالهيولى البتة واما ان يكون قد يتصل بها فاما ذوات الهيولى فهي المحسوسات
وعلمها هو العلم الطبيعي واما ان يتصل بالهيولى فان له انفرادا بذاته
كعلم الرياضيات التي هي العدد والهندسة والتنجيم والتاليف واما
ما لا يتصل بالهيولى البتة وهو علم الربوبية ومن شعره في قصيدة

يقصر عن مداها الريح جريا   ويعجز عن مواقعها السهام
تناهب حسنها حاد وشاد   بحث بها المطايا والمدام

ومنه

اناف الذنابى على الارؤس   فغمض جفونك او نكس
وعند مليكك فابغ العلو   وبالوحدة اليوم فاستانس
فان الغنى في قلوب الرجال   وان التعزز بالانفس
وكاين ترى من اخي عسرة   غني وذي ثروة مفلس
ومن قائم شخصه ميت   على انه بعد لم يرمس

وسمع رجلا ينشد قول ربيعة الرقي

لو قيل للعباس يا ابن محمد   قل لا وانت مخلد ما قالها فقال ليس

يقول الانسان في كل شي نعم وكان الوجه ان يستثني ثم قال
هجرت في القول لا الا لعارضة تكون اولى بلا في اللفظ من نعم
الالحان الاصوات ذوات النغم والايقاع المولف على اعداد هندسية و
زعم قوم ان الالحان موضوعة على العاريض فقال اسحق الموصلي فهو فاضل
خاتم القوم هذا قول من لم يدر هذه الصناعة واختلف فيمن وضعها
فقيل بطليموس وقيل غيره والصحيح انها قديمة موجودة في تعاليم الفلاسفة
الاولى وانما الاشهر ان بطليموس اول من افرد لها كتابا وسماه كتاب
اللحون الثمانية ولها القاب وضعها سوهفة وكان بطليموس يقول الالحان
اشرف المنطق ولذلك ترتاح اليها النفوس اكثر ارتياحا من كل نطق
واشرف النفوس ما كان اليها اكثر ارتياحا وقال غيره النغم فضل بقي من
النطق لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان
على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحن اليه الطبع وقال
افلاطون من حزن فليسمع الحان المطربة فان النفس اذا حزنت خمد نورها
فاذا سمعت من يطربها اشتعل منها ما خمد وسئل ابو سليمان المنطقي
لم صارت الطبيعة محتاجة الى الصناعة فان الشخص يكون بغيض
المنظر والقرب فاذا غنى بالالحان المطربة عشق حبه واقبل الطرف
عليه فقال ان الطبيعة انما احتاجت الى الصناعة في هذا المكان لان
الصناعة ههنا تستملي من النفس والعقل وتملي على الطبيعة مرتبتها دون

مرتبة النفس وانما تعشق النفس وتقبل آثارها وتكتب باملائها والذي
حاصل للنفس موجود فيها على نوع لطيف فالموسيقا اذا صادفت
طبيعة قابلة ومادة منقادة افرغ عليها بتاييد العقل والنفس لبوسا
شريفا واعطاها صورة معشوقة فمن ههنا احتاجت الطبيعة الى الصناعة
لانها وصلت الى كمالها من ناحية النفس الناطقة بواسطة الصناعة
الحاذقة التي من شانها استملاء ما ليس لها واملاء ما يحصل فيها تشكيلا
لما تاخذ لما تعطي فاما الاوتار والانقار فاشار الى الالات المطربة
الملهية من العيدان والدفقة وما اشبه ذلك ويقال اول من اتخذ
العود لمك ابن متوشلخ على مثال فخذ ابيه الميت وهو قول ضعيف
وقيل بطليموس وقيل بعض حكماء الفرس وسماه البربط وتفسيره باب
النجاة ومعناه انه ماخوذ من صدور باب الجنة وجعلت اوتاره اربعة
بازاء الطبايع فالزير بازاء المرة السوداء والمثنى بازاء الدم والمثلث
بازاء البلغم والبم بازاء المرة الصفراء فاذا اعتدلت اوتاره الاربعة الى النسبة
على ما يجب جانست الطبايع وانبعث الطرب وهو رجوع النفس الى
الحالة الطبيعية دفعة واحدة واول من اتخذ الدفقة لوبا ابن لمك
واتخذت العرب القصب التوقيع عليها واتخذ الفرس الصنوج
واشباههما وكل ذلك موضوع على نقرات معدودة ومقفات بينها
واول من غنى من العرب على العود بالحان الفرس النضر بن الحارث

ابن كلدة وقدم على كسرى بالحيرة فتعلم ضرب العود والغنا وقدم مكة
فعلم اهلها واول من غنى في الاسلام بالحان الفرس سعيد بن مسجح
وقبل طويس وذلك ان عبد الله بن الزبير لما هدم بناء الكعبة فهدمها
وجدد بناها وكان فيها صناع من الفرس يغنون بالحانهم فوقع
عليها ابن مسجح الغنا العربي ثم دخل الى الشام فاخذ من الحان الروم
ثم رحل الى فارس فاخذ الغنا وضرب العود واتبعه من بعده وبدا
هذه العلم بطليموس وختم بيحيى بن ابراهيم الموصلي

وفاة عبد الحميد بن يحيى بادى اقلامك هو عبد الحميد بن يحيى بن
سعد العامري الكاتب البليغ المقدم يقال انه كان في اول امره يعلم
صبيان بالكوفة ثم اتصل بمروان الجعدي قبل ان تصل اليه الخلافة
وصحبه وانقطع اليه فلما جاءته الخلافة سجد مروان وسجد اصحابه
الا عبد الحميد فقال له مروان لم لا سجدت فقال ولم اسجد اعلى
ان كنت معنا فطرت عنا بالخلافة فقال اذا تطير معي قال الآن
طاب السجود فسجد وكان كاتب مروان طول خلافته وهو اول من
اتخذ التحميدات في فصول الكتب واستعمل في بعض كتبه الايجاز البليغ
وفي بعضها الاسهاب المفرط على ما اقتضاه الحال فمن الايجاز ان بعض
العمال مروان اهدى اليه عبدا اسود فامره بالاجابة ذاما مختصرا انك
لو وجدت لونا شرا من السواد وعددا اقل من الواحد لاهديته والا الا

فانه لما ظهر ابو مسلم الخراساني بدعوة بني العباس كتب اليه عن مروان
كتابا يستميله ويضمنه ما لو قرئ لاوقع الاختلاف بين اصحاب ابي
مسلم وكان من كبر حجمه يحمل على جمل ثم قال لمروان قد كتبت كتابا متى قراه
بطل تدبيره فان يك ذلك والا فالهلاك فلما ورد الكتاب على ابي مسلم
لم يقراه وامر بنار فاحرقته وكتب على جزازة منه الى مروان بهذا البيت

محا السيف اسطار البلاغة وانتحى   عليك ليوث الغاب من كل جانب

ولما استقر الطلب على مروان وتتابعت هزائمه المشهورة قال لعبد
الحميد ان القوم محتاجون اليك لادبك وان اعجابهم بك يدعوهم
الى حسن الظن بك فاستامن اليهم واظهر الغدر بي فلعلك تنفعني
في حياتي او بعد مماتي فجرمي فقال عبد الحميد

اسر وفاء ثم اظهر غدرة   فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره

ثم قال يا امير المؤمنين ان الذي امرتني به انفع الامرين لك واقبحهما بي
لكني اصبر حتى يفتح الله عليك او اقتل معك فلما قتل مروان استخفى عبد
الحميد فعثر عليه بالجزيرة عند ابن المقفع وكان صديقه وفاجاهما
الطلب وهما في بيت فقال الذين دخلوا ايكما عبد الحميد فقال كل واحد
منهما انا خوفا على صاحبه الى ان عرف عبد الحميد فاخذ وسلم السفاح
الى عبد الجبار صاحب شرطته فكان يحمي له طستا ويضعه على راسه
الى ان مات سنة اثنتين ومائة وكان ابو جعفر المنصور يقول غلبنا بنوا

بلاغته اشياء بالحجاج وعبد الحميد والمؤذن البعلبكي وقيل لعبد الحميد
ما الذي مكنك من البلاغة فقال حفظ كلام الاصلع يعني امير المؤمنين على
بن ابي طالب وقيل له ايما احب اليك اخوك ام صديقك فقال انما
احب اخي اذا كان صديقي وقال اكرموا الكتاب فان الله اجرى الارزاق
على ايديهم وقال القلم شجرة وثمارها الالفاظ وكان ابرهيم بن جبلة يكتب
خطا رديا فقال له عبد الحميد اطل جلفة قلمك واسمنها وحرف
قطتك وايمنها يصلح خطك والى هذا اشار ابن زيدون بقوله وعبد
الحميد باري اقلامك ومن رسالة كتب عن مروان الى هشام يعزيه بامرأة
من حظاياه ان الله امتع امير المؤمنين من انيسته وقرينته متاعا مدته الى
اجل مسمى فلما انت لموهبة الله وعاريته قبض اليه العارية ثم اعطى
امير المؤمنين من الشكر عند بقائها والصبر عند ذهابها ما انفس منها في
المنقلب وارجح في الميزان واسنى في الرضى والحمد لله رب العالمين وانا لله
وانا اليه راجعون وكتب موصيا بشخص حق موصل كتابي اليك كحقه
على اذ جعلك موضعا لامله ورآني اهلا لحاجته وقد انجزت حاجته فصدق
امله وكتب يعرض بشعار بني العباس الاسود من رسالة فزوبدا كاصحى
ينضب السيل ونحو آثار الليل وكتب في فتنة بعض العمال من رسالة حق
اعتقوا في حنادس جهالة وبهادي سبل ضلالة ذلك لسابقة وسلما
في قياده الى نزل من حميم وتصلية جحيم سوى ما العجب الحفيظة ونفسه من

عوايد

عوايد الحسك وقدحت الفتنة في قلبه من نار الغضب مضادة لله تعالى
بالمناصبة ومبادرة لامير المؤمنين بالمحاربة ومجاهرة للمسلمين بالمخالفة
الا ان اصبح بفلاة مقفرة صغر بعيد المناط ينقطع دونه النياط وكذلك
يفعل الله بالقوم الظالمين وسيندم من حيث لا يعلمون وكتب من
رسالة اخرى الى اهله وهو منهزم مع مروان اما بعد فان الله
جعل الدنيا محفوفة بالكره والزور فمن ساعده الحظ فيها سكن اليها
ومن عضته بانيابها ذمها ساخطا وشكاها مستزيدا لها وقد كانت
اذاقتنا افاويق استحليناها ثم جمحت بنا نافرة ورمحتنا مولية فملح عذبها
وخشن لينها فابعدتنا عن الاوطان وفرقتنا من الاخوان فالدار
نازحة والطير بارحة وقد كتبت اليكم والدنيا تزيدنا منكم بعدا واليكم
وجدا فان تتم البلية الى اقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا ان يلحقنا
ظفر جارح من اظفار من يليكم نرجع اليكم بذل الاسار والذل شر جار
نسئل الله الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء ان يهب لنا ولكم الفة
جامعة في دار امنة تجمع سلامة الابدان والاديان فانه رب العالمين
وارحم الراحمين ومن كلام عبد الحميد وصيته المشهورة تعمد الكتاب ومن شعره

ترحل ما ليس بالقافل واعقب ما ليس بالزائل
فلهفي لذا سلف قادم ولهفي على سلف راحل
سابكي على ذا وابكي لذا بكاء مولهة ثاكل

تبكي من ابن لها قاطع وتبكي على ابن لها واصل

ومنه

كفى حزنا اني ارى من احبه قريبا ولا غير الحسود يترجم
فاقسم لو ابصرتنا حين نلتقي ونحن سكوت خلتنا نتكلم

وسهل بن هرون مدون كلامه

هو سهل بن هرون بن راهبون الكاتب ويكنى ابو عمرو من اهل
نيسابور نزل البصرة فنسب اليها ويقال انه كان شعوبيا والشعوبية
فرقة تبغض العرب وتتعصب عليها للفرس وانفرد سهل في زمانه بالبلاغة
والحكمة وصنف الكتب الحسنة معارضا بها كتب الاوائل حتى قيل له
بوذرجمهر الاسلام وله اليد الطولى في النظم والنثر وكان في اول امره
خصيصا بالفضل بن سهل ثم قدم الى المامون فاعجب ببلاغته وعقله
وجعله كاتبا على خزانة الحكمة وهي كتب الفلاسفة التي نقلت للمامون
من جزيرة قبرص وذلك ان المامون لما هادن صاحب هذه الجزيرة
ارسل اليه يطلب خزانة كتب اليونان وكانت مجموعة عندهم في بيت
لا يظهر عليها احد فجمع صاحب الجزيرة بطانته وذوي الراي واستشارهم
في حمل الخزانة الى المامون فكلهم اشار بعدم الموافقة الا مطران واحد
فانه قال الراي ان تعجل بانفادها اليه فما دخلت هذه العلوم العقلية
على دولة شرعية الا افسدتها واوقعت بين علمائها فارسلها اليه واغتبط

بها المامون وامر الحكماء بتعريبها وكان سهل بن هرون خازنا لها
فتصفحها وكتب على منوال كتبها وصنف كتاب ثعلة وعفرا في
معارضة كتاب كليلة ودمنة وكتاب سيرة الملوك للمامون وغير ذلك
ووضع كتابا في مدح البخل ثم اهداه للحسن بن سهل واستماحه فكتب
اليه الحسن قد مدحت ما ذم الله وحسنت ما قبح الله وما يقوم بفساد
معناك صلاح لفظك وقد جعلنا ثوابك فيه قبول قولك فما نعطيك
شيئا وكان سهل من ابخل الناس وله في البخل وغيره نوادر حسنة حكى
الجاحظ قال لقي رجل سهل بن هرون فقال هب لي ما لا مرزئة عليك
به فقال وما هو يا اخي قال درهم قال لقد هونت الدرهم وهو طابع
الله في ارضه الذي لا يعصى وهو عشر العشرة والعشرة عشر المائة و
المائة عشر الالف والالف عشر دية المسلم الا ترى الى اين انتهى الدرهم الذي
هونته وهل بيوت الاموال الا درهم على درهم فانصرف الرجل ولولا
انصرافه لم يسكت وحكى دعبل الخزاعي قال تغدينا يوما عند سهل بن
هرون واطلنا الحديث حتى اضر بنا الجوع الى ان دعا بغدائه فاذا
بصحفة فيها مرق تحته ديك هرم فاخذ كسرة وتفقد ما في الصحفة فلم
يجد راس الديك فبقي مطرقا ثم قال للغلام اين الراس قال رميت به
قال ولم قال لم اظنك تاكله قال ولم ظننت ذلك فوالله اني لامقت
من يرمي برجله فكيف براسه والراس رئيس يتفاءل به وفيه الحواس الخمس

ومنه بعج الله بك ولو لا صوته ما اريد وفيه فرضة الذي بيبك برد
عينه التي يجرب بصفا بنا التل ودماغ عجيب لوجع الكلية ولم
عظما قط اهش من عظم رأسه فما كان يلجئ من نيل السان لا نا كله
فقد نامن يأكلها وما علمت انه جيء من طرف الجناح او الساق وانظر
اين رجته قال لا والله لا ادري قال لكني ادري انك رميت به
في بطنك وحكى الجاحظ ان ابا الهذيل العلاف المتكلم سأله رقعة
يكتب بها الى الحسن بن سهل يستعينه على ضايقة لحقته فكتب رقعة و
دفعها اليه فاوصلها الى الحسن فلما رآها ضحك واوقف عليها ابو الهذيل واذا فيها

ان الضمير اذا سألتك حاجة ... لابي الهذيل خلاف ما ابدى
فامنعه روح الناس لم ابدله ... حبل الرجا بمخلف الوعد
حتى اذا طالت شقاوة جده ... وعنائه فاجبهه بالرد
وان استطعت له المضرة فاجتهد ... فيما يضر بابلغ الجهد

ثم قال الحسن هذه صفته لا صفتنا وامر لابي الهذيل قال فعاد اليه فعاتبه
فقال سهل ترى ابن عز بعث الفهم اما سمعت قولي ان الضمير خلاف
ما ابدى فلو لم يكن ضميري الجزء ما قلت هذا وهذه من مغالطات سهل و
بلاغته وسياتي في ترجمة الجاحظ حكاية مثل هذه ومن محاسن تخريجات
سهل انه خاطب بعض الامراء فقال له كذبت فقال ايها الامير وجه الكذاب
لا يقابلك يعني بنفسه بذلك لان وجه الانسان لا يقابله ويروى ان المامون

كان قد انحرف عن سهل الى ان دخل عليه يوما فقال يا امير المؤمنين انك
ظلمتني وظلمت فلانا الكاتب قال ويلك وكيف قال رفعته فوق قدره
ووضعتني دون قدري الا انك له في ذلك اشد ظلما قال وكيف قال
لانك اقمته مقام هزؤ واقمتني مقام رحمة فضحك المامون وقال قاتلك
الله ما اهجاك ثم رضي عنه وقد رويت هذه الحكاية لغيره وحكي عن سبب
رضاء المامون عنه انه تكلم بكلام حسن في محفل فقال ما لكم تسمعون
ولا تعون ولا تعجبون اما والله انه ليقول ويفعل في اليوم القصير مثل
ما قالت وفعلت بنو مروان في الدهر الطويل فاعجب المامون بقوله
ورضي عنه ومن كلامه يعزي التهنئة على اجل الثواب والتعزية
على عاجل المصيبة وقال في المعنى مصيبة في غيرك لك اجرها احب الي من
مصيبة فيك لغيرك ثوابها وقال حق على كل ذي مقالة ان يبدأ بحمد
الله قبل استفتاحها كما بدأ بالنعمة قبل استحقاقها وكتب الى صديق له
ابل من ضعف اشتكى حين الفترة في ايامها وانحسار [illegible] والشكاة في
حلولها وارتحالها فكاد يشتمل القلق بأوله على السكون لآخره و
تذهل الحيرة في ابتدائه عن المسرة في تمامه وكان تقريف في الحالين
بقدرها ارتياعا للاولى وارتياحا للاخرى وكتب الى اخر اما بعد
فالسلام عليك وداع ذي ضن بك في غير مقلية لك ولا سلو
عنك بل استسلام للبلوى في امرك واقرار بالعجز عن استعطافك الى

اوان فيك او يجعل الله لنا دولة من رجعتك وقال يفضل الزجاج
على الذهب من رسالة الزجاج مجلو نوري والذهب متاع ساتر
والشراب في الزجاج احسن منه في كل معدن ولا يفقد معه وجه
النديم ولا يثقل اليد ولا يرتفع في السوم واسم الذهب يتطير منه و
من لؤمه سرعته الى اللئام وهو فاتن لمن صانه وهو ايضا من
مصايد ابليس ولذلك قالوا اهلك الرجال الاحمران والزجاج لا يحمل
الوضر ولا يتداخله الغمر ومتى غسل بالماء وحده عاد جديدا وهو اشبه
شيء بالماء وصنعته عجيبة وصناعته اعجب من رسالة طويلة وكان
سبب قوله هذا ان شد والحارثي كان قد وصف الذهب فاطنب و
كان النظام قد ذم الزجاج وقال تعلموا العلم قبل ان يذم الزمان لكم
حتى يشان بذم بكم وقال يوم ثلثة من المجانين الغضبان والغيران
والسكران فقال نحن من العوام فما تقول في المنعظ فضحك حتى استلقى و انشد

وما شر الثلثة ام عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا

ومن كلامه في كتاب عمرا ونبله اجعلوا اداء ما يجب عليكم من الحقوق
مقدما قبل الذي تجودون به من تفضلكم فان تقديم النافلة مع
الابطاء في اداء الفريضة شاهد على وهن العقيدة وتقصير الروية ومضر
بالتدبير ومخل بالاختيار وليس في نفع محمد تعويض من فساد المروة
ولزوم النقيصة ومن شعره قوله

انكت

انكت اخطات ام انت افضل فضلك ماوى للعفو والمن
انت بما استحق من خطا فجد بما تستحق من حسن

وقوله

اعان طرفي على جسمي واعضائي بنظرة وقفت جسمي على داء
وكنت غرا بما تجني على يدي لا علم لي ان بعضي بعض اعدائي

وقوله يهجو دحلا اذا بيت

من كان يعمر ما شادت اوائله فانت تهدم ما شادوا وما سمكوا
ما كان في الحق ان تابى فعالهم وانت تحوي من الميراث ما تركوا

وقوله

تكنفني همان قد كسفا بالي وقد تركا قلبي محلة بلبال
هما اذريا دمعي ولم تذرا معي ربيبة خدر ذات سمط وخلخال
ولكنما ابكي بعين سخينة على خلل تبكي له عين امثالي
فراق خليل مثله يورث الاسى وخلة حر لا يقوم لها مالي
فوجري حتى منه انا موجع بفقد حبيب او تعذر افضال

وقوله

اذا امرء ضاق ومخيله بفوت خلقه من ان يرى غنيا فلمه الليالي
لا اطلب المال كي اغنى بفضلته ما كان مطلبه فقرا الى الناس

وعمرو بن بحر مستمليك

هو عمرو بن بحر بن محبوب ويكنى بابي عثمن ويعرف بالجاحظ وبالحدقي
وكان اول اشهر امام الفصحاء والمتكلمين التي ملئت الآفاق اخباره وفوايده
فقيل ما فضل الله بها بحمد علي غيرها من الامم عمر بن الخطاب بسنية

والحسن البصري بعلمه والجاحظ ببيانه ولد بالبصرة ونشا ببغداد واشتغل
على ابي اسحق النظام المقدم ذكره بمذهب الاعتزال وتامل كتب الفلاسفة
ومال الى الطبيعيين منهم وساد على المتكلمين بفصاحته وحسن عبارته
ومما تفرد به ان القول بالمعرفة طباع وهي مع ذلك فعل العباد على
الحقيقة وكان يقول في ساير الافعال انها انما تنسب الى العباد على انها
وقعت منهم طباعا وانها وجبت بارادتهم وليس بجايز ان يبلغ احد فلا
يعرف الله تعالى والكفار عنده بين معاند وبين عارف قد استغرقه حبه
لمذهبه وعصبيته فهو لا يشعر لما عنده من المعرفة بخلافه فالى غير ذلك
من آرائه التي تبعه عليها اصحابه المعروفون بالجاحظية فاما مصنفا
مصنفاته الادبية مثل كتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان وكتاب
الامصار وغيرها من الرسايل فكثيرة جدا مشحونة بانواع الفضائل
وكان منقطعا الى الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات منحرفا عن ابن
ابي داود فلما قبض ابن الزيات هرب الجاحظ فقيل له لم هربت قال
خفت ان اكون ثاني اثنين اذ هما في التنور يريد ما صنع بابن الزيات
من ادخاله تنورا فيه مسامير محمية كان هو صنعه ليعذب الناس فيه
فعذب به حتى مات ثم اتي بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفي عنقه
سلسلة وهو مقيد في قميص سمل فلما نظر اليه ابن ابي داود قال والله
ما علمتك الا كفورا للنعمة معددا للمساوي في كلام يقرعه به فقال الجاحظ

خفض

خفض عليك ايدك الله فوالله لان يكون لك الامر علي خير من ان يكون
لي عليك ولان اسي فتحسن احسن في الاحدوثة عنك من ان احسن
فتسيء ولان تعفو عني في حال قدرتك اجمل بك من الانتقام مني فقال له
ابن ابي داود قبحك الله فوالله ما علمتك الا كثير تزويق اللسان يا غلام
صر به الى الحمام فادخل الحمام وحمل اليه تخت من ثياب وطويلة فلبس
ذلك واتاه فصدره في مجلسه ثم اقبل عليه وقال هات الان حديثك
يا ابا عثمان ولم يزل عزيز الجانب موفور المال والجاه من مبتدا امره الى
ان مات سنة خمس وخمسين ومايتين بعد ان بلغ اكثر من تسعين سنة
وللجاحظ حكايات طريفة كثيرة ونثر طائل ونظم ضعيف فمن اخباره ونوادره
قال اتيت منزل صديق لي فطرقت الباب فخرجت الي جارية سندية فقلت
قولي لسيدك الجاحظ بالباب فقالت اقول الجاحظ بالباب على لغتها فقلت
لا قولي الحدقي فقالت اقول الحلقي فقلت لا تقولي شيئا ورجعت وقال ما
اخجلني احد مثل امراتين رايت احديهما في العسكر وكانت طويلة القامة
وكنت على طعام فاردت ان امازحها فقلت انزلي كلي معنا فقالت
اصعد انت حتى ترى الدنيا واما الاخرى فانها اتتني وانا على باب داري
فقالت لي اليك حاجة واريد ان تمشي معي فقمت معها الى ان اتت بي الى
صايغ يهودي فقالت له مثل هذا وانصرفت فسالت الصايغ عن قولها
فقال انها اتت الي بفص وامرتني ان انقش لها صورة شيطان فقلت يا

وابن الشيطان فانت ملك وكان الجاحظ قبيح المنظر الا انه كان
يجلي عنه وقال ادخلت ديوان المكاتبات ببغداد فرايت قوما قد صقلوا
ثيابهم وصقلوا عمائمهم ووشوا طررهم ثم اختبرتهم فوجدتهم كما قال الله تعالى
فاما الزبد فيذهب جفاء ظواهر نظيفة وبواطن سخيفة فويل لهم مما
كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون وقال وقفت مرة على قاص فاردت
الولع به فقلت لمن حوله انه رجل صالح لا يحب الشهرة فتفرقوا عنه فنظر
الي وقال حسبك الله القاص كالواعظ وقال قلت يوما لعبيد الكلابي
اتسرك ان تكون هجينا ولك الف دينار فقال لا احب اللوم بشي قلت فا
امير المؤمنين ابن امة فقال اخزى الله من اطاعه قلت نبيا الله
واسمعيل كانا ابنا امة فقال لا تقول هذا الا قدري قلت
وما القدري قال لا ادري الا انه رجل سوء وقال اتاني بعض الثقلا فقال
سمعت ان لك الف جواب مسكت فعلمني منها فقلت نعم فقال
اذا قال لك شخص يا زوج القحبة يا ثقيل الروح ايش اقول له قلت قل له
صدقت وقال انشدت ابا شعيب القلال شعرا لابي نواس فقال هذا
شعر لو نقر لطن فقلت ويلك ما تفارق الجرار والخزف حيث كنت
واشترى خصيا اسود فقيل له في ذلك فقال اخذته اسود لئلا يتهم
بي وخصيا لئلا اتهم به واجتمع بالبصرة بالحماني في مجلس فقال له الحماني
كم نار في اللغة فقال نار الحرب ونار السحر ونار الحاجب ونار العدة ونار

المؤلفة

المؤلفة قال تركت ابلغ النيران قال وما هي قال نار حر امك التي كلما
القي فيها فرج سلم خرجتما فقال الجاحظ اما نار حر امي فقد نضجت
ان لها اخرتنا الشان في نار حر امك التي يقال لها هل امتلات وتقول
هل من مزيد وسال شخص كتابا الى بعض اصحابه بالوصية فكتب له
رقعة وختمها فلما اخرج الرجل من عنده فضها فاذا فيها كتابي اليك مع من
لا اعرف ولا اوجب حقه فان قضيت حاجته لم احمدك وان رددته لم
اذممك فرجع اليه الرجل فقال الجاحظ كانك فضضت الورقة قال نعم
قال لا يضرك ما فيها فانه علامة لي اذا وددت العناية بشخص فقال الرجل
قطع الله يديك ورجليك ولعنك فقال ما هذا قال علامتي اذا اردت
ان اشكر شخصا وقال نزلت على صديق لي فلم اكل عنده لحما فعرضت له
فقال اني لا اكثر في اللحم منذ سمعت الحديث ان الله يكره البيت اللحم
فقلت يا اخي اراد البيت الذي تؤكل فيه لحوم الناس بالغيبة فلم يحضر
حضور اللحم من ذلك اليوم وحكى ابن ابي طاهر قال صرت الى الجاحظ ومعي
جماعة وقد اسن واعتل في آخر عمره وهو في منظرة له عند ابن خاقان
جاره فقرعنا الباب فلم يفتح لنا واشرف من المنظرة فقال الا اني قد
حوقلت وحملت ديح ابي سعد وسقت الفز فما تصنعون بي سلموا
سلام الوداع فسلمنا وانصرفنا قوله حوقلت اكثر من قول لا حول ولا
قوة الا بالله لتتابع الامراض وقوله ديح ابي سعد فهو رجل من العرب اسن

فاستعان بالعصا وهو اول من فعل ذلك فقيل لكل من شاخ اخذ
رمح ابي سعد وقوله سقت العنق حنو عند الرب كما يتر عن الهرم
لان سائق العنز يطاطي راسه وكان سبب علة الجاحظ انه حضر
مائدة ابن ابي داود وفي الطعام سمك ولبن وكان ابن بختيشوع الطبيب
حاضرا فنهاه عن الجمع بينهما فقال الجاحظ ان السمك ان كان مضادا
اللبن فاني اذا اكلتهما دفع كل منهما ضرر الآخر وان كان متساويين
فكاني اكلت شيئا واحدا فقال ابن بختيشوع انا لا احسن الكلام و
لكني اردت ان تجرب فاكل فاصابه فالج عظيم ونقرس حتى دخل
عليه بعض اصحابه فقال له كيف حالك فقال اصطلحت على الاعداء
فلو جرح شقي الايسر ما احسست به من الفالج ولو مرت على شقي الايمن
ذبابة لآدمتني واشد ما اشكو التسعين وحكى بعض ابناء البرامكة
قال تقلدت السند وحصل لي ما شاء الله ثم صرفت عنها وكنت قد
كسبت فيها ثلثين الف دينار فضمنتها عشرة آلاف هليلجة وجاء
الصادف فركبت البحر وانحدرت الى البصرة فخبرت ان الجاحظ بها
وانه عليل بالفالج واحببت ان اراه قبل وفاته فصرت اليه ووقفت على
الباب فخرجت الي خادمة صفراء فقلت رجل غريب احب ان انظر
الى الشيخ فبلغته فسمعته يقول قولي له ما تصنع بشق مائل ولعاب
سائل ولون حائل فقلت للجارية لا بد من النظر اليه فقال هذا رجل

ودد البصرة وسمع بي ويريد ان يقول رايت الجاحظ فاذن لي فدخلت
وسلمت فرد ردا جميلا وقال من تكون اعزك الله فانتسبت له
فقال رحم الله اسلافك واباءك السمحاء فلقد كانت ايامهم رياض
الدهر ولقد رأى بهم الخلق خيرا كثيرا فسقيا لهم ورعيا فدعوت له
وقلت انشدني شيئا فقال

لئن قدمت قبلي رجال لطالما ... مشيت على رسلي فكنت المقدما
ولكن هذا الدهر تأبى صروفه ... فتبرم منقوضا وتنقض مبرما

ثم نهضت فلما قربت من الباب قال يا فتى رأيت مفلوجا ينفعه
الاهليلج قلت لا فان قال الاهليلج الذي معك ينفعني فابعث لي
منه فقلت نعم وعجبت من وقوفه على خبري مع كتمي له وبعثت له
منه شيئا ومن كلامه في رسالة ابقاك الله بقاء اياديك ولا نقلنا
من ظلك ولا اضلنا عن سبيلك فاصابت وصبر الاجواد سوابق ولا
اخذ الملهوف بظلمه في دهره الاعبد والساداة اقول فيغني تنائي
مناظرات مجانسة حتى بقيت لا ادري باي معنى ابدا من صفته مع
خوفي ان لا يقع قولي من مسامعه الزهية موقع القصد تواترت كنت
واصفا من لا يقع في البشر وجود مثله واني ولا اين يوجد نظيره وهو
الذي تسربل بالنهى وارتدى بالتقى ونطق بالعدل ورسخ في
الفضل فماء الحياء منحدر من اسرة وجهه وسماء الجود ممطرة من برج

انا سله ولا الى المجد مشاكرة من بلاغة منطقه فاحمد النعم على برفينه
التى كادا فراط افراط السرور بما ينقضى بما اتوقع من حادث تود بعى
لدروفراق اباه واسئله اذكره نعمه فان مما يطمعنى من بقائهما انه
اخذها بحقها ومن شان الاجاد ان تتواصل والشى تتغلغل فى
معدنه وتحن الى عنصره فاذا صادف منبته وشجره وقره وسقى
بعزوغمره وتمكن الاثمار وثبت ثبات الطبايع وكتب الى قليب
المزنى والله يا قليب لولا ان كبدى فى هواك مقروحة وروحى بك
مجروحة لساجلتك هذه القطيعة وباديتك حيل الصارمة و
ارجو ان الله تعالى بدليل تغيرى من جفائك فيرد ك الى مودتى
انف لعلى راغم فقد طال العهد بالاجتماع حتى كدنا نتناكر عند
الالتقا وكتب الى ابن ابى داود يستعطفه ليس عندى اعزك الله
سبب ولا اقدر على شفيع الا ما طبعك الله عليه من الكرم والرحمة
والتاميل الذى لا يكون الا من نتاج حسن الظن واثبات الفضل
لحال الماول وارجو ان اكون من العتقاء الشاكرين فتكون خير
معتق واكون افضل شاكر ولعل الله ان يجعل هذا الامر سببا له
لهذا الانعام وهذا الانعام سببا للانقطاع اليكم والكون تحت اجنحتكم
فيكون لا اعظم بركة ولا اين يقيته من ذنب اصبحت فيه وبتك
جعلت فداك انقلب الشر خيرا وعاد البوس نعيما منها جعلت فداك

من عاقب

من عاقب فقد اخذ حظه وانما الاجر فى الاخرة وطيب الذكر فى الدنيا
على قدر الاحتمال وتجرع المرائر وارجو ان لا اضيع واهلك بينما بين
عقلك وكرمك وما اكثر من يعفو عمن صغر ذنبه وعظم حقه وانما الفضل
والسنا العفو عن عظيم الجرم ضعيف الحرمة وان كان العفو العظيم مستطرفا
من غيركم فهو تلاد فيكم حتى ربما دعا ذلك كثيرا من الناس الى مخالفة
امركم فلا انتم على ذلك تشكلون ولا على سالف احسانكم تندمون وما
مثلكم الا كمثل عيسى بن مريم حين كان لا يمر بملاء من بنى اسرائيل الا
اسمعوه شرا واسمعهم خيرا فقال له شمعون الصفا ما رايت كاليوم
كلما اسمعوك شرا اسمعتهم خيرا فقال كل امرء ينفق مما عنده وليس
عندكم الا الخير ولا فى وعيتكم الا الرحمة وكل اناء بالذى فيه ينضح ومن
كلامه فى المعنى ذنبك الله بالتقوى وكفاك ما اهمك من الاخرة والدنيا
من عاقب ابقاك الله على الصغيرة عقوبة الكبيرة وعلى الهفوة عقوبة
الاصرار فقد تناهى فى الظلم من لم يفرق بين الاسافل والاعالى والادانى
والاقاصى والله لقد كنت اكره شرف الرضا مخافة حواذبه الى سرف الهوى
فما ظنك بسرف الغيظ وغلبة الغضب جعلت فداك ان ذا الغضب طايش
مجول مخالس ومعه من الحرق بقدر قسطه من النهاب المرة الحمراء وانت ربح
انت حسم جميعك وعمل الافة فى الدقاق اسرع وحدها عن الغلاظ
للجفاة اكل فلذلك اشد جزعى عليك من سلطان الغيظ وغلبته فاذا دت

ان تعرف مقدار الذنب اليك من مقدار عقابك عليه فانظر في علته وفي
سببه اخراجه الى معدنه الذي منه نجم ومنشأه الذي فيه درج والى جهته
صاحبه في التسرع والثبات والى حاله عند التعريض وفطنته عند التورية
فكل ذنب كان سببه منوقصد من جهة الغلط في المقادير او من طريق
الانفة وغلبة طباع الحمية او من جهة الجفوة او من جهة استحقاقه فيما دون
لم يعلم انه مقصر به في حقه متوخر عن درجته او كان مستلها عنه مكذوبا عليه
او كان ذلك جاريا فيه عن ممتنع منه فاذا كانت ذنوبه من هذا الشكل
فليس يقف عليها الى بعد ولا ينظر فيها حكيم ولست اسميه بكثرة معرفته
كريما حتى يكون عقله غامرا لعلمه وعلمه غالبا على طباعه كالا اسميه يكف
العقاب حليما حتى يكون عارفا بمقدار ما اخذ وترك ومتى وجدت الذنب
بعد ذلك لا سبب له الا البغض المحض والعناد الغالب فلو لم ترض لصاحبه
بعقاب دون مفرجتهم لعذرك كثير من العقلاء وصوبك عالم من الاشراف
واذا كانت غلبة طبعه الشر وخليقته البذاء والاذى فاقتل قتل العقارب
واذ ممن دفع الحيات فمن عفوت عنه مع هذه الحكومة واكرمته على هذه
الشريطة فقد شاركته في الذنب وكنت له عونا عليك منها ومن العدل
المحض والانصاف الصحيح ان تحط عن الحاسد نصف عقابه لان الم حسده
لك قد كفاك مؤنة شطر غيظك عليه منها والاناة اقرب من الحمد
وابعد من الذم والاناة من تخوف العجلة وقد قال الاول عليك بالاناة فانك

على ايقاع

على ايقاع ما تتوقعه اقدر منك على رد ما قد اوقعته وليس يعاب بالغضب
ايسام شاب بشيء الا صرعة ولا بنادرة قبل اتمامه الا اقتدره وانما يحال
له قبل هيجه فمتى تمكن واستفحل واذكى ناره واشتعل ثم لاقى من صاحبه
قدرة ومن اعوانه سمعا وطاعة فلو استعطفته بالتورية واجبته بالادلة
ولذذته بالزبور واوقعت على راسه القرآن او اتيته بادم شفيعا
لما قصر دون اقصى قوته ولتمنى ان يعاد اضعاف قدرته وقد جاء في
الاثر ان اقرب ما يكون العبد من غضب ربه اذا غضب وقال قتاده
لن يسكن غضب العبد الا ذكر غضب الرب فلا تقف حفظك الله
بعد مضيك في عتابي التماسا للعفو عني ولا تقصر عن افراطك من
طريق الرحمة بي ولكن قف وقفة من تهيم الغضب على عقله والشيطان
على دينه ويعلم ان للكرم اعداء وصيك امساك من لا يبرئ نفسه من الهوى
ولا يبرئ الهوى من الخطا ولا تنكر لنفسك ان تزل ولعقلك ان يهفوا
فقد زل آدم عم وقد خلقه الله بيده ولست اسلك الا ريثما تسكن نفسك
ويرتد اليك ذهنك وترى ذا الحلم وما يجلب من السلامة وطيب ح
الاحدوثة ان الله يعلم وكفى به عليما لقد اردت ان افديك بنفسي
في مكاتبتي وكنت عند نفسي في عداد الموتى وفي حيز الهلكى فرايت ان
من الخيانة لك ومن اللؤم في معاملتك ان افديك بنفس ميتة وانا
اديك اني قد جدت لك بنفس ذهبت والذاهب معدوم وانا اقول لك كما قال

اخو ثقيف سورة الاخ التالد وان اخلف خير من سورة الطارف وان
ظهرت مساعيه ووافقت جدته رسالته وسلم عليك وكان لك
ومعك ومن فصوله القصار قال البخل والجبن غريزة واحدة يجمعها
سوء الظن بالله تعالى وقال من قابل الاساءة بالاحسان فقد خالف
الرب في تدبيره وظن ان رحمته فوق رحمته اسجل ثناؤه والناس
لا يصلحون الا على الثواب والعقاب وقال من رسالة من العدل المحض
ان تحط عن الحاسد نصف عقابه لان المحسود لك قد كفاك شطر مؤونة
غيظه عليك وقال لمانح اسال الانسان قد رانك فيهما ثبت من
الانسان ولما سنح نماء نسالم تراك فيهما تبين الازمان ومن شعره

يطيب العيش ان تلقى حكيما — غذاه العلم والفهم المصيب
فيكشف منك عن كل جهل — وفضل العلم يعرفه اللبيب
سقام الحرص ليس له شفاء — وداء الجهل ليس له طبيب

ومن شعره

ان حال لون الراس عن حاله — ففي خضاب الراس مستمتع
هب ان من شاب له حيلة — فما الذي يحتاله الاصلع

ومن ابيات له يمتدح بها

بدا حين اثرى باخوانه — ففلل عنهم شباة العدم
وذكره الحال صرف الزمان — فبادر قبل انتقال النعم
فتى خصه الله بالمكرمات — فمازج منه الحيا بالكرم

ومنه

ومنه — وكم كان من اصدقاء له — واعداء قد تفانوا فما خلدوا
تساقوا جميعا كؤوس الردى — فمات الصديق ومات العدو

ومما اورده الشريف المرتضى والعهدة عليه فان هذا الشعر ادفع من
طبقة شعره يذكر فيه الخضاب

رب فتاة من بني هلال — قد عجلت الي بالسؤال
مالي اراك قاني السبال — كانما كرعت في جريال
تنح عن فكري وعن خيالي

ومالك بن انس مستفتيات

هو مالك بن انس بن ابي عامر التيمي وكنيته ابو عبد الله امام الحرمين
ولد بالمدينة سنة سبع وتسعين ويقال انه اقام في بطن امه ثلث سنين
وكان يقول قد يكون الحمل ثلث سنين وقد حمل بعض الناس ثلاث
سنين يعني نفسه وكان طويلا شديد البياض مائلا الى الشقرة مهيبا
سري اللباس والمجلس وهو اول من صنف في الفقه كتابا فوضع الموطا
كذا قال العسكري في كتاب الاوائل ولحاه اهل المدينة وكان مالك اذا
اراد ان يحدث عن رسول الله صلعم اغتسل وتبخر وتطيب فاذا رفع احد صوته
قال اخفض صوتك فان الله تعالى يقول يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي صلعم فمن رفع صوته عند حديثه فكانما رفعه
عند صوته وقال زيد بن داود رايت في المنام كان القبر انفرج واذا رسول الله صلعم

قاعد والناس مصغون فصاح صائح اين مالك بن انس فجاء
مالك حتى انتهى الى رسول الله صلعم فاعطاه شيئا فقال اقسم هذا على الناس
فاذا هو مسك وقال الشافعي قال لي محمد بن الحسن ايما اعلم صاحبنا
ام صاحبكم يعني اباحنيفة ومالكا فقلت على الانصاف قال نعم قلت
ناشدتك الله من اعلم بالقرآن قال اللهم صاحبكم قلت فمن اعلم
بالسنة قال اللهم صاحبكم قلت فمن اعلم باقاويل الصحابة قال اللهم
صاحبكم قلت فلم يبق الا القياس والقياس لا يكون الا على هذه الاشياء
فعلى اي شيء يقيس وقال وهب سمعت مناديا ينادي الا لا يفتي الناس
الا مالك بن انس وابن ابي ذيب وقال محمد بن جعفر لما دعي مالك وشاور
وقبل منه حسده الناس وبغوه بكل شيء فلما ولي جعفر بن سليمان سعوا به
اليه وقالوا انه لا يرى ايمان بيعتكم هذه بشيء وهو يأخذ بحديث
رواه الاحنف في طلاق المكره انه لا يجوز فدعا جعفر بمالك وقد غضب
فاحتج عليه بما قيل عنه ثم جرده وضربه بالسياط ومدت يده حتى خلع
كتفاه فوالله ما زال مالك بعد ذلك في رفعة من الناس وعلو من قدره
واعظام الناس له حتى كانما تلك السياط التي ضرب بها حليا حلي به وقيل
انما ضرب مالك لانه سئل عن سيرة عبد الرحمن بن معوية الاموي الداخل
الى الاندلس والتملك بجزيرته فقيل له انه يأكل خبز الشعير ويلبس الصوف
ويجاهد في سبيل الله وعددت مناقبه فقال مالك ليت ان الله زينا

حرمنا بنبله فنقم عليه بنو العباس هذا القول وبلغ عبد الرحمن فسر
بقوله وجمع اهل الاندلس على مذهب مالك فهذا سبب اجتماع المغاربة
على مذهبه وتوفي رحمه الله سنة سبع وستين ومائة ومن اخباره ما حكى
الشافعي قال رايت على باب مالك خيلا كراعا من افراس خراسان وبغال
مصر قل ما رايت مثله فقلت لمالك ما احسنه قال هو هدية مني اليك
فقلت يا اباعبدالله دع لنفسك منها ما تركبه فقال انا استحي من
الله ان اطأ تربة فيها رسول الله صلعم بحافر دابة ووجه الرشيد الى مالك
ليأتيه فيحدثه فقال مالك ان العلم يؤتى اليه فصار الرشيد الى منزله
واستند الى الجدار فقال مالك يا امير المؤمنين ان من اجلال رسول الله صلعم
اجلال العلم فقال فجلس بين يديه فحدثه وبعث الرشيد الى سفيان
بن عيينة فاتاه سفين فقعد بين يديه فحدثه فكان الرشيد يقول
يا مالك تواضعنا لعلمك فانتفعنا به وتواضع لنا علم سفين فلم ننتفع به
وحكى ان ابا يوسف القاضي حضر مجلس مالك فقال ابو يوسف من جملة
كلام الانسان تارة يخطي وتارة لا يصيب فقال مالك هكذا عرفنا
مشايخنا فضحك بعض الحاضرين فلما خرجوا قال بعض اصحاب مالك ان ابا
يوسف قال كذا وكذا ولعله متعمد واجبت كذا فخجل مالك ودعا على ابي يوسف
ان لا ينتفع بعلمه فكان كذلك مع جودة كتبه عند الحنفية وحكى ابن
حمدون في تذكرته ان حسن بن لقمان قال كنت بالمدينة فخلا الطريق

نفقا الملاح فجعلت اتغنى في شعر ذي يزن

ما بال قومك يا رباب   خزرا كأنهم غضاب

فاذا كوة قد فتحت واذا محجف قد بدا منها تتبعه لحيته فقال يا فاسق
اسأت التأدية ومنعت القائلة واذعت الفاحشة ثم اندفع تغنى
الصوت غناء لم اسمع مثله فقلت اصلحك الله من اين لك هذا الغناء
فقال نشأت وانا غلام يعجبني الاخذ عن المغنين فقالت لي امي يا بني ان
المغني اذا كان قبيح الوجه لم يلتفت الى غنائه فدع الغناء واطلب الفقه
فتركت المغنين وتبعت الفقهاء فبلغ الله بي الى ما ترى فقلت اعد
الصوت جعلت فداك فقال لا ولا كرامة تريد ان تقول اخذته عن
مالك بن انس واذا هو مالك ومن كلامه اذا ترك العالم قول لا ادري اصيبت مقاتله
وقال ليس العلم بكثرة الرواية وانما هو نور يقذفه الله في القلب وسئله
رجل عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فقال الاستواء معقول و
الكيف مجهول وما اظنك الا رجل سوء **ما اتى الذي اقام البراهين ووضع**
القوانين البرهان في اللغة بيان الحجة ووضوحها وهو مصدر بره
يبره اذا ابيض وامرأة برهاء وبرهرهة شابة بيضاء وقال الراغب البرهان
اوكد الادلة وهو الذي يقتضي الصدق ابدا لا محالة وذلك ان الادلة
خمسة اضرب دلالة تقتضي الصدق ابدا لا محالة ودلالة تقتضي الكذب
ابدا ودلالة الى الصدق اقرب ودلالة الى الكذب اقرب ودلالة اليهما سواء

وقال

وقال بعض الحكماء مبادي البرهان خمس الاوليات والمشاهدات وال
التواترات والمجربات والحدسيات وقال آخر البرهان حجة تنتج يقينا و
تنقسم الى برهان اني وبرهان لمي وامثلته معروفة وقد ذكرت ان
اول من حرر كتب المنطق ارسطاليس وقد تقدم ذكره والقوانين و
واحدها قانون وهو لفظ رومي ومعناه عند المنطقيين صورة كلية
يتعرف منها احكام جزئياتها المطابقة لها **وحد الماهية وبين الكيفية و الكمية**
ماهية الشيء تصوره في الفكر ومعرفته ما هو واوجز حدوده في المنطق وهم
ماهية الشيء ما يحصل في الذهن من صورة كلية مطابقة له بعد حذف
المشخصات عنه ان كان جزئيا فهي احسن حدوده العلم عند الحكماء فان العلم
ينقسم الى ثلثة اقسام علم ما وعلم كيف وعلم كم فالعلم الذي يطلب منه ماهيات
الاشياء هو العلم الالهي والذي يطلب منه كيفيات الاشياء هو الطبيعي
والذي يطلب منه كميات الاشياء فهو الرياضي والكمية والكيفية اسم
النسبة الى كم وكيف وكم عبارة عن العدد ومن النحاة من يجعله اسما
ناقصا مبنيا على السكون والنسبة اليه الكمية بالتخفيف ومن يجعله اسما
تاما شدد آخره وصرفه فقال اكثرت من الكم والنسبة اليه الكمية
بالتشديد وهو عند المنطقيين قسم من اقسام العرض وهو نوعان منفصل
ومتصل فان لم يكن بين اجزائه حد مشترك فهو الكم المنفصل وهو العدد
وان كان بين اجزائه حد مشترك فهو الكم المتصل وهو ان كان قار الذات

فهو المقدار وان لم يكن قار الذات فهو الزمان وكيف اسم ممكن متمكن
وانما حرك آخره لالتقاء الساكنين وبنى على الفتح دون الكسر لمكان اليا
قال الراغب يسئل به عما يصح ان يقال فيه شبيه وغير شبيه كالاسود والابيض
والصحيح والسقيم ولهذا لا يصح ان يقال في الله عز وجل كيف وقال بعض
الحكماء هو كل هيئة قارة في جسم لا يقتضي قسمة ولا نسبة فقولنا قارة
يخرج الزمان وقسمة يخرج الكم ونسبة يخرج للمقولات في العرض

ونا ظر في الجوهر والعرض ومميز من الصحة من المرض

الكلام في الجوهر والعرض على راى الحكماء طويل غامض وانما انقل نبذة
من اقرب ما سمعت فالجوهر هو الجسم كالانسان والفرس والحجر ونحو ذلك
والعرض الحال والوصف المتعاقب عليه كالالوان من بياض وسواد
وحمرة والحركات المختلفة من قيام وقعود واضطجاع وجميع ما عدا الجوهر
فاسم العرض واقع عليه وانما مثلنا الجوهر بالجسم دون غيره فيما يقع عليه
اسم الجوهر لان الذين اثبتوا جواهر ليست كالاجسام كالعقل والنفس و
الجزء الذي لا يتجزء ليس يمتنع احد منهم ان يسمى الجسم جوهرا فصار الجسم
هو الجوهر المتفق عليه وقال بعض الحكماء الجوهر خمسة انواع المادة والصورة
والجسم والنفس والعقل ووجه الحصر انه ان كان حالا في محل فهو الصورة
وان كان محلا للحال فهو المادة وان كان مركبا منهما فهو الجسم وان لم يكن كذلك
فهو الجوهر المفارق وهو ان تعلق بالجسم تعلق التدبير فهو النفس والا

فهو العقل والعرض عند اكثرهم احد وعشرون ضربا وعند بعضهم ثلثة
وعشرون عشرة منها تختص بالاحياء وهي الحيوة والقدرة والشهوة
والنفرة والارادة والكراهة والاعتقاد والظن والنظر والالم واحد
عشر تكون للاحياء وغير الاحياء وهي الكون وتشتمل على اربعة اشياء
الحركة والسكون والاجتماع والافتراق والتاليف والاعتماد كالثقل
والخفة والبرودة واليبوسة والرطوبة واللون والرايحة والطعم و
الاثنان اللذان زادهما بعضهم الحيوة والموت والصحة وجودة الاعتدال
الخاص للانسان وتستعاد لغيره والمرض الخروج عن الاعتدال والتمييز
الفصل بين الشيئين والمعنى انك الذي جودت صناعة الطب وذكر
الطب عقيب الجوهر والعرض لان الجميع من العلوم العقليات وقد
يكون مراده التمييز بين صحة الاشياء ومرضها كالحقايق والشكوك
والفضائل والرذائل لو ما شبهت الشكوك والرذائل بالمرض لكونها
ما نعتر عن ادراك الفضل كالمرض المانع للبدن عن ادراك الشرف
الكامل وعلى كلا الوجهين قالوا انك انت الحكيم الذي نظر في هذه
العلوم واظهرها **وفك المعمى** عمى الامر اذا التبس وعميت معنى
البيت من الشعر اذا اخفيته ومنه المعمى للغز والمراد بالمعمى ههنا حروف
يصطلح عليها الكاتب مع نفسه ويكاتب بها ونسى لان الترجم وطارانى
مذكورة تعين على استخراجها واول من وضعها الخليل واضع العروض ولا

باس بان يدبنه من اجناده وفوايده وكذلك افضل عن كل بيت او لفظة
تمثل بها ابن زيدون في هذه الرسالة مما احفظ من الفاظ المتقدمين
فاني اذكر قائلها وشيا من نوادره اذ لابد في ذلك من فايدة ونكتة الكلام
بها اولى من الكف عنها والخليل هو ابن احمد بن عمرو الفراهيدي الازدي
ويكنى ابا عبد الرحمن ولد بالبصرة سنة مائة ونشا بها واشتغل بالعلوم
وصنف الكتب الكثيرة مثل كتاب العين ولم يتمه وكتاب النقط والشكل
وكتاب النغم وكتاب الشواهد واجودها العروض وهو اول من وضعه
فجاء من عجايب المخترعات كالشطرنج وشبهه ثم تبعه فيه الناس ثم
استخرج من بحر المتقارب بحرا مجنون الاجزاء وسمي الخبب والوصل الامر
الى ابي نصر الجوهري فاوضحه اعني العروض واختصره احسن اختصار واول
ما خالفه فيه ان الخليل جعل الاجزاء التي يوزن بها الشعر ثمانية خماسيان
فعولن وفاعلن وستة سباعية متفاعلن فاعلاتن مستفعلن مفاعلتن
مفاعيلن مفعولات فنقص الجوهري منها جزء مفعولات واقام الدليل
على انه منقول من مستفعلن مفروق الوتد لان مستفعلن مركب من سببين
خفيفين ووتد مفروق متوسط ومفعولات مركب من سببين خفيفين
ووتد مفروق موخر وزعم ان مفعولات لو كان جزءا صحيحا لركب من
مفرده بحر كما يركب من ساير الاجزاء يريد انه ليس في الاوزان وزن انفرد
بمفعولات ولا يكرر في قسم منه ثم استخرج المعمى وهو ايضا اول من نظر

فيه

فيه وذلك ان بعض اليونان كتب بلغتهم كتابا الى الخليل فخلا به شهرا حتى
فهمه فقيل له في ذلك فقال علمت انه لابد ان يفتتح الكتاب باسم الله
تعالى فبنيت على ذلك وقست وجعلته اصلا ففتحته ثم وضع كتاب
المعمى وكان الجاحظ يقول ليس المعمى بشيء قد كان كيسان مستملي ابي
عبيدة يسمع خلاف ما يقال ويكتب خلاف ما يسمع ويقرا خلاف ما
يكتب وكان اعلم الناس باستخراج المعمى وكان النظام على قدرته على
اصناف العلوم لا يقدر على استخراج اخف ما يكون من المعمى وللجاحظ
تحامل على مصنفات الخليل ليس هذا موضع ذكره ثم استخرج الخليل
ايضا اتفاق الحروف مع النجم فقال عدة الحروف العربية عدة منازل
القمر ثمانية وعشرون وغاية ما يبلغ الكلام البديع الزيادة سبعة على
عدد النجوم السبعة وصور الزوايد اثني عشر على عدد البروج واربعة
عشر تدغم مع لام التعريف مثل منازل القمر التي تستر تحت الارض
واربعة عشر فوقها ثم وضع في الشطرنج جملين فطرف الرقعة لعب بها
زمانا ثم تركت ثم اراد ان يخترع شيئا في الحساب فقال اريد ان اقرب نوعا
من الحساب تمضي الجارية بالدرهم الى البياع فلا يمكنه ظلمها فدخل المسجد
وهو يعمل فكره من ذلك فصدمته سارية وهو غافل عنها فانقلب
على ظهره فكان سبب موته ومات سنة ستين ومائة وكان من العقلاء
الزهاد واجتمع وابن المقفع ليلة يتحدثان الى الغداة فلما تفرقا قيل للخليل

كيف رايت ابن المقفع قال رايت رجلا علمه اكثر من عقله وقيل لابن المقفع
كيف رايت الخليل فقال رايت رجلا عقله اكثر من علمه فكان كذلك
ادى الخليل عقله الى ان مات زاهدا وابن المقفع الى ان مات قتيلا
بسبب كتاب كتبه وحكى ان سليمان بن المهلب بعث اليه يوما بالف
دينار ليجيئه ويأتيه الى الاهواز فدخل عليه الرسول وهو يبل كسرة
يابسة ويأكلها بالملح فرد الالف دينار وقال للرسول ما دمت اجد هذه
فلا حاجة لي الى سليمان وقرا عليه شخص كتاب العروض مدة فلم يفهم
منه شيئا فاتعبه فقال له الخليل يوما قطع هذا البيت

اذا لم تستطع شيئا فدعه … وجاوزه الى ما تستطيع

ففهم الرجل التعريض ولم يعد اليه ودخل يوما الى مريض يعوده فقال
اخو المريض افتح عينك فان ابو عبد الرحمن حضر فقال الخليل ما ادري
علة اخيك الا من كلامك وكتب اليه بعض الثقلاء يسألني فاذا هو
من الشعر يقول فيه انا ان لم اكاتبك فاسى في هواي فكتب الخليل
تحته وان هويت ايضا ومن كلامه الزاهد من لم يطلب المفقود حتى
يفقد الموجود وقال من استعمل الحزم في وقت الاستغناء عنه غني عن
الاحتيال في وقت الحاجة اليه وقال العجب ممن يرى ان يصلح من نفسه
فسادا لا يصلحه ومن علم بفساد نفسه علم بصلاحها واقبح التحول ان تحول
المؤمن دنيا الى غير توبة منه وقال لابن الابولي ما لو شئنا شرحناه حتى

يستوى

يستوى في علمه القوى والضعيف ولكنا نحب ان يكون للعالم مزية ومن
محاسن شعره ما اورده ابو حيان التوحيدى

ذد وادى القصر نعم القصر والوادى … لا بد من زورة من غير ميعاد
زره فليس له شبه يقاربه … من منزل حاضر ان شئت او بادى
تلقى به السفن والعيس سارية … والنون والضب والملاح والحادى

ومنه ما قاله في سليمان بن المهلب

ان الذى شق فمى ضامن … للرزق حتى يتوفانى
حرمتنى خيرا قليلا فما … زادك في مالك حرمانى

وقال فيه وقد قطع عنه برا

يا ذا الذى يكثر الشيطان اذ ذكرت … منها التعجب جاءت من سليمانا
لا تعجبن لخير زل عن يده … فالكوكب النحس يسقى الارض احيانا

وقال ابلغ سليمان انى عنه في سعة … وفي غنى غير انى لست ذا مال
شحا بنفسى انى لا ارى احدا … يموت هزلا ولا يبقى على حال

وقال نظرت في علم النجوم فهجمت منه على ما لا يرضى فتركه فقلت

بلغا عنى المنجم انى … كافر بالذى قضته الكواكب
عالم ان ما يكون وما كان … قضاء من المهيمن واجب

فصل بين الاسم والمسمى الاسم ما يعرف به ذات الشئ واصله
من السمو وهو الذى ذكره العرف ويقال فيه اسم واسم وسم وسم

واختلف في تقدير اصله والمسمى هو المعنى الذي وضع له الاسم و
للقدماء مباحث طويلة في معنى الاسم والمسمى فمنها قول بعضهم
وعليه الجمهور الاسم عين المسمى وهو الذي يراد به التسمية كقولك للرجل
عرفني ما اسمك ليس تسأله ان يعلمك بذاته وانما تلتمس منه العبارة
المعبر بها عنه واستشهد بقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى وقول
النبي ع ان لله تعالى تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة و
لو كان الاسم ههنا هو المسمى لكان لله تعالى تسعة وتسعين شيئا وهذا
كفر وقول عائشة والله يا رسول الله ما اهجر الا اسمك وقال آخرون
الاسم هو المسمى لا على ان معنى العبارة هي المعبر عنه وان اللفظ هو
الشخص فان ذلك محال ولكن الاسم هو المسمى على معان ثلثة الاول
انما وضعت الاسماء لتتصور بها المسميات في نفوس السامعين او
تقوم عند الغيبة مقامها لو شاهدوها فلما ناب الاسم من هذا مناب
المسمى في التصور جاز ان يقال ان الاسم هو المسمى الثاني ان اكثر
ما يبنى في الاسماء التي تشتق للمسمى من معان موجودة فيه قائمة به
كقولنا حي وجدت منه الحياة حتى قام الاسم في هذا النوع لازم للمسمى يرتفع
بارتفاعه يوجد بوجوده الا ترى ان الحياة اذا بطل وجودها من الجسم
بطل ان يقال حي واذا بطل ان يقال له حي بطل ان يكون به حياة فيجوز لذلك
من هذا ان يقال ان الاسم هو المسمى يوجد بوجوده ويرتفع بارتفاعه الثالث

ان العرب

ان العرب قد تذهب بالاسم الى المعنى الواقع تحت التسمية فيقال هذا مسمى
زيدا اي هذا المسمى بهذه اللفظة التي هي الزاي والياء والدال ويقولون
في هذا المعنى هذا اسم زيد وهو باب طريف من كلام العرب يحتاج الى
فضل نظر ويجيء في كلامهم على ضربين الاول ما صرح فيه بلفظ الاسم
حتى بان لمتامله مثل قول ذي الرمة يصف خشفا

لا ينفع الطرف الا ما تخونه ... داع يناديه باسم الماء مبغوم

يعني ان هذا الخشف لا ينتبه من النعاس الا اذا تفقد ترامته للرضاع فصاحت
به ماما وكان ابو عبيدة يذهب في تاويل هذا اللفظ الى ان الاسم
زائد والتقدير يناديه بالماء وابو علي الفارسي يحمله على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه فالتقدير يناديه باسم مسمى الماء والثاني
ما لم يصرح فيه بذكر الاسم الا انه موجود من طريق المعنى مثل قولهم
كتبت اسم زيد فليس المراد انه كتب هذه الاحرف وانما يريد انه كتب
اسم المسمى الواقع تحتها وقال قوم يكون الشيء الواحد مسمى من جهة و
تسمية من اخرى فان قولنا اسم لفظة تجري مجرى الجنس والنوع لانه
يوقع تحتها الالفاظ التي يعبر بها عن المعاني كجوهر وعرض ورجل و
فرس وزيد وعمرو فكل واحد من هذه الالفاظ يقال له اسم وهو
تسمية لما تحته من معناه فيكون باضافته الى الاسم الذي فوقه مسمى
ويكون باضافته الى المعنى الذي تحته تسمية واسما مثال ذلك قولنا زيد

والانسان وحي فانك تجد الانسان الذي هو واسطة بين زيد والحي
مسمى اذ كان يقال على الحي واسما اذ قال يقال على زيد وتجد زيدا و
الانسان وان كان احدهما مسمى الآخر اسما له قد تساويا في انهما
مسميان للحي اذ كان الحي يقال على كل واحد منهما وتجد الحي الذي
هو اسم للانسان والانسان الذي هو مسمى قد تساويا في انهما
اسمان لزيد وقد طال هذا الفصل عن الغرض في هذا الكتاب وانما
ذكرته لتعلق بعضه ببعض بعد حذف حشو كثير **وقص وقسم**
وعدل وقوم لم يحقق المعنى المراد بهاتين السجعتين فسأل عنهما
بعض علماء الاسلام فقال الحرف نوع من المعاوضة وهو ما كان النظر
فيه من النقدين اعني الذهب والفضة وقوله وقسم كانه يريد به تقسيم
الاموال المشتركة ووجه مناسبة الطرف ان المال المشترك اذا كان
ذهبا وقليلا فقد يتعذر قسمته بالدنانير فيصرف بالدراهم ثم تقسم
وقوله عدل وقوم يريد به تعديل الاقسام وتقويمها فان المال
المشترك اذا كانت اجزاؤه مختلفة في الصورة والقيمة كالدور والبساتين
فاذا اريد قسمتها تعدل بالتقويم ثم تقسم مثلا اذا كان البستان
فالاول ثم تعدل الآخر بما بعد ذلك فيحصل ثلثة اجزاء متساوية للقسم
ثم تقسم بالاقتراع او بتعيين الحاكم كل هذا داخل في ابواب الفقه وقد قيل
ان مالكا اول من صنف فيه وقد تقدم ذكره **وصنف الاسماء والافعال**

الاسماء

الاسماء والافعال ههنا ما اصطلح عليه النحويون في اقوالهم وشنوع
في كتبهم الموجودة والاسم عندهم ما وقع على معنى غير مقرون بزمان و
يعرف بدخول حرف الجر عليه ويصلح فيه تقعنى ضربت ويدخل عليه
ايضا الالف واللام وهو صلة والفعل فرع عليه وقسمه بعض القدماء
على ثلثين قسما معرب ومبني وظاهر ومكني ومعرفة ونكرة وانسي
ومبهم وعربي واعجمي وذكر وانثى ومقصود وممدود وعامل وغير
عامل ومشتق وغير مشتق ومضارع وغير مضارع ومعتل وصحيح وزائد
وناقص ومتصرف وغير متصرف ومفرد ومضاف ومدغم ومظهر و
شرح ذلك موجود في كلامهم والفعل ما يعرف بالزمن كقولك
ضرب ويضرب **وقال** السيرافي الافعال ثلثة ماض وهو مبني
على الفتح ومستقبل وهو يحتمل للزوائد التي هي الياء والتاء والنون
والالف والدائم وهو الحال قال التوحيدي وسمعت ابا حفص
الاشعري يقول لا معنى للحال انما هو الماضي والمستقبل وتحصيل
الحال محال وتوهمها باطل لانك لا تفرغ من الماضي الا الى المستقبل و
متى فرضت بينهما واسطة كنت فيها واهما فقيل له ان الذي يوضح
الحال انك اذا اتيت بالسين في سيصلي لم يكن المعنى الا في الاستقبال
فلولا ان الغرض قد كان كامنا في قولنا يصلي لم يتوضح السين فكان
السين فكان الشهران يصلي ذاك دال على الحال متضمن معنى الاستقبال

حتى يقترن باللفظ ما يعينه على الغرض الواضح فكان يكابر عند هذا
البيان ويقول لو صح هذا الصح قول الفلاسفة في الفصل بين
الشيئين اي ما يكون مشتركا بين شيئين كانه مركب من بينهما
فقيل له وهذا ايضا كما قال من خالف وانت في ذلك اجهل من
هرة فانها تمشي على حافة الجدار غير متمكنة على همته وتريغ مع ذلك
مكانا آخر للفصل الذي يلوح لها لا تمسك نفسها ولا تسلمها فما
ظنك يا ابا حفص بشيمة نكتتها هرة والافعال ايضا تنقسم الى اقسام
كثيرة كالماضي والمضارع والامر والمتعدي الى واحد واثنين و
ثلاثة وغير المتعدي والتام والناقص وما سمي فاعله وما لم يسم
فاعله وافعال القلوب وغيرها وافعال المقاربة وافعال التعجب
وغيرها وافعال المدح والذم وغيرها واول من وضع علم النحو ابو الاسود
الدئلي واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان وكان من فقهاء البصرة و
علمائهم وفصحائهم وشيعة امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام و
ولاه البصرة وسبب وضعه لذلك انه دخل على ابنته يوما بالبصرة
فقالت له يا ابت ما اشد الحر فقال شهر ناجر فقالت يا ابت انما
اخبرتك ولم اسئلك وكان مرادها التعجب فاتى امير المؤمنين علي بن
ابي طالب عليه السلام فقال يا امير المؤمنين ذهبت لغة العرب لما ان
خالطت العجم ويوشك ان تضمحل واخبره خبر ابنته فامره فاشترى

فاشترى صحفا واملى عليه الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء
لمعنى ثم قال له انح هذا النحو ثم رسم اصول النحو كلها وقيل كان
سبب وضعه النحو ان معوية ارسل الى زياد يطلب ابنه فادخل
عليه فسمعه يلحن فارسل الى ابيه يلومه فارسل زياد الى الاسود
ان يضع في النحو شيئا وكان ابو الاسود من افصح الناس ويقول اني
لاجد للحن غمزا كغمز اللحم فابى ابو الاسود وكره اجابة زياد فوجه
زياد رجلا وقال له اقعد في طريق ابي الاسود فاذا مر بك فاقرأ
شيئا من القرآن وتعمد اللحن فقعد فلما مر به ابو الاسود قرأ ان
الله بريء من المشركين ورسوله بالجر فاستعظم ابو الاسود ذلك
وعاد الى زياد فقال قد اجبتك ثم وضع مختصرة في اصول النحو واول
ما وضع باب التعجب ثم وضع بعده عنبسة ثم ابو عمرو بن العلاء وغيرها
الى ان وصل الى سيبويه فاخذ الغاية على من قبله ومن بعده وكانت
وفات ابي الاسود سنة تسع وتسعين بالبصرة بالطاعون الجارف
وهو ابن خمس وثمانين سنة وكان عالما شاعرا ذا رأي الا انه كان
شديد البخل والتشيع في اخباره ما حدث ابو عمرو وقال كان ابو الاسود
نازلا في بني قشير وكانوا يخالفونه في المذهب لان ابا الاسود كان شيعيا
وكانوا يرمونه بالليل فاذا اصبح شكا ذلك فشكاهم مرة فقالوا لم نحن ما
نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم لو كان الله يرميني ما اخطأني وقال

لهم يوما يا بني قشير ما احد احب الي طول بقاء منكم قالوا ولم ذلك قال
لانكم اذا ركبتم امراً علمت انه غي فاجتنبته فاذا اجتنبتم امراً علمت انه
رشد فاتبعته وقال له رجل انت والله ظرف علم وحلم غير انك
بخيل فقال وما خير ظرف لا يمسك ما فيه وسأله رجل فمنعه فقال
يا ابا الاسود ما اصبحت حاتمياً فقال قد اصبحت حاتمياً لكم من حيث لا تدري
اليس حاتم يقول

اماوي اما مانع فمبين   واما عطاء لا ينهنهه الزجر

ويحكى ان اعرابيا مر به وهو يأكل رطبا على باب داره فقال السلام
عليكم فقال ابو الاسود كلمة مقولة فقال ادخل قال وراءك اوسع
لك قال انا ابن الحمامة قال انصرف وكن ابن اي طائر شئت قال
سألتك بالله الا اطعمتني مما تأكل فالقى اليه ثلاث رطبات فوقعت
احداهن في التراب فاخذها فمسحها بثوبه فقال دعها فان الذي
تمسحها منه انظف من الذي تمسحها به فقال انما كرهت ان ادعها
للشيطان فقال لا والله ولا لجبريل ولا لميكائيل تدعها وجلس يوماً
الى معوية يحدثان خلوة ثم تحرك فضرط فقال لمعوية استرها علي
قال نعم فلما خرج حدث بها معوية عمرو بن العاص ومروان بن الحكم
فلما غدا اليه ابو الاسود قال له عمرو ما فعلت ضرطتك يا ابا الاسود
قال ذهبت مع الريح كما تذهب من شيخ الان الدهر اعضاءه من امساك

وكل

وكل اجوف ضروط وان امرأ اضعفت امانته عن كتمان ضرطة لحقيق ان
لا يؤتمن على المسلمين واسر الى معوية بشيء وكان ابخر فاصغى اليه معوية
ماسكاً انفه فنحى ابو الاسود يده عن انفه وقال لا تسود حتى تصبر
على سرار البخر ومن شعره

وكنت متى لم ترع سرك تنتشر   بوادره من مخطئ ومصيب
فما كل ذي لب بمؤتيك نصحه   ولا كل موت نصحه بلبيب

وكتب الى معوية وقد وعده فابطأ عليه

لا يكن برقك برقاً خلبا   ان خير البرق ما الغيث معه
لا تهني بعد ان اكرمتني   فشديد عادة منتزعة

وكتب يخاطب ولداً له كان لا يطلب الرزق

وما طلب المعيشة بالتمني   ولكن الق دلوك في الدلاء
تجيء بملئها طوراً وطوراً   تجيء بحمأة وقليل ماء

وقال

يقول الارذلون بنو قشير   طوال الدهر لا تنسى علياً
بنو عم النبي واقربوه   احب الناس كلهم اليا
احبهم لحب الله حتى   اجيء اذا بعثت على هويا
فان يك حبهم رشداً اصبه   ولست بمخطئ ان كان غياً

وروي ان بني قشير قالوا له قد شككت يا ابا الاسود فقال كلا ما شككت
اما سمعتم قول الله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين افترون

الله تعالى انك وقوله هوى بلغة هذيل قال ابو ذويب
سبقوا هوى فاعنقوا لسبيلهم ٭ فتخرموا ولكل جنب مصرع
وبوب الظرف والحال الظرف في النحو يقال للزمان والمكان اذا
جعل محلا لامور تقع فيها كقولك يعجبني الخروج اليوم فاليوم محل
للخروج الذي اسندت اليه الحديث فاذا قلت يعجبني اليوم لم يسم ظرفا
لانك انما تحدث عنه لا عن شيء وقع فيه فمن خاصة الظرف ان لا يكون
محدثا عنه وان يصلح فيه تقدير في وكان الخليل يقول انا اول من سمى
الاوعية ظروفا لما يحل فيها والحال ما يعرف من هيئة الفاعل والمفعول
في حال وقوع الفعل كقولهم جاء زيد راكبا وضربت اللص قائما فالركوب
هيئة زيد في وقت مجيئه والقيام هيئة اللص في وقت ضربه والحال
اما ان تكون نكرة او في حكمها وبعد اسم معرفة او في حكمها وبعد كلام
تام او حكمه وله اقسام مثل المنتقلة والسادة والمحكية والموطئة و
المؤكدة وغير ذلك **وبني واعرب ونفي وتعجب** المبني ما لم يتغير آخره
من الكلام بدخول العامل عليه والمعرب ما تغير آخره بدخول العامل عليه
بحركة او حرف ولا يعرب من الكلام الا الاسم المتمكن والفعل المضارع اشار
بالنفي والتعجب الى ان الكلمة الواحدة قد يراد بها النفي وقد يراد بها
التعجب فمن لا يدري النحو لا يميز بين محلها كما في قولهم ما احسن زيد وما
احسن زيدا فانها في الاول للنفي ولهذا ارتفع زيد لانه فاعل الفعل المسند

المذيد

المذيد وفي الثاني التعجب ولهذا انتصب زيد لان فاعل احسن هو ضمير
مستكن فيه يعود على ما قال ومعناها في الاصل شيء احسن زيدا و
بسبب هذه المسئلة وضع علم النحو كما تقدم في ذكر ابي الاسود
ووصل وقطع وثني وجمع اشار الى معرفة مواقع
همزة الوصل من مواقع همزة القطع وقد انشد البيت المشهور
في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم على وجهين وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد ٭ فقيل شق له من اسمه باثبات
الهمزة لسلامة النظم والزحاف وقيل شق له من اسمه باستعمال الوصل
ويكون ذلك مع دخول القبض في الجزء الثاني من الطويل وهو مفاعيل
بحذف الياء فيصير مفاعلن وهو زحاف مستعمل في هذا البحر تقع
القافية بينه وبين الكف وهو اخف منه واكثر استعمالا والتثنية زيادة
الف او ياء مفتوح ما قبلها في آخر الكلمة مع نون مكسورة كقولهم الرجلان
والرجلين والجمع ضربان احدهما جمع التصحيح وهو ما سلم بناء مفرده فيه
وهو قسمان جمع المذكر ويكون زيادة واو او ياء مكسور ما قبلها في آخر
الكلمة ونون مفتوحة نحو المسلمين والمسلمون وجمع المؤنث وهو زيادة
الف وتاء في آخر الاسم كثمرات ومسلمات في جمع ثمرة ومسلمة والضرب
الثاني جمع التكسير وهو ما لم يسلم فيه بناء مفرده كرجال واصحاب في جمع
رجل وصاحب **واظهر واضمر واستفهم واخبر** الاضمار ان يؤتى

فالكلم بلفظ مضمر وهو ما وضع لمتكلم او مخاطب او غائب كانا وانت وهو ماخوذ من الضمير وهو الخافي والاظهار ان يوتى باللفظ المظهر وهو ما عدا المضمر ماخوذ من ظهر الشيء اذا كان على ظهر الارض واضحا والاستفهام طلب الاخبار بشيء واللفظ الدال عليه بالوضع اما اسم كقولنا ما الانسان ومن زيد وكيف انت ومتى يقوم واما حرف وهو الهمزة في نحو قولك ازيد عندك وهل في نحو قولك هل قام زيد والاخبار الاتيان بالجملة المحتملة للصدق والكذب كقولهم قام زيد **واهمل وقيد وارسل واسند وبحث ونظر** اما ان يكون اراد الحروف المهملة التي هي ضد المقيدة بالنقط والشكل وعلى ذلك وضع الخليل كتاب النقط والشكل واما ان يكون اراد بالمهمل المطلق وعدل عنه اليه لموازنة قوله في السجعة الثانية ارسل واسند والمطلق ما لم يقيد والمقيد ما ضمن وصفا كقوله تعالى حرمت عليكم امهاتكم الى قوله وامهات نسائكم فاطلق وقال في الربائب وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانه قيد والمرسل والمسند ما اصطلح عليه من علوم الحديث فالمرسل عند المحدثين قول التابعي الكبير قال رسول الله صلعم كذا او فعل كذا مرسل عندهم باتفاق واما قول التابعي الصغير كالزهري قال رسول الله صلعم فقال قوم يسمى مرسلا وقال قوم بل يسمى منقطعا لان اكثر رواياتهم عن التابعي واما المسند فهو ما اتصل سنده من راويه الى منتهاه

وفيه

وفيه اقوال وينقسم الى صحيح وحسن وضعيف فالصحيح ما اتصل سنده برواية العدل الضابط عن مثله وسلم من شذوذ وعلة والشاذ ما يرويه الثقة مخالفا لما رواه الناس والمعلل ما فيه سبب قادح مع نص ظاهره السلامة واما الحسن فهو ما عرف مخرجه واشتهر رجاله وقال بعضهم هو الذي فيه ضعف محتمل ويصلح العمل به والضعيف كل حديث لم يجتمع فيه شروط الصحيح ولا الحسن المتقدم ذكرها والبحث الكشف عن الشيء والطلب يقال بحث عن الامر وبحث كذا والنظر تقليب البصيرة لتامل الامر ماخوذ من تقليب البصر لادراك الشيء **وتصفح الاديان** تصفح الشيء عرضه كتصفح الكتاب والوجه وتصفحته استعرضته وتاملت وجهه والاديان جمع دين وهو الشريعة والملة والاصل في الدين الطاعة واستعير للشريعة للانقياد اليها والطاعة والمراد النظر في مذاهب اهل الاديان وشرائعهم واختلاف فرقهم كالمسلمين والاسلام على ضربين احدهما دون الايمان وهو الاعتراف باللسان وبه يحقن الدم وفيه قوله تعالى ولكن قولوا اسلمنا والثاني فوق الايمان وهو ان يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل والاستسلام لله تعالى في كل ما قضى وقدر كقوله تعالى في قصة ابراهيم عم اسلمت لرب العالمين والتصفح لمذاهب المسلمين وفرقهم كالمعتزلة والاشعرية والامامية وغير ذلك وكاليهود وفرقهم من العنانية والموسكانية والسامرة وما اشبه

ذالك واسم اليهود مأخوذ من هاد الرجل اذا رجع وتاب وانما لزمهم
هذا الاسم لقول موسى ع انا هدنا اليك اى رجعنا وتضرعنا وكان في
الاول اسم مدح ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازما لهم والنصارى وفرقهم
من الملكانية واليعقوبية والنسطورية وغير ذلك واسم النصارى
مأخوذ من قول عيسى ع كونوا انصار الله ثم صار لازما لهم بعد نسخ
شريعتهم ايضا وقيل مأخوذ من نسبتهم الى قرية يقال لها نصران و
المجوس وفرقهم من الكيومرثية والزرادشتية وما اشبهه وقد استوفى
ابن حزم الكلام على جميع هذه الاصول والفروع في كتاب الملل والنحل

فرج بين مذهبي ماني وغيلان

هو ابن ماني ابن ماتن الثنوي الذى تنسب اليه المانوية وكان راهبا
بحران قايلا بنبوة المسيح ع معظما في اساقفة النصارى محمودة السيرة
فيهم فزنا فسقطت مرتبته عندهم وكانت لاحدة من بطارقة زمانه
فوجد والتسل الى ما اراده منه فلما رأى حاله اخذ في الرد على اصحابه
وقال لم اذن ولكنهم حسدوني وانكروا مخالفتي لهم في اصل دينهم اذ
كانوا يقرون بالمسيح اللاهوتي ويأخذون شرايعهم عن رسول الشيطان
وكان في الاصل مجوسيا عارفا بمذاهب القوم فاحدث دينا ودعا اليه
وظهر في ايام سابور ابن اردشير وتبعه خلق كثير من المجوس وادعوا
نبوته ونسبوا اليه الى ان قتل في زمان بهرام بن سابور كما سيأتي حكاه

النوبختي وغيره قال زعم ماني واصحابه ان صانع العالم اثنان ففاعل الخير
نور وفاعل الشر ظلمة وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا حساسين سميعين
بصيرين وهما مختلفان في النفس والصورة متضادان في الفعل والتدبير
فجوهر النور فاضل حسن نقي صاف حرة حكيم نفاعة منها الخير والرشد
وليس فيها شيء من الشرور وجوهر الظلمة على ضد ذلك جميعه فالنور
مرتفع من ناحية الشمال والظلمة منحطة في ناحية الجنوب وزعموا ان كل
واحد منهما اجناسا خمسة اربعة منها ابدان وخامس هو الروح فابدان
النور الاربعة النار والنور والريح والماء وروحها النسيم والمتحرك في هذه
الابدان وابدان الظلمة اربعة الحريق والظلام والسموم والضباب
وروحها الدخان وسموا ابدان النور ملائكة وابدان الظلمة شياطين و
بعضهم يقول ابدان النور تتولد ملائكة وابدان الظلمة تتولد شياطين
وان النور لا يقدر على الشر ولا يجوز منه والظلمة لا تقدر على الخير ولا
يجوز منها قال بعض المتكلمين والذى حملهم على هذا انهم راوا في العالم
شرا وفضلا فقالوا لا يكون من اصل واحد شيئان متضادان كما لا يكون
من النار التسخين والبرد وقد رد عليهم بعض العلماء في قولهم ان الصانع
اثنان فقالوا لو كانا اثنين لم يكونا الا قادرين او عاجزين او احدهما قادر
والآخر عاجز ولا يجوز ان يكونا عاجزين لان العجز يمنع ثبوت الالهية ولا يجوز
ان يكون احدهما عاجزا فبقي ان يقال هما قادران فتصور ان احدهما يريد

تحريك هذا الجسم في عالم بديا لا تخرج تسكينه فيهما ومن المحال وجود ابرية
انه فان تم رادا احدهما ثبت بحجر الآخر ورد عليهم آخر في قولهم ان النور يفعل الخير
والظلمة تفعل الشر بان نزلوهم بمظلوم فاستغاث بالظلمة فهذا خير وقع من شر
ومن هنا اخذ المتنبي قوله

وكم لظلام الليل عندك من يد　　نصدق ان المانوية تكذب

فقال الجاحظ ان المانوية تزعم ان العالم بما فيه مركب من اجناس خمسة منها
خيرة نور وخمسة شر وظلمة والانسان مركب من جميعها فاذا نظر نظر رحمة
فتلك النظرة من الشر والظلمة وكذلك جميع الحواس وكان المأمون سأل
المانوية عن مسألة قريبة المأخذ فاطعمه ناظر احدهم فقال اسألك عن
حرفين فقط هل ندم مسيء على اساءته قال بلى قد يندم ندم كثير قال فاخبرني
عن الندم على الاساءة أ اساءة ام احسان قال لا الذي ندم على الاساءة هو الذي
اساء قال نعم قال فاري صاحب الخير هو صاحب الشر وقد بطل قولكم ان
الذي ينظر نظر الوعيد غير الذي ينظر نظر الرحمة قال فان الذي ازعم
ان الذي اساء غير الذي ندم قال فندم على شيء كان من غيره او على شيء
كان منه فقطعه ولماني واصحابه في امتزاج النور والظلمة وحدوث
الشمس والقمر والنجوم لاستنقاذ النور من الظلمة الى ان لا يبقى منه شيء
في هذا العالم وينطبق السماء على الارض ويرجع كل شكل الى شكله اقوال عجيبة
لا فيه للتشاغل انه لا يرى المناكح ليستعجل فناء العالم ويسرع بجميع الاشكال

ولم تزل

ولم تزل اتباعه منكسرة وشوكته تقوى الى ان حضر بهرام بن بهرام وقبله
سابور واراد قتله باتفاق الموابذة فامر باحضاره بين يديه فناظره
في مسألة قطع النسل وتعجيل فراغ العالم فقال له الموبذان الذي تقول
بتحريم النكاح لتستعجل فناء العالم ويرجع كل شكل الى شكله وان ذلك حق
واجب فقال ماني واجب ان يعان النور على خلاصه بقطع النسل مما هو
فيه من الامتزاج فقال له اردباذ فمن الواجب ان نعجل لك هذا الخلاص
الذي تدعوا اليه وتعان على ابطال هذا الامتزاج المذموم فانقطع ماني
فامر بهرام بصلبه فلما اقام على الخشبة جعل يسبح ويقول يا ابا العقول النوراني
بلغت ما امرتني به وهذه عادتهم في وانت الحكيم وها انا ماض اليك وما
اذيت صامتا ولا ناطقا فتباركت انت وعالمك النوراني الازلي
فكان آخر كلامه ثم مات وحشي جلده تبنا وكان بهرام في الاول قد اظهر
مشايعته حتى احاط علما في تبعه فلما قتله امر بقتل اصحابه وظهر من سالك
مسالكهم في الاسلام شر عظيم يسمون الزنادقة قتلهم المهدي والهادي
واما غيلان فهو ابن يونس القدري الدمشقي كان ابوه مولى لعثمان بن
عفان وغيلان اول من تكلم في القدر وخلق القرآن في الاسلام وقبله
اول من تكلم في القدر رجل من اهل العراق كان نصرانيا فاسلم ثم تنصر
واخذ عنه معبد الجهني وغيلان الدمشقي وذكر ان مكحول قال لغيلان
ويلك الم اجدك ترامي النساء بالتفاح في شهر رمضان ثم صرت حارثيا تخدم

امراة الحارث الكذاب فتزعم انها ام المؤمنين ثم ضحكت بعد ذلك فذكر
زنديقا وروى ان غيلان وقف يوما على ربيعة فقال له انت الذي
تزعم ان الله يحب ان يعصى فقال له ربيعة انت الذي تزعم ان الله يحب
ان يعصى قسرا وقيل لغيلان من كان اشد عليك قال عمر بن عبد
العزيز كانما كان يلقن من السماء وحكى ابن مهاجر قال بلغ عمر بن عبد
العزيز ان غيلانا وفلانا نطقا في القدر فارسل اليهما فقال ما الامر الذي
تنطقان فيه فقالا هو ما قال الله يا امير المؤمنين قال وما قال الله قال
يقول هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا الى انا
هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ثم سكتا فقال عمر اقرا فقرا حتى
اذا بلغا الى هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن الا
ان يشاء الله الى آخر السورة فقال كيف يا ابا ابني الا انتم تاخذون الفروع
وتدعان الاصول قال مهاجر ثم بلغ عمر بن عبد العزيز انهما اسرفا فارسل
اليهما وهو مغضب فقال لهم مكث خلفه قائما حين دخلا عليه وانا
مستقبلهما فقال لهما الم يكن في سابق علم الله حين امر ابليس بالسجود
ان لا يسجد قال فاومات اليهما براسي ان قولا نعم والا فهو الذبح
فقالا نعم فقال اولم يكن في سابق علم الله شيء حين امر ابليس عن اكل الشجرة
ان لا ياكلا منها انهما ياكلان منها فاومات اليهما براسي فقالا نعم فامر
باخراجهما وامر بالكتاب الى سائر الاعمال بخلاف ما يقولان وسكتا عن الكلام

فلم

فلم يلبث الا قدرا حتى مرض عمر ومات ولم ينفذ الكتاب وسال بعد تلك
منهما السيل وكان غيلان قد تاب على يدي عمر بن عبد العزيز فقال عمر
اللهم ان كان كاذبا فلا تمته حتى تذيقه حر السيف فقطعت يداه و
رجلاه وصلب في ايام هشام عبد الملك حدث ابن عياش قال ارسل هشام
بن عبد الملك الى غيلان فقال له يا غيلان ما هذه المقالة التي
تبلغني عنك في القدر قال يا امير المؤمنين هو ما بلغك فاحضر من
احببت يحاجني فان غلبني ضربت رقبتي فاحضر الاوزاعي فقال له
الاوزاعي يا غيلان ان شئت القيت عليك سبعا وان شئت خمسا
وان شئت ثلثا قال القي ثلثا فقال له اقضى الله على ما نهى عنه قال ما
ادري ما تقول قال فامر الله بامر حال دونه قال هذه اشد من الاولى
قال فحرم الله حراما ثم احله قال ما ادري ما تقول قال فامر به هشام
فقطعت يداه ورجلاه فمات وصلب حيا على باب كيسان بدمشق
ثم قال هشام للاوزاعي يا ابا عمرو فسر لنا ما قلت قال قضى الله على ما نهى
عنه نهى آدم ان ياكل من الشجرة ثم قضى عليه فاكل منها وامر ابليس ان يسجد
لآدم وحال بين ابليس والسجود وقال حرمت عليكم الميتة ثم قال فمن
اضطر فاحلها بعد ما حرمه ومن كان يميل الى هذا المذهب غيلان بن
عقبة وهو ذو الرمة الشاعر واجتمعا مرة هو ورؤبة الراجز عند بلال
بن ابي بردة فقال رؤبة والله ما فحص طائر افحوصا ولا تقرمص سبع

ترموصا الا بقضاء من الله وقدر فقال ذو الرمة والله ما قدر الله على الذئب
ان ياكل حلوبة عيايل ضرائك قال رؤبة افبقدرته اكلها هذا اكذب
على الذئب ثان فقال ذو الرمة الكذب على الذئب خير من الكذب على
رب الذئب قوله عيايل جمع عيل وهو ذو العيال وضرائك جمع ضريك
وهو الفقير وعن اسحق بن سعد قال انشدني ذو الرمة قوله

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالالباب ما تفعل الخمر

فقلت له فعولين خبر الكون فقال لي لو سبحت ربحت انما قلت فعولان
وانما تحرز ذو الرمة بهذا الكلام من القول بخلاف مذهبه **واشار**
بذبح الجعد اما الجعد فهو ابن درهم مولى بني الحكم كان يسكن دمشق
ويعلم مروان بن الحكم آخر خلفاء بني امية فنسب اليه وقيل مروان الجعدي
ويروى ان ام مروان كانت امة وكان الجعد اخاها وهو اول من قال
بخلق القرآن من امة محمد بدمشق ثم طلب فهرب ثم نزل الكوفة فتعلم
منه الجهم بن صفوان القول بخلق القرآن وهو الذي تنسب اليه الجهمية
وقيل ان الجعد اخذ ذلك من ابان بن سمعان واخذه ابان من طالوت
بن اعصم اليهودي الذي سحر النبي صلعم وكان يقول بخلق القرآن وكان طالوت
زنديقا وهو اول من صنف في ذلك لهم ثم اظهره الجعد بن درهم فقتله
خالد بن عبد الله ودخل عليه يوما بهلول فقال احسن الله عزاك فقال في من
احد فانه مات قال وكيف تموت قال لانك تقول انه مخلوق وكل مخلوق

يموت

يموت ولم يزل الجعد على مذهبه الى ان قتله خالد بن عبد الله القسري
يوم الاضحى بالكوفة وكان واليا بالكوفة اتى به في الوثاق حتى صلى
وخطب ثم قال في آخر خطبته انصرفوا وضحوا تقبل الله منا ومنكم فاني
اريد ان اضحي اليوم بالجعد بن درهم فانه يقول ما كلم الله موسى تكليما
ولا اتخذ الله ابراهيم خليلا تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل
وحز راسه بالسكين بيده وطفئت نايرته الى ان نشأت في ايام ابن
ابي داود فاما خالد فهو ابن عبد الله بن يزيد بن اسد القسري البجلي
كان من امراء الدولة الاموية ولي اليمن ومكة من قبل الوليد بن عبد
الملك وولاه هشام العراقين بعد عمر بن هبيرة ثم عزله لما بلغه من كثرة
امواله وبلاده واثاره ولسعي ابن هبيرة بمكايدات واجاد في اعجبها
ما حكي ان ابن هبيرة لما هرب من سجن خالد ووفد على هشام ولما ارسل
خالد مائة من خيل الضمار ووفدا يحملها وامر الشواس ان يبادروا بها
هشاما اذا ركب وكان هشام معجبا بالخيل لا يشتهي ان يكون عند غيره
من جيدها شيء فلما ركب هشام نظر الخيل واقترب القوام عليها
لمن هي فقالوا لابن هبيرة فاستشاط غيظا وقال لها عجبا اخان بها خالد
ثم قدم فوالله ما رضيت عنه بعد وهو يرانني في الخيل على بعير قد حمى به
وهو يسير في عرض الموكب فجاء مسرعا فقال له هشام ما هذه الخيل فكأنه
فطن لما صنع خالد فقال الخيل يا امير المؤمنين اخترتها وطلبتها من ظاناتها

حتى جمعها الله لمن يقبضها فاعجبه ذلك وسكت خالد عن امرها وفسدت
مكيدته ولم يزل ابن هبيرة يبغي به الغوائل الى ان عزل واقام بالشام مدة
ثم عذب الى ان مات سنة ست وعشرين ومائة في خلافة الوليد بن يزيد
وكان جوادا فصيحا عظيم الهيبة الا انه كان مارقا في الدين فاما جوده فان
ابن بيض الشاعر دخل عليه يوما فقال اني مدحتك ببيتين قيمتهما عشرة
آلاف درهم فاحضرها فاحضرها فانشد الدراهم ثم انشد ابن بيض

قد كان آدم قبل حين وفاته ... اوصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه ان ترعاهم فرعيتهم ... وكفيت آدم عيلة الابناء

فدفع اليه خالد الدراهم وامر ان يضرب سوطا وينادى عليه هذا جزاء
من لا يعرف قيمة شعره وقال ان قيمتهما مائة الف ويروى انه دخل على خالد
شيخ كبير فمثل بين يديه فقال الشيخ جذبتني اليك سنة اربعت العظام فان
رايت ان تجبره بفضل وتنعشه بسجل قال خالد هل لك في ان اقارعك
فان قرعتك لم اعطك شيئا وان قرعتني اعطيتك فقارعه خالد فقرعه
فقال اقلني فاقاله ثم قارعه فقرعه خالد فقال اقلني فاقاله ثم قارعه
فقرع خالدا فقال اقلني فقال لا اقالني الله اذا اقال العطوف بيده خريطة خلها
في جراب فقال الشيخ يا ايها الامير خلها في استها فضحك وامر له بعشرين
وكان يقول ايها الناس لو رايتم البخل رايتموه مشوها تنفر منه القلوب
قال له بعض اصحابه والله انا لنسالك امورا لا حاجة لنا بها فقال ولم قال

لعلنا

لعلنا نجربك فيمن يسالك حاجة واما فصاحته فمنها انه قام على المنبر
بواسط فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال ايها الناس نافسوا في
المكارم وسارعوا الى المغانم ومهما يكن لاحد عندكم نعمة فلم يبلغ شكرها
فالله احسن لها جزاء واجزل عليها عطاء واعلموا ان حوائج الناس اليكم نعم
من الله تعالى عليكم فلا تملوها فتحول نقما وافضل المال ما اكسب اجرا واورث
ذكرا واجود الناس من اعطى من لا يرجوه ومن لم يطب حرثه لم يزك نبته و
الاصول عن مغارسها تنمو وباصولها تسمو اقول قولي هذا واستغفر
الله لي ولكم ومنها انه صعد يوما المنبر فارتج عليه الكلام فقال ايها الناس
ان الكلام يجيء احيانا ويعزب احيانا وربما طلب فابى وكوبر فعصى والتاني
لمجيئه ايسر من التعاطي لابيه وقد يختلج من الجرى جنانه ويتناصر على
الدرب لسانه ثم لا يكابر القول اذا امتنع ولا يرده اذا اتسع واولى من العذر
على النبوة ولم يؤاخذ على الكبوة من عرف صدانه واشتهر احسانه وساعد
فاقول ثم نزل واما مروقه من الدين واستهانته فيحكى انه حفر بئرا بمكة
عذبة الماء ثم نصب طستا الى جانب زمزم ثم خطب فقال قد جئتكم بالماء
لا تشبه ماء ام الخنافس يعني زمزم ثم قال ان نبي الله اسمعيل استسقى ربه
فسقاه ملحا اجاجا وسقى امير المؤمنين عذبا زلالا يعني ان هذه البئر و
حكى سفيان بن ابي عبد الله قال سمعت خالدا القسري على المنبر وكانت
بنو امية تامر بلعن علي على المنابر يقول اللهم العن علي بن ابي طالب بن

عبد المطلب زوج فاطمة وابا الحسن والحسين عليهم السلام هل اكنيت وكان سمع ذلك
بعض قوم من بني هاشم فحكى ان محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان اتاه يستميحه
فلم يعطه ما يحب فقال اما النافع فللهاشميين واما نحن فاحيانا تنال منه
الالسنة علينا على منبره فبلغ خالدا ذلك فقال ان احب تناولنا لعثمان
بشيء **وقتل بشار بن برد** هو بشار بن برد بن يرجوخ الشاعر المقدم
من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية كان جده من طخارستان
من سبي المهلب يدعي انه مولى من بني عقيل وحدث عن نفسه قال
دخلت على المهدي فقال لي فيمن تعتد يا بشار فقلت اما اللسان
فعربي واما الاصل فعجمي كما قلت في شعري يا امير المؤمنين

ونبئت قوما بهم جنة   يقولون من ذا وكنت العلم
الا ايها السائلي جاهلا   ليعرفني انا انف الكرم
نمت في الكرام بنو عامر   فروعي واصلي قريش العجم

وكان يتلون في ولائه فتارة يفتخر بقيس وتارة بغيرهم وتارة يقول

اصبحت مولى ذي الجلال وبعضهم   مولى العريب فخذ بفضلك وافخر
ما ادعي الموالاة عني مدافع   سبحان مولاك العلي الاكبر

وكان يلقب بالمرعث لرعاث في اذنه وهو صغير والرعاث القرطة وقيل
لبيت ذكر فيه الرعاث وولد اعمى فكان يقول اشد ما هجيت به

وعيدي فقا عينيك في الرحم اربع   نجبت ولم نعلم لعينيك فاقيا

وكان

وكان يشبه الاشياء بما لا يقدر عليه البصير فسئل عن ذلك فقال عدم النظر يقوي
ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الاشياء فيتوفر حسه وسئل
ابو عبيدة من اشعر عندك بشار ام مروان بن ابي حفصة فقال ان بشارا
حكم لنفسه بانه لم يسبقه غيره وذلك انه قال له اثنا عشر الف بيت جيد فقيل
كيف ذلك قال لي اثنا عشر الف قصيدة ان لم يكن في كل قصيدة بيت جيد
فلعنها الله ولعن قائلها وكان يتهم بالزندقة وروى الجاحظ

الارض مظلمة والنار مشرقة   والنار معبودة مذ كانت النار

وقال لهذا البيت وجد واصل بن عطاء السبيل الى تكفير بشار وخطب فيه
خطبة المحذوفة الراء وحكى سعيد بن مسلم قال كان بالبصرة ستة من اصحاب
الكلام عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وبشار الاعمى وعبد الكريم بن ابي
العوجاء وصالح بن عبد القدوس ورجل من الازد يعني جرير بن حازم
فكانوا يجتمعون في منزل الازدي ويختصمون عنده فاما عمرو وواصل فصارا
الى الاعتزال واما عبد الكريم وصالح فصححا التوبة واما الازدي فمال الى
السمنية وهو مذهب من مذاهب الهند واما بشار فبقي متحيرا فقيل انه قال
بمذهب الثنوية وعدم الرجعة قال احمد بن خلاد كنت اكلم بشارا واورد
عليه شيئا من مذهبه يميل الى الالحاد فكان يقول لا اعرف الا ما عاينته وعاينه
معاين وكان يطول الكلام بيننا فقال ما اظن الامر يا ابا محمد الا كما يقال
انه خذلان ولذلك اقول

طبعت على ما فيّ غير مخيّر — هواي ولو خيّرت كنت المهذبا

اريد فلا اعطى واعطى ولم ارد — وعتب عني ان انال المغيبا

واصرف عن علمي وعلمي مبصر — فامسي وما اعقبت الا التعجبا

وروى المازني قال قال رجل لبشار اتاكل اللحم وهو مباين لمذهبك فقال
انما ادفع به شر هذه الظلمة ومثل هذه الحكايات المنسوبة اليه دبر عليه
يعقوب وزير المهدي حتى قتل حكى ابي نصر قال قدم بشار من البصرة
الى بغداد وقد مدح المهدي بقصيدة تزلزل ثبيرا ثم انشده اياها فلم يحظ
منه بشي فقيل انه لم يستجد شعرك فقال والله لقد مدحته بشعر لو مدح
به الدهر لم يخش صرفه على احد ولكنا نكذب في القول فنكذب في الامل ثم
مدح يعقوب بن داود وزيره فلم يحفل به ولم يعطه شيا واقام ينتظر ابرته
من يعقوب برهة ثم مر يعقوب يوما ببشار فصاح بشار طال الثواء
على رسوم المنزل فقال يعقوب

فاذا تشا يا ابا معاذ فارحل — فغضب بشار وقال يهجوه

بني امية هبوا طال نومكم — ان الخليفة يعقوب بن داود ضاعت

خلافتكم يا قوم فالتمسوا — خليفة الله بين الناي والعود

ثم دخل يحضر حلقة يونس النحوي فقال ههنا من نحتشمه فقالوا لا فانشد
هجاء في المهدي وهجا يعقوب فسعى به الى يعقوب وكان المهدي قد قدم
البصرة فدخل عليه يعقوب فقال للمهدي ان بشارا زنديق وقد قامت

عليه

عليه البينة وقد هجا امير المؤمنين فامر ابن نهيك وهو صاحب الشرطة
بامره ثم ازف حزوجهم فاخرجه ابن نهيك معه في زورق فلما كان في
البطيحة ذكره المهدي فارسل الى ابن نهيك يامره بضرب بشار بالسياط
ضرب التلف ويلقيه بالبطيحة فامر به فاقيم في صدر السفينة وامر
الجلادين ان يضربوه ضربا متلفا فجعل يقول كلما وقع عليه السوط حس
وهي كلمة تقولها العرب عند الالم فقال بعضهم انظروا الى زندقته ما تراه
يحمد الله تعالى فقال بشار ويلك اثريد هو احمد الله عليه فلما بلغ سوطا
اشرف على الموت فالقي في صدر السفينة فقال ليت عين ابي الشمقمق
تراني حين يقول ان بشار بن برد تيس اعمى في سفينة ثم مات من ساعته
فالقي في حراقة البطيحة فحمله الماء الى البصرة فاخذه اهله ودفنوه وحكى ابن
خلاد قال لما ضرب بشار بعث المهدي الى منزله من تفتيشه على كتب الزندقة
فوجد طومارا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اني اردت هجاء آل سليمان بن
علي فذكرت قرابتهم من رسول الله صلعم فتركتهم اجلالا له فلما قراه المهدي
بكا وندم على قتله وقال لا جزى الله يعقوب خيرا فانه هجاه لغو عليه
شهودا على انه زنديق فقتله وندمت حين لا ينفعني الندامة ومن نظر
اخبار بشار قال له هلال بن عطية يوما يمازحه وكان صديقه ان الله
لم يذهب بصر احد الا عوضه منه شيئا فما عوضك قال الطويل العريض
قال وما هو قال ان لا اراك ولا امثالك من الثقلاء ثم قال يا هلال اتطيعني

فى ضجه انضحك بما قال نعم قال انك كنت شرق الحيرة نائم بت وصرت
وافضيتا فصدلى سرقة الحيرة فهو والله خير لك من الرفض وصرت به نسوة
حسان فقلن له ايسرك ابا بنانك يا ابا معاذ قال اى والله والذى
كسروى ويقال انكر هذا اللفظ فانزاد وبشرنى ايضا ان الذى
كسروى ودخل يوما الحمام وفيه بعض ولد قتيبة فقال يا بشار وددت
انك تبصر هزالى فى الحمام وتعلم كذبك فى قولك

على اشياء سادتهم كتاب   موالى عامر وسم مناد

فقال بشار يا ابن اخى ذهب عليك الصواب انما قلت سادتهم ولست منهم
وكان يوما فى مجلس المهدى ينشد قصيدة فى مدحه فدخل خال المهدى
وكان فيه غفلة فقال لبشار ما صناعتك فقال انقب اللؤلؤ فضحك
المهدى وكل من حضر وجلس اليه رجل فاستثقله فضرط فظن الرجل انها
افلتت منه ثم ضرط اخرى واخرى فقال له ما هذا قال ابه ارايت ام سمعت
قال بل سمعت صوتا قبيحا قال فلا تصدق حتى تراه فقام الرجل فتركه ووقف
عليه بعض المجان وهو ينشد شعرا له فقال يا بشار استر شعرك كما تستر
عورتك فغضب بشار وصفق بيديه وتنقل عن عينيه وسياده وكان يفعل
ذلك اذا غضب واراد ان يقول هجاء ثم قال ويلك من انت فقال الرجل
انا اعزك الله من باهلة واخوالى من سلول واصهارى من عك ومنزلى
بشر بلال فضحك بشار وقال اذهب فانت عتيق لؤمك وحكى ابو عبيدة قال

كان حماد عجرد يتهم بالزندقة وكان يعيب بشارا بقبح خلقته فلما قال فيه والله ما الخنزير فى نتنه

بربعه فى النتن او خمسه   بل وجهه احسن من وجهه

ونفسه افضل من نفسه قال بشار ويلى على الزنديق لقد نفث بما فى صدره قيل
وكيف قال ما اراد الزنديق الا قول الله تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن
تقويم فاخرج الجحود به مخرج الهجاء وهذا اخبث شىء يمر ببشار ونظير ذلك وقد
وقع لبشار ايضا فى مثل هذه الرقعة حدث السرى بن الصباح قال دخلت على
بشار بالبصرة فقال اما انا فقد رجعت صاحبكم وبلغت منه يعنى حماد عجرد
قلت بماذا يا ابا معاذ قال بقولى يا ابن نهيا راس على ثقل واحمال الراسين
خطب جليل فادع غيرى الى عبادة وبينى فانى بواحد مشغول فقلت قد بلغ
حماد هذا الشعر وهو يرويه على خلاف هذا قال فما يقول قلت
يقول فادع غيرى الى عبادة وبينى فانى عن واحد مشغول فلما سمعه اطرق
وقال احسن والله ابن الفاعلة ثم كان يقول اذ اشكل عن هذا البيتين ايس
هالى ومن كلام بشار وكان الجاحظ يعده مع شعره مع الخطباء المذكورين
بقوله لقد عشت فى زمان فادركت اقواما لو اختلفت الدنيا ما تحابت
الا بهم وانى لفى زمان ما ادرى فيه عالما حصيفا ولا جوادا شريفا ولا جليسا
ظريفا ولا من يساوى على الخبزة رغيفا وقال الاصمعى قلت لبشار ان الناس
يعجبون من ابياتك فى المشورة يعنى قوله

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة   فان الخوافى عدة للقوادم

فقال يا ابا سعيد ان المشاور بين صواب يفوز بثمرته او خطاء يشارك
في مكروهه ومات لبشار ولد فقيل له اجر قدمته وذخر احرزته فقال ولد
دفنته وثكل تعجلته وغيب وعدته فانتظرته وان لم اجزع للنقص لم
افرح بالمزيد ومن محاسن شعره قوله

حرم الناس يا ابن سلم عقب الحين نظم الفقراء
مالكي تشتكي عن عجيل الحق كما انشقت السماء عن دكاء
ليس يعطيك للرجاء ولا الخوف ولكن يلذ طعم العطاء
لا ولا ان يقال شيمته الجود ولكن طبايع الآباء

وقوله من قصيدة في المهدي

تسلى عن الاحباب فضال خلة وصرام اخرى ما اقيم على امر
وكم من افراس الصبابة واللهو جرت جميعا ثم استقلت مع الحجى
الى ملك من هاشم في نبوة وفي حميري في الملك والعدد الدثر
من المشترين الحمد تندى من الندا يداه ويندى عارضاه من العطر
فالثم حبلي حبل من لا تغشه عفاة الندى من حيث يدري ولا يدري

وقوله في البائية المشهورة

اذا كنت في كل الامور معاتبا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحدا او صل اخاك فانه مقارف ذنب مرة ومجانبه
اذا انت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت واي الناس تصفو مشاربه

ولما

ولما تولى الحر واعتصر الثرى لقى القيظ من نجم توقد لاهبه
غدت عانة تشكو بابصارها الصدى الى الجاب الا انها لا تخاطبه

ومنها

اذا الملك الجبار صعر خده مشينا اليه بالسيوف نعاتبه
كان مثار النقع فوق رؤوسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وقوله من قصيدة في خالد البرمكي فيقال ان خالدا كتب هذه الابيات في مجلسه

اخالد ان الحمد يبقى لاهله جمالا ولا يبقى الكنوز على الكد
فاطعم وكل من عارة مستردة ولا تبقها ان العواري للرد

وقوله

دعتني حين شئت الى المعاصي محاسن ذاتها كالريم غض

وقوله

كان كلامها يوم التقينا دقيق ناخذن في طول وعرض

وقوله

ربما يثقل الجليس وان كان خفيفا في كفة الميزان
ولقد قلت حين وتد في الارض ثقيل وفى على كيوان
كيف لا تحمل الامانة ارض حملت فوقها ابا مروان

وقوله

رايت السهيلين استوى الجود فيهما على بعد ذا من ذاك في حكم حاكم
سهيل بن عثمان يجود بماله كما جاد بالوجعا سهيل بن سالم

وقوله

ادفق بعمرو اذا حركت نسبته فانه عربي من قوارير

فاما يعقوب الكاتب المشار بقتل البشار

فهو ابن داود بن طهمان السلمي كان في الاصل هو واخوته كتابا لابراهيم بن
عبد الله بن حسن لما خرج ايام المنصور فلما قتل استخفوا فمن عليهم المهدي

باطلعتم مالوا الى البادية وكان المهدي يطلب الحسن بن ابراهيم بن عبد الله
فضمن له يعقوب احضاره وتوسط الى ان احضر له الحسن بمكة بامان المهدي
ودخل في الطاعة وتمكن يعقوب وولي وزارة المهدي وغلب على امره
سره ودانت له الدنيا الى ان طلبه المهدي يوما قال فدخلت عليه وهو
في مجلس مفروش في غاية الحسن وبستان عظيم وعنده جارية ما رايت
احسن منها فقال كيف ترى فقلت متع الله امير المؤمنين لم ار كاليوم
فقال هو لك بما فيه والجارية لتتم سرورك فدعوت له ثم قال الي لي
حاجة قلت الامر لك فقال ضع يدك على راسي واحلف ففعلت فقال
هذا فلان من ولد فاطمة احب ان تريحني منه فاستوحش آل الحسن من صنيع
يعقوب وعلم انه ان كانت لهم دولة لم يعش فيها وان المهدي لا ينظر اليه لك
لكثرة السعاية فيه والحسدة له فمال يعقوب الى اسحق بن الفضل الهاشمي
وكان سعطا في دولة المهدي وهو الذي اخرجه من سجن المنصور وكانت
بينه وبين يعقوب مودة من سجن المنصور فتراءى اليه يعقوب فاقبل بعض
له الاسود فسعوا فيه الى المهدي وقالوا ان البلاد في يد اصحابه وانما يكفيه
ان يكتب اليهم فيثوروا في يوم واحد على ميعاد فياخذوا الدنيا لاسحق بن
الفضل فلم يسمع المهدي فامهله قليلا ثم تجنى عليه جنايات ووضعه
في المحبس الى ان حج وخرج في ايام الرشيد فلما احضر بين يديه قال السلام عليك
يا امير المؤمنين المهدي قال لست به قال الهادي قال لست به قال الرشيد قال نعم

فلم

فلم تم الحق بمكة ومات في دولته **سنة خرقت العادات وخالفت المعهودات**
الخرق قطع الشيء وتغيره على سبيل الفساد من غير تدبير وهو ضد الخلق
فان الخلق فعل الشيء بتقدير والخرق بغير تقدير ومن ذلك قوله تعالى
وخرقوا له بنين وبنات اي عملوا ذلك على سبيل الخرق وقولهم رجل اخرق
وامراة خرقاء لا يفعل الامر باحكام ولا تدبير والعادة تكرير الفعل ماخوذ من
عاد الحديث اذا كرره فخرق العادات تغيير ما يكرر وانفصاله من المخلوقات
واستمر على مرور الايام والليالي ومثله خالفت المعهودات **فاحلت البحار
عذبة واعدت السلم رطبة** البحر كل مكان واسع جامع للماء الكثير و
يقال في الاصل للماء الملح دون العذب وانما قيل البحران للملح والعذب
للتغليب كما يقال العمران واختلف في عدة البحار فقيل انها سبعة ابحر
ستة ظاهرة وواحد محيط بالدنيا مظلم ومنه تستمد وقيل خمسة وقيل
اربعة والاول اصح لقوله تعالى والبحر يمده من بعده سبعة ابحر قال بعض
العلماء ولان السموات سبع والارضين سبع والنجوم السيارة سبع والايام
سبعة وخلق الانسان من سبع يعني قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين الاية ورزق من سبع لقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الاية
وذكر في جغرافيا ان البحار مختلفة المقادير فمنها ما هو على هيئة الطيلسان
ومنها ما هو على هيئة الشابورة ومنها ما هو على صورة التدوير وهو الغالب
عليها واشدها البحر الشرقي وهو الفارسي والزنجي وهو الرومي ياخذان من البحر

المحيط ويقال له فنطس والبحار تستمد منه وهي بالنسبة اليه كالخلجان
لا يتأتى فيه ركوب ولا يعيش به حيوان فيأخذ من اقصى المغرب وينتهي
الى اقصى الهند والصين ومنه خلجان عظيمة تتصل بارض الحبشة ومنه
بحر فارس وله من الابلة والبصرة وآخره بحر الهند عند جبل يقال له راس
الجمجمة وفيه مغاص اللؤلؤ من جزيرة كيش واما البحر الغربي فانه يأخذ من
المحيط من المغرب في الخليج الذي بين المغرب والاندلس يسمى زقاق سبتة حتى
ينتهي الى الثغور الشامية ومقداره في المسافة اربعة اشهر ومن القلزم الذي
هو لسان بحر فارس ومن بحر الروم على سمت الغرما اربع مراحل وزعم بعض
المفسرين في قوله تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان انه
هذا الموضع وزعموا ان البحر الرومي متصل بالشرقي وانه وجد فيه شيء
من الساج الذي يكون في البحر الشرقي وهذا بعيد لبعد ما بينهما من
المفاوز والجبال واختلف في مبادئ البحار على اقوال احدها انها من
الاسطقسات الاربع خلقها الله يوم خلق السموات والارض والثاني انها
بقية طوفان نوح عم والثالث انها من عرق الارض لما نالها من حر الشمس
والرابع انها من مياه الارض فالملح يجد الى الاماكن المنخفضة والكل ملح
وانما يتصعد منها اللطيف فيلطفه ويحليه ثم يتحلل الارض فمنه الانهار العذبة
ومراد ابن ذريد ومن انك لو شئت فعلت ما لا يمكن وهو تفسير لقوله خرقت
العادات وشبه وعدت السلام رطبة العود الرجوع الى الشيء بعد الانصراف عنه

والسلام

والسلام الحجارة الصلبة وانما عنى باعادتها الى الرطوبة ما زعم قوم ان الحجارة
كانت في الزمان الاول وعلى عهد نوح عم لينة وعلى ذلك قول الراجز

لو انني عمرت عمر الحسل او عمر نوح زمن الفطحل

والصخر مبتل كطين الوحل ونقلت غدا فضا ما وردت في العناصر واهلها
فكانت حسا اصل الغد غدو فحذفوا الواو بلا عوض وما الناس الا كالديار
بها يوم حلوها وغدوها بلا قع واصل امس حركة آخره لالتقاء الساكنين
واختلف فيه فاكثرهم يبنيه على الكسر ومنهم من يعربه اذا دخل عليه الالف
واللام بقول لمضي الامس وقال سيبويه جاء في ضرورة الشعر في قوله

لقد رأيت عجبا مذ امسى مبنيا على الفتح ولا يصغر امس كما يصغر

غد والمعنى انك لو شئت قلبت الاشياء اما قدرة واما تسمية تقتدي
الناس بك فيها والعناصر اصول الخلق وهي اربعة الماء والنار والهواء
والتراب ثنتان تذهب صعدا وهي النار وطبيعتها حارة
يابسة والهواء وطبيعته حارة رطبة وثنتان تذهبان سفلا وهي الماء وطبيعته
باردة رطبة والتراب وطبيعته باردة يابسة وقيل في قول فيثاغورس
والذي وهب لنا الينبوع الاربع اراد العناصر ما نال القول فيه كل
الصيد في جوف الفرا هذا مثل قديم يضرب في وصف الشيء المرتب على غيره واصله
ان قوما خرجوا للصيد فصاد احدهم ظبيا والآخر ارنبا والآخر فرا و
هو الحمار الوحشي فقال لاصحابه كل الصيد في جوف الفرا جميع ما صدتموه

يبس في جنبها صيد نه وزعم بعضهم ان الفرا اسم واد كثير الصيد وهو قول مردود
واما قول الشاعر   ووادٍ كجوف العير قفرٍ قطعته   فليس من هذا
وانما اراد الوادي الموصوف بجوف حمار وحمار اسم رجل قديم كان في وادٍ خصيب
فظلم غيره فارسل الله عليه نارا احرقته واحرقت الوادي فخلا وسكنته
الجن فقيل اخلا من جوف حمار وحجب يوما ابو سفيان بن حرب عن النبي ص
ثم اذن له فقال يا رسول الله ما كدت تاذن لي حتى تاذن لحجارة الجلهتين
فقال النبي ص يا ابا سفيان كل الصيد في جوف الفرا وليس على الله بمستنكر ان يجمع
العالم في واحد هذا البيت لابي نواس من جملة ابيات يقولها في الفضل
بن يحيى ويخاطب الرشيد وهي

قولا لهارون امام الهدى   عند احتفال المجلس الحاشد
انت على ما بك من قدرة   فلست مثل الفضل بالواجد
اوجده الله فما مثله   لطالب ذاك ولا ناشد
وليس على الله بمستنكر   ان يجمع العالم في واحد

وابو نواس هو الحسن بن هاني ابن الجراح الحكمي البصري وكنى نفسه بابي نواس
لانه ينتسب الى قحطان وكانت تعجبه كنى ملوكها مثل ذي يزن وذي نواس
فاكتنى بابي نواس وكان مولده بالاهواز سنة خمس وثلثين ومائة ونشا
بالبصرة وتادب بها على ابي زيد وخلف الاحمر ونظر في كتاب سيبويه
وقال الشعر البارع ومدح الخلفاء والامراء وكان يقال هو في المحدثين مثل

امرئ

امرئ القيس في المتقدمين وكان العتابي يقول لو ادرك الخبيث الجاهلية
لم يفضل عليه احد وسئل المرزباني ايما اشعر ابو نواس ام الرقاشي قال
ضراط ابي نواس في جهنم اشعر من ابي الرقاشي في الجنة ثم مدح الامين و
اختص به وصار من ندمائه وبذلك كان اخوه المامون يشنع عليه و
يقول كيف يصلح للخلافة وجليسه ابو نواس القائل في مجلسه كذا وكذا
من الاشعار المنطوية على الفسق والكفر وقد كان ابو نواس قد انفرد في
زمانه باتقان الشعر وافراط المجون والتهتك قال ابو العتاهية عتبته
مرة على المجون فقال

اتراني يا عتاهي تارك تلك الملاهي   اتراني مفسدا بالنسك
عند القوم جاهي فلما الححت عليه قال

لن ترجع الانفس عن غيها   ما لم يكن منها لها زاجر

فوددت ان هذا البيت لي بجميع ما قلته وعلمت انه لا يصغي الى عذلي
ولم يزل على حاله الى ان توفي ببغداد سنة مائتين هو ومعروف الكرخي
في يوم واحد فخرج مع جنازة معروف نحو من ثلثمائة الف ولم يخرج مع
جنازة ابي نواس غير رجل واحد فلما دفن معروف قال قائل ليس
جمعنا وابا نواس الاسلام فرجع الناس فصلوا عليه ثم رؤي في المنام فقيل
له ما فعل الله بك قال غفر لي بصلوة الذين صلوا على معروف وعلي وحق ان يكتب
على قبره   وعظتك اجداث صمت   ونعتك ازمنة خفت

يا ذا المنى يا ذا المنى   عش ما بدا لك ثم مت

واخبار ابي نواس مجموعة ورويتها الزايد والناقص في مستطرف اخباره
قيل تخاصم اثنان رافضي وسني فيمن افضل الناس بعد رسول الله
فاتيا ابو نواس فسألاه فقال افضلهم بعده يزيد بن الفضل فقالا و
من يزيد بن الفضل قال رجل يعطيني في كل سنة ثلثة آلاف درهم
وسئل عن الخمر فقال خمر الدنيا اجود من خمر الآخرة وقد جعلها الله تعالى
لذة للشاربين فقيل له وكيف هي اجود قال لانها انموذج والانموذج
خيار الشيء وكان يوما جالسا وفي يده كاس خمر وعن يمينه عنقود وعن يساره
زبيب فقيل له ما هذا فقال الاب والابن والروح القدس فقيل له اتشرب
الخمر قال نعم واشتريها بثمن خفي يسرق حتى تكون حراما ثلاث مرات وحكي
عن نفسه قال دخلت الى دمشق فخلوت بامرد فدفعت له دينارا فلما
راى متاعي استعظمه فقلت له اما ان ترد الدينار واما ان تحمله واما ان
تشم سعوتيره فاذعن فلما دفعته فيه سمعته يقول هذا في رضاك قليل
يا ابا يزيد فقال له امرد متى تعطيني درهما قال اذا جرى الماء في العود
وكان ابو عبيدة يجلس الى اسطوانة في جامع البصرة فكتب ابو نواس اعلاها

صلى الاله على لوط وشيعته   ابا عبيدة قل بالله آمينا

فلما حضر ابو عبيدة راى البيت ولم يعرف من كتبه فامر بعض تلامذته ان يحكه
من السارية فلم يصل فتطاطا من له ابو عبيدة وصعد على ظهره الى ان حكه

فلما طال عليه الامر قال له افرغت قال نعم حككت الكل الا حرفا قال وما هو
قال لوط فقال لعن بقي الكل ومن شعره قيل ان سليمان بن المنصور دخل
على الامين فرفع اليه انه هجاه وانه زنديق واشار عليه بقتله فقال

يا عم كيف اقتله وهو القائل

صدق الثناء على الامين محمد   ومن الثناء تكذب وتخرص
واذا بنو المنصور عد حصاهم   فمحمد ياقوتها المتخلص

فانقطع سليمان عن الامين فامر الامين بحبس ابي نواس فكتب اليه من السجن

تذكر امين الله والعهد يذكر   مقامي وانشاديك والناس حضر
ونثري عليك الدر يا در هاشم   فيا من رأى درا على الدر ينثر
ومن ذا الذي يرمي بسهميك في العلا   وعبد مناف والداك وحمير
فان لك لم اذنب ففيم عقوبتي   وان كان لي ذنب فعفوك اكبر

فلما قرا الابيات قال اخرجوه ولو غضب له المنصور كلهم
ومن شعره قوله

يا كثير النوح في الدمن   لا عليها بل على السكن
سنة العشاق واحدة   فاذا احببت فاستكن
ظن بي من قد كلفت به   فهو يجفوني على الظنن

ومنها في المدح

تضحك الدنيا الى ملك   قام بالآثار والسنن
سن للناس الندى فندوا   فكان البخل لم يكن

وقوله

وكلت بالدهر عينا غير غافلة   من جود كفك تأسو كل ما جرحا

وقوله

انا الذي يأخذ الايدي بحجرته   اذ الزمان على ابنائه كلحا

علقت بحبل من حبال محمد   امنت به من طارق الحدثان

تغطيت من دهري بظل جناحه   فعيني ترى دهري وليس يراني

وقوله

فلو تسأل الايام ما اسمي ما درت   واين مكاني ما عرفن مكاني

الم تر انني افنيت عمري   بمطلبها ومطلبها عسير

فلما لم اجد سببا اليها   يقربني واعيتني الامور

وقوله

حججت وقلت قد حجت جنان   فيجمعني واياها المسير

ايا العاتب في الخمر   متى كنت سفيها

وقوله

لو تذكرها العتب   لا اطعمنا الله فيها

دع عنك لومي فان اللوم اغراء   وداوني بالتي كانت هي الداء

صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها   لو مسها حجر مسته سراء

دارت على فتية دان الزمان لهم   فلا يصيبهم الا بما شاؤوا

ومنها يعني ابراهيم النظام

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة   حفظت شيئا وغابت عنك اشياء

وقوله

لا تحظر العفو ان كنت امرأ فطنا   فان حظركه بالدين ازراء

قالوا ظعنت من تهوى فقلت لهم   الا نا طول لما كانت صبابا

لا عذر للصب ان تهدا جوانحه   وقد تطعم نوم بالموانات

وقوله

وداد نداماي عطلوها فادلجوا   بها اثر منهم جديد ودارس

ساحب

ساحب من جر الزقاق على الثرى   واضغاث ريحان جني ويابس

حبست بها صحبي فجددت عهدهم   واني على امثال تلك لحابس

ولم ادر منهم غير ما شهدت به   بشرقي ساباط الديار البسابس

اقمنا بها يوما ويوما وثالثا   ويوما له يوم الترحل خامس

تدور علينا الراح في عسجدية   حبتها بانواع التصاوير فارس

قرارتها كسرى وفي جنباتها   مها تدريها بالقسي الفوارس

فللراح ما زرت عليه جيوبهم   وللماء ما دارت عليه القلانس

وقد كان الجاحظ يقول وجدنا الشعراء تجاذبوا المعاني

الا قول عنترة في وصف الذباب

وخلا الذباب بها فليس ببارح   غردا كفعل الشارب المترنم

هزجا يحك ذراعه بذراعه   قدح المكب على الزناد الاجذم

وقول ابي نواس يصف الكاس بيني في هذه الابيات السينية فان احدا من

الشعراء لم يجسر على التعرض لهما وقوله

كيف النزوع عن الصهباء والكاس   ومن ذا لنا يا عاذلي بقياس

قالوا كبرت فقلت ما كبرت يدي   عن ان تجيء الى فمي بالكاس

وقوله

يقولون بالشيب الوقار لاهله   وشيبي بحمد الله غير وقار

اذا كنت لا انفك عن اريحية   الى رشا يسعى بكاس عقار

وقوله

منها اليك غدي وحاجتي لم انج بها   اخاف عليها شامتا فاداري

فادخ عليها ستر معروفك الذي — سترت به قدما على عواري

ظلت حميا الحب تبسطنا — حتى تهتك بيننا الستر

في مجلس ضحك السرور به — عن ناجذيه وحلت الخمر

ولقد تجوب بي الفلاة اذا — صام النهار وقالت العفر

شدنية رعت الحماة ت — ملاء الجبال كانها قصر

تبعي اليك بما ابنوا املي — عتبوا فاعتبهم بك الدهر

ان الخصيب وهذه مصر — فتدفقا وكلاهما بحر

ذكر بعض العلماء في قوله وحلت الخمر اربعة اوجه الاول ان طيب المكان وتكامل السرور بصادف مقتضيا لشرب الخمر ويلجأ الى تناولها وافقا للحرج فيها على مذهب الشعراء في المبالغة وغايته وصفها بانها حلت المبالغة في وصف الحال الحسن الثاني ان يكون ولي الي على نفسه ان لا يشرب الخمر الا بعد الاجتماع بمحبوبه فكان الاجتماع به مخرجا من يمينه على عادت العرب وعلى ذلك قول امرئ القيس

حلت لي الخمر وكنت امرءا — عن شربها في شغل شاغل

الثالث يريد بحلت نزلت من الحلول لا من الحلال كانه وصف بلوغ ارايه وانما تكاملت بحضوره والجزء الرابع انما استحلها الخمر بسكرنا وذهولنا وقوله

ذريني اكثر حاسديك برحلة — الى بلد فيه الخصيب امير

اذا لم تزر ارض الخصيب ركابنا — فاي فتى بعد الخصيب تزور

فان تولني منك الجميل فاهله — والا فاني عاذر وشكور

وقوله

لقد اتقيت الله حق تقاته — وجهدت نفسك فوق جهد المتقي

واخفت اهل الشرك حتى انه — لتخافك النطف التي لم تخلق

احتج له بعض العلماء في هذا البيت فقال الانسان اذا خاف شيئا خاف لحمه ودمه فكان لاعدائه خافته ونطفها في ذلك الوقت دم فخافته وقال آخر خافته ذرية آدم منذ اخذ الله عليها الميثاق وهي في ظهور آدم وقوله في الخمر

من بنات العيون ترمقه — تخرج منه مواقع القبل

افرغ في قالب الجمال فما — يصلح الا لذلك العمل

وقوله

يا ذا الذي من حبنا ظل يحيي — بالله قل واعد يا طيب الحنى

قال اشتكيت وقالت قد بليت به — اواه من حيثما اقبلت في اثر

ما زال يفعل بي هذا وبيد منبر — حتى لقد صار من همي ومن فكري

مات بالحق فتلهي ولا بالعبد — يرجى نفعه بالعصا

فرحمة الله على آدم — رحمة من عم ومن خصصا

لو كان يدري انه خارج — مثلك من احليله لاختصى

وقوله في الزهد

الا رب وجه في التراب عتيق — ويا رب حسن في التراب رقيق

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت — له عن عدو في ثياب صديق

طوى الدهر ما بيني وبين محمد — وليس لما تطوي المنية ناشر

وكنت عليه احذر الموت وحده ... فلم يبق لي شيء عليه احاذر

فلو صورت نفسك لم تزدها ... على ما فيك من كرم الطباع

هذا البيت لابي تمام من قصيدة سيأتي في آخر ترجمته وهو حبيب بن
اوس بن الحارث الطائي الشاعر المجيد صاحب كتاب الحماسة ولد سنة
تسعين ومائة ومات سنة ست وعشرين ومائتين بقرية جاسم من حوران
وكان ابوه نصرانيا وكان ابو تمام بمصر في حداثته يسقي الماء بالمسجد الجامع ثم
جالس الادباء واخذ عنهم وكان فطنا ذكيا محبا للشعر فلم يزل يعانيه حتى قال
وساد ذكره وبلغ المعتصم خبره فحمله الى سر من راى وعرض عليه قصائده
فقدمه على شعراء وقته حدث علي بن الجهم قال كان الشعراء يجتمعون كل جمعة
في القبة المعروفة بهم بجامع بغداد وينشدون الشعر ويعرض كل منهم على
اصحابه ما نظم بعد مفارقتهم في الجمعة التي قبلها فبينا انا في جمعة من
تلك الجمع ودعبل وابو الشيص وابن ابي فنن والناس يستمعون انشاد
بعضهم بعضا ابصرت شابا في اخريات الناس جالسا في زي الاعراب فلما
قطعنا الانشاد قال قد سمعت انشادكم منذ اليوم فاسمعوا انشادي

قلنا هات فانشد

فحواك عين على نجواك يا مذل ... ثم مر فيها وقال

تنابر الشعر فيه اذ سهرت له ... حتى ظننت قوافيه ستقتتل

فعقد ابو الشيص عند هذا البيت خنصره ثم
مر فيها الى آخرها وانشد قصيدة اخرى فقلنا لمن هذا الشعر فقال لمن انشدكموه
قلنا ومن تكون قال ابو تمام الطائي فرفعنا مجلسه واشتد اعجابنا به لدماثة اخلاقه وجودة

الدماثة سهولة الخلق

شعره

شعره وما عرفت عقد خنصر ابي الشيص هل كان اعجابا بالبيت او اخذا عليه
في اسكان الياء من قوافيه وهو ضرورة جائزة ثم ترفعت حال ابي تمام
وتحول وعاد الى بلده فمر بجاسم واطمانا فخرجت امراة تستقي ماء فتنا
والتفت الى صاحبيه فقال انشد واهدا قبيح جاسم فرحل من وقته
وعاد الى الموصل فاقام بها الى ان مات وحكى البحتري قال دخلت على
سعيد بن سلم الطائي فانشدته قصيدة لي في مدحه التي اولها

أأفاق صب من هوى فافيقا ... ام خان عهدا او اطاع شفيقا

فلما فرغت منها اقبل على ذلك الشخص وقال اما يستحيي ان تنتحل شعري
تنشده بحضوري ثم مر في القصيدة وانشدها بحضوري فتغير وجه سعيد
والتفت الي فقال يا ابن اخي قد كان لك في الوسائل عندنا مندوحة عن
سرقة الشعر فخرجت كاسف البال وسالت عن رجل فقيل انه ابو تمام الطائي
فلما ابعدت لحقني الحاجب فاردني بالعودة فاذا ابو تمام يضحك فاستدناني
وقال يا سيدي الشعر واسلك وانما هذه عادتي في حفظ القصيدة من مرة
واحدة ولقد نعيت الي نفسي فانه ما نبغ في قبيلة نجيب وشريف الا مات
من كان قبله مثله او سمعت قول الشاعر

اذا مقرم منا ذرى حد نابه ... تخمط منا ناب آخر مقرم

فقلت بل يجعلني الله فداك ثم لزمته وكان محسنا الي الى ان مات وحكى ابو
حيان قال كان لابي تمام صديق يسكو من قدحين فكتب اليه يستدعيه للشرب

اذ رأيت أن تنام عندنا الليلة فافعل ومن محاسن شعره قوله

الى قطب الدنيا الذي لو بفضله   مدحت بنى الدنيا كفتهم فضائله

تعود بسط الكف حتى لو انه   ثناها لقبض لم تطعه انامله

ولو لم يكن في كفه غير نفسه   لجاد بها فليتق الله سائله

وقوله

ومرحب بالزائرين وبشره   يغنيك عن اهل الندى ومرحب

يعطي عطاء المنعم المفضل الندا   عفوا ويعتذر اعتذار المذنب

قوم اذا وعدوا او اوعدوا اغمروا   صدقا ذوائب ما قالوا بما فعلوا

وقوله

يستعذبون مناياهم كانهم   لا ييأسون من الدنيا اذا قتلوا

وقوله

لا تنكري عطل الكريم من الغنى   فالسيل حرب للمكان العالي

وتنظري خبب الركاب ينصها   محي القريض الى مميت المال

وقوله

واذا اراد الله نشر فضيلة   طويت اتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت   ما كان يعرف طيب عرف العود

وقوله

ليس الحجاب بمقص عنك لي املا   ان السماء ترجى حين تحتجب

وقوله

توفيت الآمال بعد محمد   واصبح في شغل عن السفر السفر

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة   تقوم مقام النصر ان فاته النصر

مضى طاهر الاثواب لم تبق روضة   غداة ثوى الا اشتهت انها قبر

كأن بني نبهان عند وفاته   نجوم سماء خر من بينها البدر

لئن ابغض الدهر الخؤون بفقده   لعهدي به ممن يحب له الدهر

وقوله

اذا فقد المفقود من آل مالك   تقطع قلبي رحمة للمكارم

المربي لأيام كيف فجعتنا   به ثم قد شاكتنا في المآتم

بني مالك قد نبهت خامل الثرى   قبور لكم مشرقات المعالم

رواكد قيس الكف من متناول   وفيها علا لا ترتقى بالسلالم

وقوله

وذات تمحو باداتها فصبر   ما ذا بيت من جواد معمر

علقت به الاقدار حتى انها   لتكاد تفجاه بما لم يقدر

واكثر شعر ابي تمام مختار وهو في الشهرة تالي ابي الطيب فيكفي من شعره هذا القدر وما اذكر في هذا الشرح بعض هذه التراجم التي هي من باب لزوم ما لا يلزم الا لما تضمن من فائدة تحسنه وترغب فيه واما القصيدة التي منها البيت المذكور بسببه فهي

خذي عبرات عينك عن زماعي   وصوني ما اذلت من القناع

ءالفة النحيب كم افتراق   اجد فكان داعية اجتماع

وليست فرحة الاوبات الا   لموقوف على ترح الوداع

تعجب ان رأت جسمي نحيلا   كأن المجد يدرك بالصراع

فتى النكبات من يأوي اذا ما   اطفن به الى خلق وساع

ابت مع السباع الماء حتى   لخالته السباع من السباع

قلب الحزم ان حاولت يوما   بأن تستطيع غير المستطاع

قال المرزوقي في شرح هذا البيت يقول ان اردت ان تقدم على ما لا

عليه فاجب عزمك وحزمك واصطبر عليه ولا تخالفه فان ذلك يؤديك الى النجح وعلى هذا رأي من روى قلب الحزم من التلبيه ونسب بعضهم هذا البيت الى المحال فقال الحزم في ترك طلاب ما لا يطاق فكيف يعزم على ادراكه حتى يجيبه بالتلبية قال المرزوقي وهذا من قائله تمرّد اذ معنى البيت اجب الحزم وعليك به فيما تطلب من المهمات فان الحزم يعين على كل شيء حتى على الاتيان ولا يستحيل وهذا كما يقال كل ما لا يقدر عليه خلق فاستعن عليه بكذا وكذا يبين انه مبارك السعي ويراد بذلك المبالغة في تأثيره وقال آخر اراد ان حاولت يوما ما لا يدخل تحت قدرتك فاجب الحزم فانه يدعوك الى ترك طلبه ويروى ايضا فلبّ الحزم ومما في المدح

اطال يدي على الايام حتى ... وقيت صروفها صاعا بصاع
جعلت الجود لألاء المساعي ... وهل شمس تكون بلا شعاع
وانك مثل رأي السيف صحت ... مشورة حده عند المساع
ولو صورت نفسك لم تزدها ... على ما فيك من كرم الطباع

والمراد بقول ابي الطيب ذكر الأنام لنا فكان قصيدة كنت البديع الفرد من ابياتها هذا القول لابي الطيب المتنبي وقد تقدم ذكره وانما اذكر ههنا محاسن القصيدة التي منها هذا البيت وهي قصيدة يمدح بها احمد بن عمران اولها

سرت

سرت محاسنه حوت ذواتها ... داني الصفات بعيد موصوفاتها
ومطالب فيها الهلاك اتيتها ... ثبت الجنان كانني لم آتها
ومقانب بمقانب غادرتها ... اقوات وحش كن من اقواتها
يعني كم جيش لقيته بجيش حتى ... اقتلوا فصاروا قوتا للوحش
بعد ما كان الوحش قوتا لهم في الصيد وفي هذا المعنى خلل لان الوحش الذي يقتات القتلى لا يقتاته الفرسان في الصيد

اقبلتها غرر الجياد كانما ... ايدي بني عمران في جبهاتها

يعني وجهت الخيل قبل وجوه هذه المقانب وهي غر فكان بياض ايدي بني عمران الممدوحين في جبهاتها وانما اراد بياض ايديهم اللون فليس فيه كبير معنى وانما اراد بالايدي النعم فهو مدح وانما كان من باب تشبيه العرض بالجوهر

الثابتين فروسة كجلودها ... والراكبين جدودهم اماتها

كان ينبغي ان يقول الراكبين جدودهم امهاتهم وانما حمله الضرورة على وجه ضعيف فيقولهم اكلوني البراغيث قال الواحدي والذي ذكره الناس في معنى هذا البيتان هذه الخيل تركبهم وهم يركبونها لانها من نتاج نتاسلت عندهم فجد والمد وحين كانت تركب امهات هذه الخيل و سياق الابيات قبله يدل على انه يصف خيل نفسه لا خيل الممدوحين وهو قوله اقبلتها غرر الجياد واذا كان كذلك لم يستقم هذا المعنى الا ان يدعى ان

انه قاتل على خيل الهند وحين وانهم يعطون الخيل للشعرا والذى يزيل
الاشكال ان يقال الجياد اسم جنس فهى قوله غزا بالجياد اراد خيل نفسه
وفيما بعده اراد خيل الهند وحين والجياد تعم الخيلين جميعا

فكانما نتجت قياما تحتهم ... وكانما ولدوا على صهواتها

ان الكرام بلا كرام منهم ... مثل القلوب بلا سويداواتها

عجبا له حفظ العنان بأنمل ... ما حفظها الاشياء من عاداتها

لو مر يركض فى سطور كتابه ... احصى بحافر مهره ميماتها

يعنى انه لفروسيته وحسن تصرفه فى الخيل فى الكر والفر لو ركض بفرسه
فى طرس مكتوب واراد ان يحصى بحافر مهره الميمات لفعل وخص الميمات
لانه اشبه بالحوافر وادق من العينات التى هى ايضا تشبه الحوافر واكثر
وجودا فى الحروف وخص الميم لانه اصعب من غيره

لا خلق اسمح منك الا عارف ... بك راء نفسك لم يقل لك هاتها

راء مقلوب رأى مثل رنا ونأى ... اعنى ذو الك عن محل نلتنه

لا تخرج الاقمار عن هالاتها ... ذكر الانام لنا فكان قصيدة

كنت البديع الفرد من ابياتها

فكدمت غير مكدم واستسمنت ذا ورم ونفخت فى غير ضرم

الكدم العض والمكدم موضع العض يضرب مثلا لمن يطلب شيئا لا يمكن
منه وفى نسخة كدمت بالدال وهو خطاء والورم الانتفاخ يقال ورم يرم والسمن

صدق

هذا الهزل محلول من قول المتنبى

اعيذها نظرات منك صادقة ... ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وكذلك قوله نفخت من غير ضرم ماخوذ من قول عمرو بن معدى كرب

ولو نارا نفخت بها اضاءت ... ولكن انت تنفخ فى الرماد

وسيأتى ذكر عمرو فيما بعد ولم تجد لريح مهزا ولا لشفرة محزا
الهز التحريك الشديد كانه قال لم تجد لريح كلاما يعنى المراة المرسلة
ما يهز ويمال وكذلك الشفرة احيانا لها ما يهتز ويقطع

بل رضيت من الغنيمة بالاياب هذا مثل يضرب لمن قنع بسلامة
نفسه فى مطلبه وهو من بيت امرئ القيس بن حجر الحارث من بنى
آكل المرار وامه فاطمة بنت ربيعة اخت مهلهل وكليب ابنى وائل وكان
ابوه حجر ملكا من ملوك العرب بتهامة والحيرة ولما اتاوه على بنى اسد و
غطفان وكان قد طرد ابنه لقول الشعر فقتله بنو اسد ثم قتل ونهض امرؤ
القيس يطلب ثاره فى خبر طويل فقال ضيعنى صغيرا وحملنى عباه كبيرا
ثم قتل جماعة من بنى اسد وتفرق عنه قومه فلحق بقيصر واستنجده وما
سموها فى طريقه فى قصته مع قيصر وسمى الملك الضليل لانه اضل ملك
ابيه وذا القروح لان قيصر ارسل اليه حلة مسمومة تقرح منها بدنه ومات
فاما شعره فهو الذى لا ينازع فى تقديمه وهو امام المتقدمين
خفيفة ومن محاسن شعره قصيدته المعلقة وقوله

سما لك شوق بعد ما كان اقصرا ... وحلت سليمى بطن قو فعرعرا

اشيم مصاب الغيث اين مصابه ... ولا شيء يشفي منك يا ابنة عفزرا

من القاصرات الطرف لو دب محول ... من الذر فوق الاتب منها لاثرا

يعني لو دب الصغير من النمل على ثوبها لاثر في جسدها ولم يرد بالمحول من الذر ما بلغ الحول وانما اراد ما هو من الذر في الصغر بمنزلة الحولي

من الابيات فدعها وسل الهم عنها بجسره

ذمول اذا صام النهار وهجرا ... كان الحصى من خلفها وامامها

اذا نجلته رجلها حذف اعسرا ... خص الاعسر لاختلاف رميانه

على لاحب لا يهتدى بمنا ره ... اذا سافه العود النباطي جرجرا

يصف طريقا لا اعلام فيه وهو قوله لا يهتدى بمناره يعني ليس فيه مناد يهتدى به لان فيه منارا الا انه لا يهدى والعود الجمل البالغ تمام سنه وسافه اذا شمه وجرجر اذا صاح وعادة الابل انها تشم الارض التي لا تعرفها فتحن لعلمها ببعد المسافة منها

الا رب يوم صالح قد شهدته ... بتاذف ذات التل من فوق طرطرا

ولا مثل يوم في قذاران ظلته ... كاني واصحابي على قرن اعفرا

اختلف المفسرون في هذا فقال بعضهم وصف اليوم بالشدة وفسر بالقلق والاضطراب فيه حتى كانه واصحابه من عدم الاستقرار يقيمون على قرن ظبي وقال بعضهم بل وصفه لانه كان فيه مسرورا منعما لانه قال قبل البيت

الا رب

الا رب يوم صالح والمعنى انه كان على مكان مشرف يتنزه فيه فشبهه لارتفاعه بقرن الظبي لانه اعلى ما في جسده وقصيدته اللامية التي اولها الا عم صباحا ايها الطلل البالي واما القصيدة التي منها النصف بيت المذكور من اجله فانها يقول فيها

فبعض اللوم عاذلتي فاني ... سيكفيني التجارب وانتسابي

الى عرق الثرى وشجت عروقي ... وهذا الموت يسلبني شبابي

يعني ان مصيره الى التراب وقيل عرق الثرى آدم وسمي كما ما اباوه الاكم

ارانا موضعين بحتم غيب ... ونسحر بالطعام وبالشراب

ابعد الحارث الملك بن عمرو ... وبعد الخير حجر ذي القباب

وبعد ملوك كندة قد تولوا ... باكرم شيمة واقل عاب

ارجي من طوال الدهر لينا ... ولم يغفل عن الصم الصلاب

الم انض المطي بكل خرق ... امق الغول لماع السراب

وقد طوفت في الافاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالاياب

فادجها وقد بقيت كلت ... لفرط العين تركع للظراب

واعلم انني عما قليل ... سانشب في شبا ظفر وناب

وبنت الرجيع بخفي حنين

اختلف في حنين هذا فقال قوم كان رجلا ادعى انه من بني اسد بن هاشم بن عبد مناف فاتى عبد المطلب وعليه خفان احمران فقال يا ابا عمرانا

ابن اسد بن هاشم فقال عبد المطلب لا وثياب هاشم ما اعرف فيك شمائلهم
فارجع فرجع فصار مثلا يضرب للراجع بالخيبة وقال قوم كان حنين
اسكافا من اهل الحيرة ساومه اعرابي بخفين ولم يشتر منه شيئا وغاظه ذلك
فخرج فعلق احد الخفين على شجرة في طريقه وتقدم قليلا فطرح الآخر
وكمن فجاء الاعرابي فرأى الخف الآخر مطروحا فنزل وعقل بعيره واخذه
ورجع لياخذ الاول فخرج حنين من الكمين فاخذ بعيره وذهب فرجع
الاعرابي الى الحي بخفي حنين وقيل كان حنين يهوديا تحت امرأة مسلمة
حادثة فحص عمر عنها وتكشفت فكتب بخبره الى عمر فكتب ليس على هذا
صالحناهم وقد خلع ربقة الذمة من رقبته فاصلبوه حيا فلما نصب
على خشبته اتت امرأته وعليه خفان فقالت الآن تموت فما تصنع بالخفين
فاخذتهما من رجليه فقال الناس انقلبت بخفي حنين

لاني قلت لقد هان من بالت عليه الثعالب

هذا نصف بيت لرجل من العرب يسمى غاوي بن ظالم السلمي وكان سبب
قوله انه كان لبني سليم صنم يعبدونه في الجاهلية وكان غاوي سادنه
فبينا هو ذات يوم اذ اقبل ثعلبان يشتدان فشغر كل واحد منهما رجله فبال
على الصنم فقال يا بني سليم والله ما يضر ولا ينفع ولا يمنع ثم انشد

ارب يبول الثعلبان برأسه   لقد هان من بالت عليه الثعالب

ثم كسر الصنم ولحق بالنبي صلعم فاسلم فقال كيف اسمك فقال غاوي بن ظالم

فقال

فقال بل انت راشد بن عبد ربه وروي في هذا البيت الثعلبان
بكسر النون على التثنية وروي ايضا بضم النون والثاء على انه ثعلب واحد
وضرب به المثل فيمن يدعي العز ويراد به الذل وانشدت

على انها الايام قد صرن كلها   عجائب حتى ليس فيها عجائب

هذا البيت لابي تمام الطائي ذكره في ابيات يرثي بها غالب بن السعدي

هو الدهر لا يشوي وهن المصائب   واكثر آمال الرجال كواذب
فيا غالبا لا غالب لرزية   بل الموت لا شك الذي هو غالب
وقلت اخي قالوا اخ ذو قرابة   فقلت لهم ان الشكول اقارب
عجبت لصبري بعده وهو ميت   وكنت امرأ ابكي دما وهو غائب
على انها الايام قد صرن كلها   عجائب حتى ليس فيها عجائب

النخير صوت من الانف اكثر ما يكون عند الغضب ويسمى خرق الانف
الذي يخرج منه النخير منخران وفي المثل ما في الدار نخير ومنه نخرت البقرة
اي بليت هبت بها صوت الريح والبسر الاستعجال بالشيء قبل اوانه
ويقال للجبن قبل النضج بسر ومنه قيل لما لم يدرك من التمر بسر وفي
قوله تعالى عبس وبسر اي اظهر العبوس قبل اوانه والتعبيس بمعنى
قطوب الوجه من ضيق الصدر ومنه قيل يوم عبوس والكفر في اللغة
ستر الشيء ووصف الليل بالكافر لستره الاشخاص واستعمل فيما جحد النعمة
لستره اياها ولما كان يقتضي جحود النعمة صار يستعمل في الجحود مطلقا فقال

الكافرلمن جحد الوحدانية وما اشبهه ولما جعل كل فعل محمود من الايمان جعل
كل فعل مذموم من الكفر وقد يشتد غضب الانسان فيفعل ما يذم عليه
فيسمى كفرا وقد يعبر ايضا بالكفر عن التبري من الشي كقوله تعالى ويوم
القيمة يكفر بعضكم ببعض فيكون المعنى فيقول ابن زيدون اني عضبت
الان فعلت ما فعلت واني تبرئت منك **وابدات واعدت وابرقت**
وارعدت يعني كررت ما يسوئك ذكره واصل البرق لمعان السحاب
والرعد صوته ويكنى بهما عن التهديد يقال ارعد فلان وابرق ورعد
وبرق اذا هدد وكان الاصمعي ينكر قولهم
ابرق وارعد وقد قال مهلهل ابرقوا ساعة الهياج وارعدنا
كان عد الفحول الفحول **لا افعل وكدت وليتني** يعني هممت
بقتل هذه المراة وهذا من باب الحذف والايجاز لدلالة بعض الكلام
على تقدير المحذوف كقوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت
به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر تقديره لكان هذا وهو كثير
في كلام العرب وقد استعملوه حتى في الحروف فقالوا ادرس المنا يعني
المنازل وقالوا ورق الحما يعني الحمام وهذا لفظ شعر لضابي بن الحارث
بن ارطاة البرجمي كان رجلا بذيا كثير الشر وكان صاحب صيد او طاء
دابته صبيا فقتله فرفع الى عثمان ايام خلافته فاعتذر بضعف بصره
فخلى سبيله ثم خلص وكان قد استعار كلبا من بني نهشل فلم يرده فطلبوه منه

والحوا عليه فقال يهجوهم ويسمهم امهم بالكليب بقوله
فامكم لا تتركوها وكلبكم فان عقوق الوالدات كبير
اذا اكتنفت من آخر الليل تحضه يظل له فوق الفراش هريس
فاستعدوا عليه عثمان فقال ويلك ما سمعت احدا رمى امراة بكلب غيرك
واني اراك لو كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لانزل الله فيك قرانا ثم حبسه وعرض يوما اهل السجون فوجده قد
اعد حديدة ليغتال بها عثمان فاخذت منه وترك في السجن فقال
لا يعطين بعدي امرئ ضيم خطة حذار لقاء الموت فالموت نائله
هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله
وقائلة لا يبعد الله ضابئا اذا القرن لم يوجد من يناز له
ثم لم يزل في السجن حتى مات فلما قتل عثمان وثب عمير ابنه على ضلع من اضلاعه فكسرها
وقتله الحجاج بالكوفة **ولولا ايات للحوز ذمة وللضيف حرمة وكان الخوف فيقذا الدمستق** يعني لولا انه ضيف ولهذه المراة حرمة بدخول المنزل و
المواكلة لفعلت بها ما فعل سيف الدولة بالدمستق وهذا حل بيت
للمتنبي في هذا المعنى وذلك ان ملك الروم ارسل جيشا الى بلاد سيف
الدولة وقدم عليه بطريقا يسمى الدمستق وقيل الدمستق لقب عندهم
لكل مقدم على جيش فهزمه سيف الدولة وجرح موليا وعاد الى ملك
الروم مهزوما مرعوبا ثم ان ملك الروم ارسل رسولا وكتابا الى سيف الدولة

يطلب الصلح والهدية فنظم المتنبي في هذه الواقعة قصيدة يشير فيها
فيها الى هزيمة الدمستق يقول
وكنت اذا كاتبته قبل هذه كتبت اليه في قذال الدمستق
وهي قصيدة تنطوي على ابيات حسنة وتتعلق بها خبر ظريف قيل
دخل السري الرفاء الشاعر على سيف الدولة يوما فقال يا مولانا
كم تفضل علينا هذا الكندي يعني المتنبي ولو امرتني ان انظم على
وزن اي قصيدة شئت من قصايده لنظمت ما هو اجود منها فقال له
سيف الدولة انظم على وزن قصيدته التي اولها
لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي فخرج السري من عنده على ذلك
وفكر في القصيدة فلم يجد بها من طنانات المتنبي فعلم ان سيف الدولة
اراد امرا بتخصيصه هذه القصيدة في الاقتراح فنظر الى ابياتها فاذا
هو يقول فيها مادحا لسيف الدولة مفتخرا بنفسه
اذا شاء ان يلهو بلحية احمق اراه غباري ثم قال له الحق
فعلم ان سيف الدولة اراده بهذا المعنى فكف عن النظم وفي هذه القصيدة يقول المتنبي
وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ولكن من يبصر جفونك يعشق
سقى الله ايام الصبى ما يسرها ويفعل فعل البابلي المعتق
اذا ما لبست الدهر مستمتعا به تخرقت والملبوس لم يتخرق
معنى جيدا الا ان استعمال التخرق للاجساد بشع ومنها

نودعهم والبين فينا كانه قنا ابن ابي الهيجا في قلب فيلق
هواد لاملاك الجيوش كانها تخير ارواح الكماة وتنتقي
يغير بها بين اللقان وواسط ويركضها بين الفرات وجلق
ويرجعها حمرا كان صحيحها تبكي دما من رحمة المتدفق
فلا تبلغاه ما اقول فانه شجاع متى يذكر له الطعن يشتق
وفي قوله لا تبلغاه سماجة لانه ينشد القصيدة
كساءبه من سيل الغيث قطرة وعاذ له من قال للفلك ارفق
راى ملك الروم ارتياحك للندى فقام مقام المجتدي المتملق
وكنت اذا كاتبته قبل هذه كتبت اليه في قذال الدمستق
وما كنا الحاسدينا قصيدة ولكنه من يزحم البحر يغرق
والنعل حاضرة ارعاد لعقرب الحضرمي والعفو مكتنتا مرالة السنة الاولى حل بيت للفضل اللهبي من جملة ابيات وهو مثل
هيدد به عن عوقب وهذا الفضل هو ابن العباس بن عتبة بن ابي
لهب كان من شعراء الهاشميين وفصحائهم توفي في خلافة الوليد بن
عبد الملك وكان طويلا ادم اللون حكي ان فرزدق مر به يوما وهو ينشد مفتخرا
وانا الاخضر من يعرفني اخضر الجلدة من بيت العرب
من يساجلني يساجل ماجدا يملأ الدلو الى عقد الكرب
يعني بالخضرة ادم اللون والعرب تفتخر بانها سمر وسود وقيل عني

بالاخضر البحر وانه في نفسه وكرمه كالبحر وعنى بالمساجلة المفاخرة واصل
المساجلة ان يدلي الشخصان بدلوين في بئر فايهما ملا اكثر كان الغالب
واستعمل في المفاخرة فلما سمع الفرزدق قوله تشمر وقال انا اساجلك فقال
برسول الله وابني عمه ... وبعباس بن عبد المطلب فرجع الفرزدق
وقال ما يساجلك الا من عض بظر امه وحكى ابو عبيدة ان عمر بن ابي
ربيعة قال بينا انا جالس في المسجد الحرام في جماعة من قريش اذ دخل
علينا الفضل بن العباس اللهبي فوقف وانا انشد
واصبح بطن مكة مقشعرا ... كان الارض ليس بها هشام
فقال يا اخا بني مخزوم ان بلدة تمخخ بها عبد المطلب وبعث منها رسول
الله واستقر بها بيت الله عز وجل لحقيقة ان لا تقشعر لهشام وان
اشعر من هذا البيت واصدق قول الآخر
انما عبد مناف جوهر ... زين الجوهر عبد المطلب
فاقبلت عليه وقلت يا اخا بني مخزوم ان اشعر من صاحبك من يقول
ابا مخزوم الحريق اذا ... حركته تارة ترى ضرما
يطلع منه الشرار واللهب ... من حاد عن حره فقد سلما
فوالله ما كلمتهم ان اقبل علي فقال
هاشم بحر اذا سما وطما ... اخمد حر الحريق واصطلما
فاعلم وخير المقال اصدقه ... بان من رام هاشما هشما

فاسودت

فاسودت الدنيا في عيني ولم احر جوابا واطال ابو عبيدة الحكاية الى
ان ظهر عليها التوحيد ومن جيد شعر الفضل بن العباس يا مي ان تفقدي قرما وزينتهم
وتطلبيهم فان الدهر خلاس ... عمرو وعبد مناف والذي عهدت
بطاح مكة لابي الضيم عباس ... ليث هزبر بدا لعند خيسته
بالرقمتين له اجر واعراس ... يبني تشيده النحات نقوله اجر على جمع
جرو والاصل اجرو فابدلت الواو لوقوعها طرفا مضموما ما قبلها
وحكى عنه الجاحظ حكاية تنظر نفيه قال شرب ليلة مع ولد جعفر على سطح
فلما سكر الجعفري رمى نفسه الى اسفل وقال انا ابن الطيار في الجنة
فتكسر فثبت الفضل بالحائط فقال انا ابن القصوص في النار واما
البيت الذي ذكر بسببه فحكى انه كان بالمدينة تاجر من تجارها
يسمى العقرب وكان من اخطل الناس فعامله الفضل وكان اشد الناس
تقاضيا فلما حل المال قعد الفضل بباب عقرب وعقرب على
سجيته في المطل فلما اعياه قال يهجوه
قد تجرت عقرب في سوقنا ... لا مرحبا بالعقرب التاجره
كل عدو كيده في استه ... فغير مخشى ولا ضائره
ان عادت العقرب عدنا لها ... وكانت النعل لها حاضره
فصار هذا اللفظ مثلا وقول ابن زيدون انا ضرب الذنب فالاصلاد
التعقد في الذنب فاصله من ضر الشيء

يعني هبان هذه الواصفة لم تنظرك بعين المحبة الساترة للعيوب فيما
وصفتك به من الفضائل ليس منظرك كما ترى من القبح والسماجة كما
سياتي ذكره في هذا الفصل حل ثلثة ابيات لثلاثة من الشعراء ولكل
منهم اخبار واشعار تشتمل على محاسن فالاول قول الهاشمي
وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا
وهو عبد الله بن معوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب كان
من فتيان بني هاشم واجوادهم ومضحابهم على انه كان يتهم بالزندقة
في دينه لصحبته قوم عرفوا بذلك واشهرهم رجل يقال له البقلي وانما
سمي بذلك لانه كان يقول الانسان كالبقلة اذا مات لم يرجع وكان
عبد الله فيمن ترقى للخلافة واشتهر ذكره في آخر ايام بني امية حكى المدايني
ان عبد الله بن معوية قدم زائرا لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز م
مستميحا له فتزوج بالكوفة بنت الشرقي بن شيت بن ربعي فلما وقعت
العصبية اخرجه اهل الكوفة على بني امية وقيل انما خرج في ايام يزيد بن
الوليد ودعا الناس الى بيعة الرضا من آل محمد وقيل انما دعا الى نفسه
ولبس الصوف واظهر سيماء الخير فاجتمع عليه ناس من الكوفة فبايعوه
ولم يجتمع عليه اهل المصر وقالوا له ما بقي فينا بقية فقد قتل جمهورنا مع
اهل هذا البيت واشاروا عليه بالخروج الى فارس ونواحي الشرق ففعل ذلك

وجمع

وجمع جموعا من النواحي وخرج فغلب على مياه الكوفة والبصرة وهمذان و
الري وقم واصبهان واقام باصبهان وكان الذي اخذ له البيعة محارب بن
موسى اليشكري فدخل دار الامارة بنعل ورداء وجعل الناس يجتمعون
عليه فياخذهم بالبيعة فقالوا على ماذا فقال على ما احببتم وكرهتم وكتب الى
الامصار يدعو الى نفسه واستعمل اخوته على كرمان وشيراز وغيرها
وقصدته بنو هاشم السفاح والمنصور وعيسى بن علي ووجوه قريش من امية
وغيرهم فمن اراد عملا ولاه ومن اراد صلة وصله واحسن اليه وكان سمح الكف
كريم الاخلاق حكى ابن هرمة قال قصدته فوجدت الناس بعضهم على
بعض ببابه فرآني بعض خدمه فعرفني ان عامتهم غرماء له وبابه دون
فقلت هذا شر لي ثم دخلت عليه فقلت له اعلم والله بهذه الغرماء فقال لا
عليك انشدني فاستحييت فقال الآن انشده فانشدته ابياتا تامنا
ترى الخير يجري في اسرة وجهه قوله كما لالات في السيف المهند رونق
فامر لي بما كان اعده من المال لبعض الغرماء والله ما يملك غيره ثم لم يزل
عبد الله مقيما بنواحي فارس حتى ولي مروان بن محمد الجعدي فوجه اليه عامر بن
ضبارة في جيش كثيف فسار اليه حتى اذا قرب من اصبهان ندب عبد الله
اصحابه للخروج فتثاقلوا عليه ولم يفعلوا فخرج على دهش هو واخوته الى
خراسان وقد ظهر ابو مسلم بها وطمع في نصرته فاخذه ابو مسلم وحبسه
عنده وجعل عليه عينا فرفع عنه انه يقول ليس في الارض احمق منكم يا

يا اهل خراسان في طاعتكم هذا الرجل قبل ان ترجعوا في شيء تسألوه عنه والله
ما رضيت الملائكة بهذا من الله عز وجل حتى راجعته في امر آدم م فقالت اتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء حتى قال لهم الله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون
فشد عليه ابو مسلم ثم كتب اليه عبد الله رسالة التي يقول فيها الى ابي
مسلم من الاسير في يده بغير خلاف عليه اما بعد فانك مستودع ودايع و
مولى صنايع وان الودايع مرعية والصنايع عارية فاذكر القصاص واطلب
الخلاص فانك لاق ما اسلفت وغير لاق ما خلفت فوفقك الله لما ينجيك
والهمك شكر ما خولك فلما قرأ كتابه رمى به ثم قال افسد علينا اصحابنا وهو
محبوس في ايدينا فلو خرج وملك لم يزل الا اهلكنا ثم امضى تدبيره في قتله
فدس اليه سما فمات ووجه برأسه الى ابن ضبارة فحمله الى مروان ومن شعره
وتعلق به حكاية حكاها ابراهيم الموصلي قال بينا انا عند الرشيد وعنده
ابن جامع وعمرو الغزال وغيرنا من الندماء والمغنيين اذ قال لصاحب الستارة
لابن جامع تغن في شعر عبد الله بن معوية ولم يكن ابن جامع يغني شيئا
من شعره ولا يعرفه وكنت قد تقدمت فيه فارتج على ابن جامع فلما رأيت
ما حل به اندفعت فغنيت لعبد الله بهيم وما ان يرى لي من سبيل الى جمله

كان لم يكن عاشقا قبله وقد عشق الناس من قبله
فمنهم من الحب اودى به ومنهم من اشفى على قتله

فاذا يد دفعت الستارة فنظرت الي وقال احسنت والله اعده فاعدته ثم جاء

فراشي ببدرة فوضعها تحت فخذي ثم قال اجعلها تكاءك ثم انقضى المجلس
فلما كان المجلس الثاني قال صاحب الستارة يا ابن جامع تغن بشعر
ابن جعفر يعني عبد الله بن معوية فوقع في مثل الذي وقع فيه بالامس فغنيت
في شعر عبد الله سلا ربة الخدر ما شأننا ومن اي ما شأننا تعجب

فلست باول من فاته على ايه بعض ما يطلب
واصبح صدع الذي بيننا كصدع الزجاجة لا يشعب

فاومى صاحب الستارة انا امسك واشار بيده الى انه يبكي فامسكت ثم قال
تغن لابن جعفر وكان ابن جامع شديد الحسد فكان في ابن جعفر حتى
لطا دمع ابيه ولم يقبل على قول الشعر فضمنا صحبات الرشيد ثم ارسل الي ببدرة
والى ابن جامع مثلها واما الشعر الذي ذكر سببه فانه كان صديقا للحسين
للحسين بن عبد الله بن العباس ثم وقع بينهما امر فتهاجرا فقال عبد الله

وان حسينا كان شيئا ملففا فمحصه التكشيف حتى بدا ليا
وانت اخي ما لم يكن لي حاجة فان عرضت ايقنت ان لا اخا ليا
وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

واما البيت الثاني فهو قول المجنون

اهابك اجلالا وما بك قدرة علي ولكن ملء عين حبيبها

وهو قيس بن الملوح بن مزاحم من بني عامر بن صعصعة شاعر
غزل سكن البادية عمره وتوفي في آخر دولة بني امية وهو المعروف بمجنون ليلى

ويقال انه لم يكن مجنونا وانما الرواة وضعوا ذلك عليه ممن حكى ابن دأب
قال قلت لرجل من بني عامر اتروي من شعر المجنون شيئا فقال اوقد فرغنا
من العقلاء حتى نروي للمجانين انهم كثير فقلت انا اعني مجنون بني
عامر الشاعر الذي قتله العشق فقال هيهات بنو عامر اغلظ اكبادا من
ذلك انما يكون هذا في هذه اليمانية الضعاف قلوبها السخيفة ادمغتها
واما نزار فلا وقال الاصمعي الصحيح ان الاشعار والوجد لقيس ولكنه
لم يكن مجنونا انما كانت لوثة احدثها العشق بجارية من قومه تسمى ليلى
ابنة سعد وعلق قلب كل واحد منهما بصاحبه وهما حينئذ صبيان
يرعيان مواشي اهلهما فلم يزالا كذلك حتى كبرا وحجبت عنه وفي ذلك يقول

تعشقت ليلى وهي ذات ذوابة ولم يبد للاتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم يا ليت اننا الى الآن لم نكبر ولم تكبر البهم

حكى ابن عامر المري قال حضرت الى رجل من بني عامر لالقى المجنون فدللت
على محلته فلقيت اباه شيخا كبيرا وحوله اخوة المجنون فسألته عنه فقال
انه والله كان عندي آثر من هؤلاء جميعا وانه عشق امرأة من قومه والله ما كانت
تطمع في مثله فلما افشى امرها كره ابوها ان يزوجها اياه بعد ما ظهر من امرها
فزوجها غيره واول ما ظهر من عشقه لها انه طرقنا اضياف ذات ليلة ولم يكن
عندنا ادم فبعثته الى ابي ليلى فوقف على خبائه وصاح به فقال ما تشاء فقال
طرقنا اضياف ولا ادم فارسلني ابي اليك فقال يا ليلى اخرجي اليه ذلك النحي

فاملئي اناءه من السمن فاخرجته ومعه قعب فجعلت تصب السمن في
الاناء ويتحدثان فالهاهما الحديث وهي تصب السمن وقد امتلأ القعب
ولا يعلمان وهو يسيل حتى استنقعا رجلاهما في السمن فرآهما ابوها على
تلك الحال فامرها بالانصراف وحجبها عنه وزوجها فازداد هياما وكانا
في بعض الاوقات يتحادثان فظعن بها زوجها فتوله وجن جنونه وهام
مع الوحش يأكل معها من البقل ويرد الماء لا يجده من يطلبه الا قليلا
فيخبر من امره وحيث من لقاه وانصرفت وحكى بعض بني عامر قال
مررت بالمجنون وهو على تل رمل وهو قد خط باصابعه خطوطا فدنوت
منه فنفر كما ينفر الوحش فجلست معرضا عنه فلما طال جلوسي سكن و
اقبل يخط باصابعه فقلت احسن والله القائل

واني لافني دمع عيني بالبكاء حذارا لذي قد كان او هو كائن

فبكى حتى بل الرمل الذي بين يديه ثم قال انا والله اشعر منه حيث اقول

وادنيتني حتى اذا ما سبيتني بقول يحل العصم سهل الاباطح
تجافيت عني حين لا لي حيلة وخلفت ما خلفت بين الجوانح

ثم سنح له ظبي فقام يعدو واسعا وعدت طلبه اياما الى ان وجدته
في واد كثير الحجارة خشن وهو بين تلك الحجارة ميت فاتيت اهله فحملوه
ودفنوه ولم تبق فتاة من بني جعدة وبني الحريش الا خرجت حاسرة ولم ير
باكيا اكثر من ذلك اليوم ومن محاسن ما روى من شعره

ابا القلب الا حبها عامرية ... لها كنية عمرو وليس لها عمرو
تكاد يدي تندى اذا ما لمستها ... وتنبت في اطرافها الورق الخضر

قوله

فوالله ما ادري على حين مرتقى ... ولا اي امريك بالليل اركب
اقطع حبل الوصل فالموت دونه ... ام اشرب رنقا منكم ليس يشرب
ولو تلتقي اصداؤنا بعد موتنا ... ومن دون رمسينا من الارض منكب
لظل صدى رمسي وان كنت رمة ... لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

وقوله

اقول لاصحابي هي الشمس ضوءها ... قريب ولكن في تناولها بعد
وقد يبتلى قوم ولا كبليتي ... ولا مثل جدي في الشقاء بكم جد
وما في الا العظم والجلد عاريا ... ولا عظم لي ان دام هذا ولا جلد

وقوله

اردد عنك النفس والنفس صبة ... بذكرك والممشى اليك قريب
مخافة ان يسعى الوشاة بظنة ... واكرمكم ان يستريب مريب
ولو ان ما بي بالحصى فلق الحصى ... وبالريح لم يسمع لهن هبوب
ولو انني استغفر الله كلما ... ذكرتك لم تكتب علي ذنوب

وقوله

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا ... سوى ان يقولوا انني لك عاشق
اجل صدق الواشون انت حبيبة ... الي وان لم تصف منك الخلائق
كان على انيابها الخمر شجها ... بماء سحاب آخر الليل غابق
وما ذقته الا بعيني تفرسا ... كما شيم في اعلى السحابة بارق

واما الابيات التي ذكر من اجلها فقوله

دعا المحرمون الله يستغفرونه ... بمكة يوما ان تمحى ذنوبها
فناديت يا رباه اول سألتي ... لنفسي ليلى ثم انت حسيبها
فان اعط ليلى في حياتي لا يتب ... الى الله عبد توبة لا اتوبها
اهابك اجلالا وما بك قدرة ... علي ولكن ملء عين حبيبها
وما هجرتك النفس يا ليل انها ... قلتك ولكن قل منك نصيبها

واما البيت الثالث فهو قول ابن ابي ربيعة

فتضاحكن وقد قلن لها ... حسن في كل عين من تود

وهو عمر بن عبد الله بن ابي ربيعة المخزومي القرشي ويكنى ابا الخطاب شاعر مجيد صاحب ثروة ومجون وجميع شعره في الغزل لا يمتدح به احدا ولذلك قال له سليمان بن عبد الملك لم لا تمدحنا فقال انا امدح النساء لا الرجال وكان يقال ان العرب كانت تقر لقريش بالتقدم عليها الا في الشعر حتى كان ابن ابي ربيعة فاقرت لها في الشعر ايضا ولم تنازعها شيئا ولد ليلة قتل عمر بن الخطاب فكان يقول اي حق رفع واي باطل وضع يعنون كثرة معاشرته النساء وتغزله بهن ومات بعد ان تاب وقد ناهز الثمانين وقيل انه قد نيف على السبعين ودخل عليه اخ عند موته وقد جزع عليه فقال له عمر احسبك تجزع لما تظنه بي والله ما اعلم اني ركبت فاحشة قط فقال اما كنت اشفق عليك الا من ذلك وحكى الجرمي ان عمر بن ابي ربيعة كان مشتهرا بحب الثريا بنت عبد الله بن امية الاصغر وكانت عمر

الشيطان للانسان فقال عمر هكذا والله قلته فقال ابن ابي عتيق اما علمت ان شيطانك ربما الم بي فيجد عندي من عصيانه ما لا يجد عندك من طاعته ومثل هذا ما حكي انه انشد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قصيدته اللامية فلما قال

تشط غدا دار جيراننا ... فبدره ابن عباس فقال

وللدار بعد غد ابعد

قال هكذا والله قلت فقال ابن عباس انه لا يكون الا هكذا وروي ان عبد الملك بن مروان جمع بثينة وبين جميل وكثير عزة وقال لينشد كل واحد منكم بيتا في الغزل فايكم كان اغزل فله هذه الناقة وما عليها وكان قد احضر ناقة موقرة دراهم فقال جميل

ولو ان راقي الموت يرقي جنازتي ... بمنطقها في الناطقين حييت

وقال كثير

وسعى الي بعيب عزة نسوة ... جعل الاله خدودهن نعالها

وقال عمر بن ابي ربيعة

فليت الثريا في المنام ضجيعتي ... لدى الجنة الخضراء او في جهنم

فقال عبد الملك بن مروان خذها يا صاحب جهنم ومن محاسن شعر عمر قوله في قصيدته الرائية

تهيم الى نعم فلا الشمل جامع ... ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر
اشارت بمدراها وقالت لتربها ... اهذا المغيري الذي كان يذكر
لئن كان اياه لقد حال بعدنا ... فيضحى واما بالعشي فيخصر

رات رجلا اما اذا الشمس عارضت ... عن العهد والانسان قد يتغير
اخا سفر جواب ارض تقاذفت ... به فلوات فهو اشعث اغبر
وليلة ذي دوران جشمني السرى ... وقد يجشم الهول المحب المغرر
وبت رقيبا للرفاق على شفا ... ولي مجلس لولا اللبانة اوعر
فلما فقدت الصوت منهم واطفئت ... مصابيح شبت بالعشاء وانور
ونفضت عني النوم اقبلت مشية ال ... حباب وركني خيفة القوم ازور
فحييت اذ فاجاتها فتولهت ... وكادت بمكتوم التحية تجهر
وقالت وعضت بالبنان فضحتني ... وانت امرؤ ميسور امرك اعسر
اريتك اذ هنا عليك الم تخف ... رقيبا وحولي من عدوك حضر
فلما تقضى الليل الا اقله ... وكادت توالي نجمه تتغور
اشارت لاختيها اعينا على الفتى ... اتى زائرا والامر للامر يقدر
فاقبلتا فارتاعتا ثم قالتا ... اقلي عليك اللوم فالخطب ايسر
يقوم فيمشي بيننا متنكرا ... فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر
فكان مجني دون من كنت اتقي ... ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
هنيئا لبعل العامرية نشرها ال ... لذيذ ورياها الذي يتذكر

اطلت في ذكر هذه القصيدة لما رايت فيها من اللفظ المطبوع والانسجام الذي لا يتهيا لغيره ومن محاسن شعره

ءالحق ان دار الرباب تباعدت ... او انبت حبل الوصل قلبك طائر

ذلك جمالا وتماما وكانت تصيف بالطائف وكان عمر يغدو كل غداة
من مكة يسئل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن
الاخبار فيلهم فلقى يوما بعضهم فسأله عن اخبارهم فقال ما استطرفنا
خبرا الا انى سمعت عند رحلنا صوتا وصياحا عاليا على امرأة من قريش
اسمها اسم نجم فى السماء قد ذهب عنى اسمه فقال عمر الثريا قال نعم
وقد كان بلغ عمر قبل ذلك انها عليلة فوجه فرسه راجعا الى الطائف
يركضه ملء فروجه وسلك طريق كدا وهى اخشن الطرق واقربها حتى
انتهى الى الثريا وقد توقعته وهى تتشوف له وتشوق فوجدها سليمة
ومعها اختاها فاخبرها الخبر فضحكت وقالت انا والله امرتهم لاختبر
ما عندك فلذلك يقول قصيدته

تشكى الكميت الجرى لما جهدته ... وبين لو يستطيع ان يتكلما

وحكى انها واعدته يوما فجاءته فى الوقت الذى ذكرته فصادفت
اخاه الحارث قد نام مكان عمر فلم يشعر الحارث الا والثريا قد القت
نفسها عليه فانتبه وجعل يقول اعزبى عنى لست بالفاسق اخزاكما الله
فلما علمت بالقصة انصرفت ورجع عمر فاخبره الحارث فاغتم لما فاته
وقال له اما والله لا تمسك النار ابدا وقد القت نفسها عليك فقال
الحارث عليك وعليها لعنة الله ولما بلغ ابن ابى عتيق قوله فى رسول عمر
الى الثريا فانى صنعت دريعا يحجوها والكتاب قال ما اراد عمر غيرى ثم رحل

مكة

مكة الى الطائف واستصحبه حتى اصلح بينهما ورجع من فوره وقال عمر انجلى
الا ليلى بنت عمر لقيتها وهى تسير على بغلة لها فقلت لها جعلت فداك قفى
اسمعك بعض ما قلت فيك فقالت او فعلت فقلت نعم فوقفت فانشدتها

الا يا ليل ان شفاء نفسى ... نوالك لو علمت فنولينا
وقد اذف الرحيل وحان منا ... فراقك فانظرى ماذا ترينا

فقالت امرك بتقوى الله وايثار طاعته وترك ما انت عليه ثم انصرفت
وحكى انه كان يوما يساير عروة بن الزبير فقال عمر واين زين المواكب
يعنى محمد بن عروة وكان يسمى بذلك لجماله فقال عروة هو امامك
فركض يطلبه فقال له عروة يا ابا الخطاب اولسنا اكفاء لمحادثتك و
مؤانستك قال بلى ولكنى مغرم بهذا الجمال اتبعه حيث كان ثم انشد

انى امرؤ مغرم بالحسن اتبعه ... لا حظ لى فيه الا لذة النظر

ثم مضى حتى لحقه وجعل عروة يضحك منه وروى انه شبب بزينب
بنت موسى الجمحى وكان ابن ابى عتيق ذكرها له فاطنب فى وصفها
فصنع فيها قصيدته التى يقول فيها

يا خليلى من ملام دعانى ... والما الغداة بالاظعان

وبلغ ذلك ابن ابى عتيق فلامه فى ذكرها فقال له

لا تلمنى عتيق حسبى الذى بى ... ان عندى عتيق ما قد كفانى
لا تلمنى وانت زينتها لى ... فقدره ابن ابى عتيق فقال انت مثل

انى قد اذاق الواجدون وفارقوا هوى واستمرت بالرجال المرائر
امت حبيبا ما تحمل بجاد وصالها وعشرتها كبعض من لا تعاشر
وجهما كتبى لم يكن اوكنا نحب بدا الذادو من غيبته المعايب

هذا البيت من احسن ما ذكره اصحاب البديع فى نوع التقسيم وقوله

بينما ينعتننى ابصرننى مثل قيد الميل يعدو بى الأغر
قالت الكبرى اتعرفن الفتى قالت الوسطى لها هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها قد عرفناه وهل يخفى القمر

يقال انه رتب كلامهن على قدر عقولهن فالكبرى تجاهلت من معرفته والوسطى اظهرت معرفته والصغرى اظهرت معرفته ووصفه وقوله

معاد منا المقيدة جميل

جرى ناصح بالود بينى وبينها فقربنى يوم الحصاب الى قتلى
فلما توافقنا عرفنا الذى بها كما عرفت بى حذوك النعل بالنعل
وسلمت فاستانست خيفة ان يرى عدوى مكانى او يرى كاشح فعلى
فقالت وارخت جانب الستر انما معى فتحدث غير ذى رقبة اهلى
فقلت لها ما بى لهم من ترقب ولكن سرى ليس يحمله مثلى

يقال ان هذا البيت احسن ما قيل فى وصف السر وقوله

ايها الرايح المجد ابتكارا قد قضى من تهامة الاوطارا
من يكن قلبه الغداة سليما ففؤادى بالخيف اضحى معارا

ليت ذا الدهر كان حتما علينا كل يومين حجة واعتمارا

يروى ان سعيد بن المسيب رضى الله عنه لما سمع هذا البيت قال لقد كلف المسلمين شططا وان الله لا ذنم بهم من ان يبلغه امنيته واما الشعر الذى ذكرنا من اجله فقوله فى هند الحارث بن عوف المرية

ليت هندا انجزتنا ما تعد وشفت انفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لا يستبد
ولقد قالت لاتراب لها ذات يوم وتعرت تبترد
اكما ينعتنى تبصرننى عمركن الله ام لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها حسن فى كل عين من تود
حسدا حملنه من اجلها وقديما كان فى الناس الحسد

وكانت اغاليك بحلاك ووسمتك بسيماك ولم يعوزك شهادة ولا تكلفت لك زيادة

وقوله كانت عطف على وهيما والحلى الاوصاف التى يوصف بها الشخص كانما ماخوذة من الحلى وهو الزينة والسيما العلامة ومنه قوله تعالى من الملائكة مسومين والشهادة العلم بالشئ والاقرار به

بل صدقت سن بكرها فيما ذكرت عنك

هذا مثل يضرب فى الصدق واصله ان رجلا ساوم رجلا فى بعير فقال ما سنه فاخبره انه بكر فنفر عنه اى راى سنه واحد الاسنان فقال صدقنى

سن بكره بفتح النون على انه مفعول وسن بضمها على انه فاعل وكلاهما صحيح المعنى ووضعت الهناء مواضع النقب بانتسابه اليك ولم تكن كاذبة فيما اثنت به عنك

هذا مثل يضرب لمن يضع الاشياء فى محلها واصله ان الهانى وهو واضع القطران على البعير الاجرب يتتبع النقب التى فى جسد البعير وهى مبادى الجرب وهذا المثل نصف بيت من الشعر لدريد يقوله فى الخنسا وهو دريد بن الصمة بن الحارث الجشمى من هوازن فارس معروف من فرسان الجاهلية وشعرائها مشهور بالراى والطعن واسم ريحانة بنت معدى كرب اخت عمرو وقتل فى غزاة هوازن مشركا حين غزاهم رسول الله صلعم وكان قد اسن وعجز عن الحرب وانما حمله القوم لرايه وهى الوقعة التى اشار فيها براى فلم يسمع منه فقال

ياليتنى فيها جذع اخب فيها واضع

وهزمت هوازن وقتل اكثرهم وقتله ربيعة ابن رفيع السلمى فخبطه بطول وقال الماضى يتبر بسيفه وقع منكشفا فاذا عجانه وفخذاه مثل القراطيس من ركوب الخيل وحكى الاصمعى ان امه ريحانة قالت له لما قتل اخيه عبد الله بن الصمة يا بنى انك عجزت عن ثار اخيك فاستعن بخالك وعشيرتك من زبيد فانف لذلك وحلف لا ياكل لحما ولا يشرب خمرا حتى يدرك ثاره ثم اخذ غرة من غطفان فغزاهم وقتل

منهم قوما ثم اسر ذواب بن اسماء واتى به الى فناء اخيه فقتله فاخذت السيف فجعلت تلحس الدم بلسانها الى ان قطع منه ولا تعلم من الفرح ثم قال فى ذلك

جزينا بنى عبس جزاء موفرا بمقتل عبد يوم الذنائب
قتلنا بعبد الله خير لداته ذواب ابن اسماء ابن زيد بن قارب

قال الاصمعى كان عبد الله بن مروان يقول لولا القافية لنسبه الى آدم وهذا النوع يسميه قوم من اصحاب البديع الاطراد لتوالى الاسماء منظومة وحكى ابو عبيدة قال هجا دريد بن الصمة بن عبد الله بن جدعان فلقيه عبد الله بعكاظ فحياه وقال هل تعرفنى يا دريد قال لا قال فلم هجوتنى قال ومن انت ولم يكن رآه قال انا ابن جدعان قال هجوتك لانك كنت امرا كريما فاحببت ان اضع شعرى موضعه فقال له عبد الله لئن كنت هجوت لقد مدحت وكساه وحمله على ناقة فقال يمدحه

اليك ابن جدعان اعملتها مسومة للسرى والنصب
فلا خفض حتى تلاقى امرا جواد الرضا وحليم الغضب
سمعت الانام فما ان ارى شبيه ابن جدعان وسط العرب

ومن شعر دريد يرثى اخاه

تنادوا فقالوا اردت الخيل فارسا فقلت اعبد الله ذلكم الردى
فان يك عبد الله خلى مكانه فما كان وقافا ولا طائش اليد
صبور على وقع النوائب حافظ من اليوم اعقاب الاحاديث فى غد

اعاذل ان كل امرئ وابن امه ... متاع كزاد الراكب المتزود

اباد فاقتر من للخيل ان طردت ... واضطرها الطعن في وعث وذا الحاق

يا فارساً ما ابو اوفى اذا اشتغلت ... كلتا اليدين كرور غير وقاف

وقوله اشتغلت كلتا اليدين يعني يمسك العنان بيد ويضرب باخرى

غير الفؤاد مروع بنكتة ... كالاذ لم يكي من كر بنز كاف

وقوله

يعني ان الفؤاد ثم منها بكى اعينهم في يزيد بن الدان حتى تسال نفدا له جاره

بني ذبيان دد ولعا الجارى ... واسرى في كبوجهم النقال

فانتم اهل عائدة وفضل ... وايد في مواهبكم طوال

متى ما تمنعوا شيئاً فليست ... حبائل اخذه عنى السؤال

وقوله

ابا القتل الا آل صمة انهم ... ابوا غيره والقدر يجري الى القدر

فان تعقبوا علينا وانا بنى فيتخفى ... بنا ان اصبنا او نغير على وتر

قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا ... فما ينقضي الا ونحن على شطر

واما الشعر الذي ذكر بسببه فانه مر بالخنساء بنت عمرو بن الشريد وستأتي ذكرها وهي تهنئ بعيرا لها وقد تبذلت حتى فرغت منه ثم نضحت عنها ثيابها واغتسلت ودريد يراها وهي لا تشعر به فاعجبته فانصرف الى رحله فقال

حيوا تماضر واربعوا صحبي ... وقفوا فان وقوفكم حسبي

ما ان رايت ولا سمعت به ... كاليوم هانئ اينق جرب

متبذلا تبدو محاسنه ... يضع الهناء مواضع النقب

وتماضر اسم الخنساء ثم خطبها من دريد لكبر سنه فهجاها فقيل لها الا تجيبيه فقالت ما كنت لاجمع عليه ان اردّه واهجوه فالمعيدي تسمع به خير من ان تراه هذا مثل يضرب لمن يكون خبره خيراً من منظره واول من قاله النعمان لشقة بن ضمرة فيجئ طويل معناه انه كان يغير على مال للنعمان ويطلب فلا يقدر عليه الى ان امنه النعمان وكان يعجبه ما يسمع عنه فلما رآه استزرى منظره فقال الان تسمع بالمعيدي خير من ان تراه فقالت ابيت اللعن ان الرجال ليست بجزر وانما يعيش المرء باصغريه قلبه ولسانه ومعيد اسم قبيلة يقول الشاعر

ستعلم ما تغنى معيد ومرض ... والنعمان هو ابن المنذر بن النعمان

بن عمرو آخر ملوك العرب بالحيرة من قبل كسرى وله اخبار وما قوال ومن اغرب ما ذكر منها كلامه عند كسرى في فضل العرب وذلك انه وفد على كسرى وعنده وفود العرب والهند وغيرهم فذكروا ملوكهم وفضلهم وافاض النعمان في ذكر العرب وفضلهم على الامم لا يستثني فارس ولا غيرها فتغير وجه كسرى وذكر كلاماً ينتقص فيه العرب ويفضل عليهم الامم فقال النعمان اصلح الله الامير اما امتك فليست تنازع في الفضل لموضعها التي هي به من عقلها وحلمها وبسطة محلها وما اكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك واما الامم التي ذكرت فاي امة تقرنها بالعرب الا فضلتها قال كسرى بماذا قال بعزتها ومنعتها وبأسها وسخائها وحسن وجوهها

وحكم السنتها ووفائها واحسابها وانسابها فاما عزها ومنعتها فانها لم تزل مجاورة الملوك الذين دوخوا البلاد وقادوا الجنود لم يطمع فيه طامع حصونهم ظهور خيلهم ومهادهم الارض وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر اذ غيرهم من الامم انما عزها الحجارة والطين وجزائر البحار واما سخاؤها فان ادنى رجل منهم يكون عنده البكرة او الناب عليها بلاغه من حمولته وشبعه وريه فيطرقه الطارق الذي يكتفي بالفلذة ويجتزي بالشربة فيعقرها له ويرضى ان يخرج له من دنياه كلها فيما يكسبه حسن الاحدوثة وطيب الذكر واما حسن وجوهها والوانها فقد يعرف فضلها في ذلك على غيرهم من الهند المحترقة والروم المقشرة والترك المشوهة واما السنتها فان الله اعطاهم في اشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وضربهم الامثال ومعرفتهم بالاشارة والبلاغة من الصفات ما ليس في السنة الاجناس واما وفاؤها فان احدهم ليلحظ ان رجلا استجار به وعسى ان يكون نائياً عن داره فيصاب فلا يرضى حتى يفني تلك القبيلة التي اصابته او يصاب قبله لما اخفر من جواره وان احدهم ليرفع عوداً من الارض فيكون رهنا لا يغلق ولا تخفر ذمته وكان تمسكها بشريعتها وهوان لها اشهر حرماً وبيتاً محجوجاً ينسكون فيه مناسكهم فيلقى الرجل قاتل ابيه او اخيه وهو قادر على اخذ ثاره فيمنعه دينه ويحجزه كرمه واما انسابها واحسابها فليست امة من الامم الا وقد جهلت اصولها وكثير من اولها الى آخرها حتى

ان احدهم يسئل عما وراء ابيه فلا ينسبه ولا يعرفه وليس احد من العرب الا يسمي آباءه اباً فاباً حاطوا بذلك احسابهم فلا يدخل رجل في غير قومه ولا يدعى لغير ابيه واما قول الملك انهم يئدون ابناءهم فانما يفعله منهم من يفعله بالاناث انفة من العار وغيرة من الازواج واما قوله ان افضل طعامهم لحوم الابل فما تركوا ما دونها الا احتقاراً فعمدوا الى اجلها واعلاها فكانت مراكبهم وطعامهم مع انها اكثر البهائم لحوماً وشحوماً فلما انجادتهم وترك انقيادهم لرجل يسوسهم فانما يفعل ذلك من يفعله من الامم اذا انست من نفسها ضعفاً وتخوفت نهوض عدوها وانه انما يكون في بيت الملك واحد يعرف فضلهم فيلقون امورهم اليه فاما العرب فان ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا ان يكونوا ملوكاً اجمعين مع انفتهم من اداء الخراج والعسف وما اشبه ذلك فعجب كسرى من منطقه وكساه من كسوته ورده الى الحيرة ومن طرائف اخبار النعمان انه قد كان حمى ظهر الكوفة وشقائقها وبن هناك قبل شقائق النعمان فانفرد يوماً عن عسكره فاذا هو بشيخ يخصف نعلا فقال له ما انزلك ههنا قال طرد النعمان الرعاء فاخذوا يميناً وشمالا فاشتهيت خلاء هذه الوهدة فنتجت الابل وولدت الغنم والنعمان معتم لا يعرف فقال او ما تخاف من النعمان قال وما اخاف منه ولربما سرت بيدي هذه بين عانته وسرته فلما سمع النعمان قوله سفر عن

وجهه فاذا حزرات الملك تلمع فلما رآه الشيخ قال ابيت اللعن لا تراه انك
ظفرت بشيء فقد ملئت العرب انه ليس بي لا بيها شيخ اكذب مني فضحك
النعمان وحلم عنه مع تجرمه وعظمته ومات النعمان بساباط الذي طرحه
كسرى تحت ارجل الفيلة فخبطته حتى مات وذلك بتحيل عدي بن زيد
كاتبه وذلك ان كسرى ارسل يخطب بنت النعمان لنفسه فقال النعمان
للرسول اما كان في عين السواد ما يكفي الملك فلما كسرى هذا الكلام لم
يفهمه وسال عنه عديا فقال انه انف من مصاهرة الملك وقال يكفيه
بقر العراق فغضب واستدعى النعمان فقتله **هجين الغزال ارعن السبال**
طويل العنق والعلاوة مفرط الحمق والعناوة الهجين من الناس من في
نسبه هجنة اي قبح وكذلك المقرف وهو ان يكون احد ابويه قد دخل في
العبودية ويقال ان المقرف من قبل الاب والهجين من قبل الام
وتقول العرب فلان هجين القذال اي يتبين لؤم نسبه في قذاله و
القذال جماع الراس وخص القذال لان الذي يعرف لؤم نسبه اذا ولى
طاطا راسه حياء وذلا فكان اللوم يتبين من قذاله وقيل اكثره انهزاما
في الحرب الارعن والرعن الاحمق ماخوذا من الرعن وهو الاسترخاء
واما من الرعن بالتسكين وهو انف الجبل المائل فكان الاحمق مائل عن
الصواب وذكر بعض المفسرين ان المراد بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تقولوا راعنا هذا المعنى فانهم كانوا يقولونه للنبي صلعم على سبيل التهكم يقصدون

به رميته بالرعونة ويوهمون انهم يقولون راعنا اي احفظنا والسبال
جمع سبلة وهي شعرة الشفة العليا شبهت بسبل المطر لما فيها من التحدر
وخصت الرعونة بالسبال لانها علامة الرجل والمعنى ان هذه المراة
تسمعا عنك الاوصاف الجميلة واذا نظرت واخبرت فانت على
هذه الاوصاف الذميمة والعلاوة الراس ما دام على العنق يقال ضربت
علاوته ويقال في الفراسة ان طول العنق والراس من دلائل الحمق
جافي الطبع بطيء الاجابة والسمع بغيض الهيئة سخيف الذهاب
والجيئة ظاهر الوسواس كثير المعايب مشهور المثالب ضيق الانفاس
الجفا النبو والتباعد والاصل من جفا السرج عن الفرس اذا نبا والطبع
السجية وهو نقش النقش بصورة ما اما من جهة الخلقة او من حيث
العادة ماخوذ من طبع الدرهم اي تصوره بصورة ما وبطيء الاجابة يعني
تسمع الشيء على غير حقيقته ويجيب كذلك اما من البله والطرش ومن
مثل العرب يقولون سا سمعا فسا اجابة قاله سهيل بن عمرو وكان قد
تزوج صفية بنت ابي جهل فولدت له انس بن سهيل فخرج ذات يوم
وهو معه فوجده الاخنس بن شريق فقال من هذا قال ابني فقال
الاخنس حياك الله يا فتى فقال لا والله ما امي في البيت فقال ابوه اسا
سمعا فاسا اجابة وليس لهذا حكاية في الكرم عجيبة وذلك انه كان
اسلم بعد فتح مكة وسكن البادية الى انحضر اليرموك واستشهد وقيل انه

صريع من ربه وهو رجل وصوابا من دمشق فقال اسقني فاتاه بشربة من ماء فنظر
الى الحارث بن هشام وهو صريع ينظر اليه فقال اذهب اليه بالشربة
فلما اتاها ولهما رآى عكرمة وحاله فقال اذهب اليه بالشربة فذهب
بالشربة الى عكرمة فوجده قد مات فرجع بها الى الحارث فوجده ميتا
فرجع بها الى سهيل فوجده ميتا ومات الثلثة قبل ان يذوقوها و
الهيئة الحالة التي يكون عليها الشيء محسوسة كانت او معقولة وهي في المحسوسة
اكثر والسخف رقة العقل وقد سخف سخافة فهو سخيف والوسواس
الخطرات الردية من حديث النفس ماخوذ من وسواس الحلي وهو صوته
الخفي ودخل الحسن بن سهل على المامون وابرهيم بن المهدي عنده فاقترح
الحسن على ابرهيم ان يغنيه فغنى تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت
كما استعان بريح عشرق زجل   برص من وسواس كان في الحسن
والمثالب النقائص ماخوذ من ثلب الرمح اذا ثلم **كلامك تمتمة وحديثك**
غمغمة وبيانك فهفهة وضحكك قهقهة
التمتمة والغمغمة من معايب النطق المعدودة قال الجاحظ التمتمة التردد
في التاء والفافاة التردد في الفاء والعقلة التواء اللسان عند ارادة
الكلام والحبسة تعذر الكلام عند ارادته واللفف ادخال حرف في حرف
واللثغة تمنع الكلام فاذا جاء منه شيء اتصل وقيل التمتمة فيه واللثغة ان
يعدل بحرف الى حرف والغنة ان يشرب الحرف صوت الخيشوم والخنة اشد

منها والكلكنة ان يعترض الكلام حروف اعجمي والطمطمة ان يكون الكلام
شبيها بالعجمي والغمغمة ان يسمع الصوت ولا يبين تقطيع الحروف قال
ابو عبيدة كان رجل من المشركين يحدد حربته عند فتح مكة فقال له
امراته ما تصنع قال اعد الحربة لقتل محمد صلعم واصحابه فلما انهزمت المشركون قال

انك لو شهدت يوم الخندمة   اذ فر صفوان وفر عكرمة
واذ علتنا بالسيوف المسلمة   ضربا فما تسمع الا غمغمة

قال معوية يوما من افصح الناس فقال رجل من السماط قوم تباعدوا
من كشكشة تميم وتياسروا عن كسكسة بكر ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا
طمطمة حمير فقال معوية من اولئك قال قومي قال من انت قال رجل
من جرم قال الكشكشة تميم فان بني عمرو بن تميم اذا ذكرت كاف المؤنث

فوقفت عليها ابدلت منها شينا قال بعضهم

هل لك ان تنفعني فانفعش   وتدخلين اللذ معي في اللذ معش

يعني فانفعك واللذ معك وكسكسة بكر انهم يثبتون حركة كاف المؤنث
ويزيدون عليها سينا يقولون نفعتكس واعطيتكس والغمغمة لقضاعة
وقد ذكرت والفهفهة عي في النطق والقهقهة صفة الضحك الشديد
كان الضاحك يقول قه قه وهو مذموم في الانسان **ومشيك**
هرولة وغناك مسئلة ودينك زندقة وعلمك
مخرقة الهرولة ضرب من العدو وهو بين المشي والعدو وعتهنا

من المعايب لا فتى انه بذكر المسألة يعني انه سائل منهم سريع المشي لطلب
الكدية والزنادقة في الاصل الثنوية وذلك ان زرادشت المجوسي لما
ظهر ببلاد المشرق ودعا الى عبادة الاوثان لما رآى في تلك الاماكن من
البرد والثلج ورغب اهلها في النار انجوج وكان صاحب حيل وسحر
ويقال انه كان صحب شعيبا وكان يخبره بوقايع تقع ثم كفر ووضع كتابا
زعم انه انزل عليه مكتوبا بماء الذهب فصعبت عليهم قراءته فوضع له
شرحا سماه الزند ثم لما ظهر مزدك زاد في شرحه وفي اسم الكتاب
فقالوا ازندين ولما جاءت العرب قالت زنديق وسمي من مال الى هذا
المذهب اوقادته من الخروج من الشريعة زنديقا واكثرهم في الاسلام
نوع من الجهمية اصل اعتقادهم انه ليس ينبغي لاحد ان يثبت لنفسه ربا
لانه لا يمكنه الاثبات الا بالعين او الادراك بالحواس قالوا وما لا يدرك
فليس باله وما لا يدرك فلا ينبغي ان يدرك ويثبت وسلكوا هذه
الطريقة اتيان المحرمات وترك العبادات لانكارهم البعث وجحودهم
الشريعة وميلهم الى مذهب مزدك في اباحة النساء وان الناس كلهم سواء
فيهن ولذا التحيل في المنهمك في اللعب والبطالة الظاهر فيه زنديق وسئل
بعضهم عن الاصمعي فقالوا وباء يقع في البقورة والاغنام وقتل منهم المهدي
خلقا كثيرا وذلك انه رآى في المنام كان الكعبة قد مالت فدعمها هو وشخص
حتى قامت فلما انتبه سأل عن صفة ذلك الشخص الذي رآه في المنام فاتى

بزنديق يقال له حمدونه على الصفة فاستتابه فتاب وامره بتتبع الزنادقة
فانه كان يعرف عامتهم فدله على خلق كثير فقتلهم وكان جيد الفراسة فيهم
حتى انه مر بمؤذن مظهر للصلاح فسمعه يقول في الاذان اشهد ان
محمدا رسول الله صلعم فوقع في ظنه انه زنديق لانه لم يضم اللام فقبض
عليه وقرره فوجده زنديقا وكان يمتحنهم بمسائل مختلفة ويرى
لاكثرهم خرقة فيها صورة ماني وهي صورة سمجة غليظة الشافر فيأمره
ان يبصق عليها فيابى ويختار القتل دون ذلك فيقتل وكان اكثرهم
ثنوية والخرقة يتوصل الى حيلة باظهار الخرق الذي هو ضد الرفق
والتقدير ومنه الخراق شيء يلعب به كانه يخرج لاظهار الشيء بخلافه

مساوٍ لو قسمن على الغواني   لما امهرن الا بالطلاق

هذا البيت لابي تمام الطائي من ابيات يهجو بها خالد بن الاعمش

دع ابن الاعمش المسكين يبكي   لداء ظل منه في وثاق
لبئس الداء والداء استكنا   عليه من السماجة والحلاق
كحلت بقبح صورته فاضحى   لها انسان عيني السباق
مساو لو قسمن على الغواني   لما امهرن الا بالطلاق

يعني ان صفاته لو قسمت على الغواني وهن النساء اللواتي غنين بازواجهن
لم يعطين الازواج مهرا غير الطلاق بغضا فيهن ولاحقتهن لما اكتسبن
من المساوي والقبايح فتى ان باقلا موصوف بالبلاغة اذا قرنته

يعني باقل بن عمرو بن ثعلبة الايادي الذي يضرب به المثل في العي فيقال
اعيى من باقل قال ابو عبيدة بلغ من عيه انه اشترى ظبيا باحد عشر درهما
فلقيه شخص ومعه فقال بكم اشتريته ففتح كفيه وفرق اصابعه واخرج
لسانه يشير بذلك الى احد عشر فضرب الظبي والبلاغة بلوغ الدرجة التامة
في النطق والمعنى ان باقلا بالنسبة اليك بليغ وهبنقة مستوجب
لاسم العقل اذا اضيف اليك   يعني يزيد بن ثروان
احد بني قيس بن ثعلبة الملقب هبنقة والمكنى بابي الودعات لانه نظم
ودعا في سلكه وجعله في عنقه علامة لنفسه لئلا يضيع وهو جاهلي يضرب
به المثل في الحمق ومن اخباره انه كان اذا رعى غنما او ابلا جعل يختار المراعي
للسمان ونحى المهازيل وقال لا اصلح ما افسد الله ومنه اختصم اليه بنو راسب
وبنو طفاوة في شخص يدعونه فقال هبنقة ارموه في البحر فان رسب
فهو من بني راسب وان طفا فهو من بني طفاوة ومنها انه رآى مع الناس
جرادا فقال قد اقبل لا هولكم ما تري ومن مات اكثرها سويق واشترى له
اخوه بقرة باربعة اعنز فركبها فاعجبه عدوها فالتفت الى اخيه فقال له
زدهم عنزا فضرب بهذا المثل للمعطي بعد امضاء البيع ثم سار بها فرآى
ارنبا تحت شجرة ففزع منها وركض البقرة وقال

الله نجاني ونجى البقرة   من جاحظ العينين تحت الشجرة

وروي ان مالك بن مسمع قال للاحنف بن قيس ما نحا وهو يفتخر بالربيعية

على العرب الاحمق بكر بن وائل اشهر من سيد بني تميم يعني بالاحمق هبنقة
القيسي فقال الاحنف لتيس بني تميم اشهر من سيد بكر بن وائل يعني
بتيس بني حمان الذي يقال فيه اغلم من تيس بني حمان يزعمون انه نزا على
عنز بعد ان فريت اوداجه وطويسا مأثور عنه من الطاير اذا
قيس عليك اسم طويس عيسى بن عبد الله مولى بني مخزوم وكنيته ابو عبد
النعيم كان مخنثا ماجنا ظريفا يسكن المدينة وهو اول من غنى بها على
الدف بالعربية ويضرب به المثل في الشؤم وذلك انه ولد يوم قبض رسول
الله صلعم وفطم يوم مات ابو بكر وختن يوم قتل عمر وزوج يوم قتل عثمان
وكانت امه تمشي بالنميمة بين نساء الانصار وله اخبار تدل على
وفطنته حكي قال كان عبد الله بن جعفر معه جماعة له في عشية من عشايا
الربيع فراحت عليهم السماء بمطر جود اسال كل شيء فقال عبد الله هل لكم
في العقيق وهو متنزه اهل المدينة في الربيع والمطر فركبوا ثم اتوا
العقيق فوقفوا على سائلته وهو يرمي بالزبد فانهم لينظرون اذ جاءت
السماء فقال عبد الله لاصحابه ليس معنا جنة نجيء بها وهذه سماء
خليفة ان تبل ثيابنا فهل لكم في منزل طويس فانه قريب منا فنستكن
فيه ويحدثنا ويضحكنا قال وطويس في النظارة يسمع كلام عبد الله
بن جعفر مع اصحابه ولم يروه فقال عبد الرحمن بن حسان جعلت فداك
وما تريد من منزل طويس عليه غضب الله مخنث شائن لمن عرفه فقال عبد الله

لا تقل ذلك فانه خفيف لنا فيه انس فلما استوى فى طويس الكلام نهجل للمنزله فقال لامراته ويلك قد جاءك سيد الناس عبد الله بن جعفر فما عندك قال تذبح هذه العناق وكانت قد ربتها اللبن والخبز ذفاقا فبادر فذبحها وعجنت هى ثم خرج فتلقاه مقبلا اليه فقال طويس بابى انت وامى هذا المطر هل لك فى النزل فتسكن به الى ان تكف السماء قال اياك اريد قال فامض يا سيدى على بركة الله وجاء يمشى بين يديه حتى نزلوا فتحدثوا الى ان ادرك الطعام فاستاذنه عليه واتى بعناق سمينة ورقاق فاكل واكل القوم واعجبه طعامه ثم قال بابى انت وامى ما اغنيك فقال بلى فاخذ الدف وغنى به

يا خليلى نابنى سهدى لم تنم عينى ولم اكد كيف تلحونى
على رجل انس تلذه كبدى تطرب القوم

وقالوا والله احسنت فقال يا سيدى اتدرى لمن هذا الشعر قال لا قال هذا القارعة بنت حسان وهى تعشق عبد الرحمن بن الحارث المخزومى وتقول فيه فسكت القوم وضرب عبد الرحمن براسه فلو نقبت له الارض لذهب فيها وعلم عبد الله انه اقتص من عبد الرحمن ولطويس شعر كثير لا فائدة فى ذكره واليمن البركة وايامن الطير ما كانت العرب تتفال به للمسافر اذا ولاه الطير يمينه وهى خلاف الاشائم وفى الحديث اللهم لا طير الا طيرك

فوجودك عدم والاغتباط بك ندم والخيبة منك ظفر

والخيبة منك ظفر

قوله وجودك عدم مثل قول المتنبى

يا من يعز علينا ان نفارقهم وجداننا كل شىء بعدكم عدم

والغبطة حسن الحال وفى الحديث اللهم غبطا لا هبطا اى نسالك الغبطة ونعوذ بك ان نهبط عن حالنا والاغتباط تمنى حال المغبوط من غير ان يريد زوالها والخيبة فوت المطلوب الظفر الفوز ماخوذ من ظفر اى نشب ظفره فيه والجنة كل بستان ستر الارض بشجره ماخوذ من جن الشى اذا ستره قال الراغب وسميت الجنة اما تشبيها بما يرى فى الارض وان كان بينهما بون واما الستر النعم المشار اليها بقوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وسقر اسم علم للجحيم وهو من سقرته الشمس وصقرته اذا لوحته ولما كان السقر يقتضى التلويح قال الله تعالى وما ادراك ما سقر اى ان ذلك مخالف لما يعرف من سقر الشمس كيف رايت لؤمك لكفاء ضعتك لشرفى وقال اللوم الدناءة فى الاصل والاخلاق والكرم ضده والاكفاء الانظار ويستعمل فى المناكحة والمحاربة والضعة مقابلة الرفعة ماخوذ من وضعت الشىء اذا حططته والشرف علو القدر ماخوذ من شرف المكان وهو اعلاه والمعنى كيف تكون كفرا لى على شرفى وضعتك ولم جهلت ان الاشياء انما تنجذب الى اشكالها والطير انما تقع على الافها يعنى كيف جهلت انى انا اميل الى شكلى والفوق ست

من الشكالى والاوفى والكلمة الاولى منظومة من قول المتنبي وشبه الشيب
بنجذب الليل والكلمة الثانية منظومة في قول بعض العرب وعلى الامنا
الطير تقع قال الاصمعي كنت اسمع بهذا المثل فلم افهمه حتى رايت غرابا
تقع البقع مع البقع والسود مع السود الى ان رايت غرابا اعرج قد
سقط فجاء آخر مهيض الجناح فسقط عنده فعلمت ان المثل ما صنع
وهلا علمت ان الشرق والغرب لا يجتمعان وشعرت
ان المؤمن والكافر لا يتقاربان وقلت الخبيث والطيب لا يستويان
شعرت اى علمت علما دقيقا ماخوذ من دقة الشعر وتلميح من السجعة
الاولى قول امير المؤمنين علي ع الدنيا والآخرة كالمشرق والمغرب كلما
ازددت من احدهما قربا ازددت من الآخر بعدا ومن السجعة الثانية
قول النبي ع المؤمن اطيب من عمله والكافر اخبث من عمله ويدل على
ذلك لفظ القرآن العزيز في السجعة الثالثة **وتمثلت ايها المنكح**
الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان هذا البيت لعمر بن ابي
ربيعة المخزومي بقوله في الثريا بنت علي وقد تقدم ذكرها وسبب قوله
ان سهيل بن عبد العزيز بن طلحة قدم من الشام الى الطائف فتزوجها ورحل بها الى الشام

ايها المنكح الثريا سهيلا   عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت   وسهيل اذا استقل يماني

وانفقت له بموديه حسنه باسم النجمين والمقصدين وقوله عمرك الله يعني

سالت

سالت الله عمرك اى بعمرك والعمر والعمر واحد وانما خفض العمر بالقسم
واصل العمر من العمارة وهي عمارة البدن بالحياة **وذكرت انى علق**
لا يباع فيمن زاد وطائر لا يصيد من اراد وقصدك لا يقصد ام الامن
ذكرت عطف على قوله وهلا علمت والعلق الشيء النفيس الذي
يتعلق به صاحبه فلا يخرج عنه واللفظ ماخوذ من الشعر حيث يقول لحقان بن
التميمي كانت له فرس يسميها سكاب فاراد بعض ملوك اليمن اخذها منه فقال

ابيت اللعن ان سكاب علق   نفيس لا يعار ولا يباع
مفداة مكرمة علينا   يجاع لها العيال ولا تجاع
سليلة سابقين تناجلاها   اذا نسبا يضمهما الكراع
فلا تطمع ابيت اللعن فيها   فدون منالها الاشناع

والغرض الهدف المقصود بالرمي ثم صار اسما لكل غاية يتحرى ادراكها
ما احسبك الا قد تهيات للتمنية وترشحت للترفيه
سيتى طمعت بحصول القصد فانتظرت الهنا به والترشيح الاستعداد
للشيء ماخوذ من ترشيح الفصيل اذا قوي على المشي والترفيه والرفاهية
النعم والتوسع في العيش **لولا ان جرح العجماء جبار وللغنى من**
الكواعب ملاقي ياو جرح العجماء جبار لفظ الحديث والعجماء البهيمة
سميت بذلك لانها لا تعرب عن نفسها بالعبارة والجبار الدم الهدر
والمعنى عدم القصاص في جرح البهيمة وضرب به المثل لمن يستهان به والكواعب جمع

كاعب هي الجارية التي تكعّب ثدياها اي تبيّنا بالكعب ويسار اسم عبد و
هذا مثل معروف وسببه ان يسارا هذا كان عبدا اسود دميما وقيل
له يسار الكواعب لان الكواعب من النساء اذا رأينه ضحكن منه لقبحه
فكان يظن انهن يضحكن من عجبهن حتى نظرت اليه امرأة مولاه فضحكت
فظن انها خضعت له فقال لصاحب له اسود كان يكون معه في
الابل قد والله عشقتني مولاتي فلا ادنو منها الليلة ولم يكن يفارق
الابل فقال له صاحبه يا يسار اشرب لبن العشار وكل لحم الحوار واياك
وبنات الاحرار فقال له يا صاحبا انا يسار الكواعب ما هذه ما دانتني حرة
الا عشقتني فلما امسى قال لصاحبه احفظ علي الابل حتى انصرف اليك
فمناه فلم ينته حتى دخل على امرأة مولاه يريدها عن نفسها فقالت له
مكانك فان للحرائر طيبا اشمك اياه فقال لها هاتيه فاتته بطيب و
موسى حديدة فقطعته فاشتم الطيب ثم اخذت بالموسى على انفه
فقطعته وقيل وضعت تحته مجمرا وقطعت مذاكيره فصاح فقالت
صبرا على مجامر الكرام ثم خرج هاربا حتى اتى صاحبه ودمه يسيل فضرب
به المثل وقيل ان اسم المرأة منشم وانها التي ضرب بها المثل بقولهم
عطر منشم على احد الاقوال في ذلك **فما هم الا ببعض ما همت ولا تعرض**
الا لايسر ما تعرضت معنى ما طلب يسار من مولاته وتعرض
له الا دون ما تعرضت اليه يعني لانك اشرف من ذلك وانا اقل من ذلك وهمت

بالتي

بالتي اذا حملت طلبه هم نفسك وتعرضت للتي اذا وقعت عرضا في طريقه
اين ادعاؤك رواية الاشعار وتعاطيك حفظ السير والاخبار
اما ثاب اليك قول الشاعر

بنو دارم اكفاؤهم آل مسمع   وتنكح في اكفائها الحبطات

ثاب اليك اي رجع الى ذهنك وهذا البيت للفرزدق يقوله لرجل من بني
الحارث بن عمرو خطب الى بني دارم ودارم هو مالك بن حنظلة التميمي وهو
ابو مجاشع وبيته اكبر بيوت بني تميم وآل مسمع هم بيت بكر بن وائل في الاسلام
وهم من بني قيس بن ثعلبة والحبطات بنو الحارث بن عمرو بن تميم يجمعهم
البيت مع بني دارم وانما نقص قدر الحبطات عندهم لقول الشاعر فيهم

وجدنا الحبيب من شر المطايا   كما الحبطات شر بني تميم

فلزمهم هذا القول وقيل انما سمي الحارث حبطا لانه كان في سفر فاكل
اكلا فانتفخ منه بطنه فمات فسمي حبطا وغيره ابدا لك والحبط ان تاكل الماشية
فتكثر حتى تنتفخ بطونها ولا يخرج عنها ما فيها وذلك معنى قول النبي عم
ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا او يلم ومعنى قول الفرزدق ان بني دارم لا
ينبغي ان يخطب اليهم الا بنو مسمع لانهم اكفاؤهم في الشرف فاما الحبطات
فلا وذكر المبرد ان الرجل الخاطب اجاب الفرزدق فقال

اما كان عتاب كفيئا لدارم   ولا ولا ابيات بها الحجرات

عتاب احد آباء بني الحارث وقوله ابيات بها الحجرات يعني بني هاشم لقوله تعالى

ان الذين ينادونك من وراء الحجرات والفرزدق هذا هو همام بن غالب
بن صعصعة التميمي الدارمي الشاعر المشهور صاحب جرير ولقب الفرزدق
لجهامة وجهه لان الفرزدقة القطعة الضخمة من العجين وكنيته ابو فراس
وذكره الشريف المرتضى فقال كان الفرزدق مع تقدمه في الشعر و
بلوغه فيه الى الذروة العليا شريف الاباء كريم البيت وكان شيعيا
مائلا لبني هاشم ونزع في آخر عمره عما كان عليه من القذف والفسق وراجع طريقة
الدين على انه لم يكن في خلال ذلك مخلا حدث ابن عمران قال جاءنا
الفرزدق فتذاكرنا رحمة الله وسعتها فكان اوثقنا بالله تعالى فقال له رجل
الك هذا الرجاء والمذهب وانت تفعل ما تفعل فقال اترون لو اني اذنبت
الى ابوي الا انا يقذفاني في تنور وتطيب انفسهما بذلك قلنا لا بل كانا
يرحمانك فقال وانا والله برحمة الله اوثق مني برحمتهما وقيل انه كان
يخرج من منزله فيرى بني تميم والمصاحف في حجورهم فيفرح بذلك و
يقول ايه فدا لكم ابي وامي هكذا والله كان اباؤكم واستدل الشريف على
تشيعه بحكايته مع هشام بن عبد الملك وذلك ان هشاما حج في خلافة ابيه
فاراد ان يستلم الحجر فلم يتمكن من تزاحم الناس فجلس ينتظر خلوة فاقبل علي بن
الحسين عليهما السلام وعليه ازار ورداء وهو من احسن الناس وجها وبين عينيه
سجادة فجعل يطوف بالبيت فاذا بلغ الحجر تنحى الناس له هيبة واجلالا فغاظ
ذلك هشاما فقال رجل من اهل الشام من هذا الذي قد هابه الناس فقال هشام لا اعرفه

لئلا يرغب فيه اهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا لكني اعرفه وانشد

هذا ابن خير عباد الله كلهم — هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته — والبيت يعرفه والحل والحرم
يكاد يمسكه عرفان راحته — ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

فغضب هشام وامر بحبس الفرزدق بعسفان وفي ذلك يقول

ايحبسني بين المدينة والتي — اليها قلوب الناس يهوي منيبها
يقلب رأسا لم يكن رأس سيد — وعينا له حولاء باد عيوبها

وبعض الرواة يروي الابيات الميمية لابي الطمحان القيني والذي
يرويها للفرزدق يسند الحبس وقوله هذه الابيات ومات الفرزدق
بالبادية سنة عشر ومائة ومن اخباره المستطرفة دخل يوما على بلال بن
ابي بردة وهو امير على البصرة وعنده اصحابه فتنقصوا بني تميم ووضعوا اليمن
فقال الفرزدق لو لم يكن لليمن الا ابو موسى وما تولاه من خدمة رسول
الله لكفاهم فقال بلال ان فضائله كثيرة فما اردت منها فقال حجامته
اياه قال صدقت قد فعل ذلك وما فعله باحد قبله ولا بعده فقال
الفرزدق الشيخ كان اتقى لله من ان يقدم على نبيه بغير حذق فيجرب
عليه فامسك بلال وعجب الناس من حذقه في هذا التعريض ونظر يوما
الى ابن هبيرة وعليه ثياب تقعقع فقال ان ثيابه لتسبح اراد بذلك قول الشاعر

اذا لبست قيس ثيابا لزينة — تسبح من لؤم الجلود ثيابها

وكان قد هجا الازد فلما قدم يزيد بن المهلب البصرة قال لابن الجعد وكان
صديقا للفرزدق اني لاحب ان ياتيني الفرزدق فقال للفرزدق ماذا
يسوءك من يزيد اعظم الناس عفوا واسخاهم كفا قال صدقت ولكني اخشى
ان اتيه فاجد العانية بباته فيقوم اليه رجل منهم فيقول هذا الذي هجانا
فيضرب عنقي فيبعث اليه يزيد فيضرب عنقه ويبعث الى اهلي بديتي
فاذا يزيد قد صار ادنى العرب واذا الفرزدق قد ذهب فيما بين ذلك
لا والله لا افعل فقال يزيد اما اذا فطن لهذا فدعه الى لعنة الله وقيل ان
هذا كان مراده وسمع الفرزدق رجلا يقرأ والسارق والسارقة فاقطعوا
ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم قال الفرزدق
فاقطعوا ايديهما والله غفور رحيم لا ينبغي ان يكون هذا قيل له انما قال
والله عزيز حكيم فقال هكذا ينبغي ان يكون ثم اخذ نفسه بحفظ
القرآن بعد ذلك وسمع رجلا ينشد قول لبيد

وجلا السيول عن الطلول كانها ‖ زبر تجد متونها اقلامها

فسجد فقيل له ما هذا فقال موضع سجدة في الشعر كما تعرفون مواضع
السجود في القرآن وسمع راوية جرير ينشد قصيدته البائية فلما قال ابا
برص باسفل سكتيها وضع يده على عنفقته فانشد
كعنفقة الفرزدق حين شابا فقال علمت انه يقول هكذا فان شيطاننا
في الشعر واحد ومر يوما بقوم فيهم من الحزن فقال لما ذا قالوا النبيذ و

جدي

وجدي حينئذ وغناء الذين فقال وهل يأبى هذا الا ابن المراغة يعني
جريرا ثم نزل واستسقى الحكم بن المنذر ذات يوم لبنا فامر غلاما ان
يجعل في العقب خمرا ويحلب عليه لبنا ويسقيه فلما كرع حبل الخمر ينبع
من تحت اللبن فشرب وقال يا ابن الافعى انك ممن يخفي الصدقات
وبنو تميم الفقراء وقال ما الحمي الا نبطي من اهل بني قال انت فرزدق
الشاعر قلت نعم قال ان هجوت عرفت ذو حتى عيشوم قلت لا قال ففتوت
خادمك قلت لا قال فمن رجلي في عنقي في دم امك قلت ويلك فلم
نكت راسك قال حتى انظر ما تصنع وكان الفرزدق يقول لقد استراح
النبطي من حيث تعب الكرام ومن محاسن شعره قوله

تفرق عني ود بكر بن وائل ‖ وما خلت باقي ودها ينصرم
قوارص تأتيني وتحتقرونها ‖ وقد يملأ القطر الاناء فيفعم

وقوله

ان الذي سمك السماء بنى لنا ‖ بيتا دعائمه اعز واطول
بيت زرارة محتب بفنائه ‖ ومجاشع وابو الفوارس نهشل
ابن الذين بهم تساموا دارما ‖ ام من الى سلفي طهية تجعل
احلامنا تزن الجبال رزانة ‖ وتخالنا جنا اذا ما نجهل
فادفع بكفك ان اردت بناءنا ‖ ثهلان ذا الهضبات هل يتحلحل
الى ان تقفت عليك كل ثنية ‖ وسموت فوق بني كليب من عل

وقوله

ومستنبح طاوي المصير كانما ‖ يساوره من شدة الجوع اولق

دموت بحمراء الفروع كأنها   ذرى راية في جانب الجو تخفق

واني سفيه النار للمبتغي القرى   واني حليم الكلب للضيف يطرق

فاذا مت فابكيني بما انا اهله   فكل جميل قلته في يصدق

وكم قائل مات الفرزدق والندى   وقائلة مات الندا والفرزدق

كان الجاحظ يكثر التعجب والاستحسان لقوله سفيه النار وحليم الكلب وقوله

يذكرنا بني السماء كانه   اذا ارتفعا فوق النجوم التوائم

التي تظلم من غيرة في الهواء   وقد رزي الاقوام قبل بينهم

واخوتهم فاقتي حياء الكرائم   وما مات ابي والمنذران كلاهما

وعمرو بن كلثوم شهاب الاراقم   وما ابنك الا من بني الناس فاصطبر

فلن يرجع الموتى حنين المآتم   وقوله في الغانية التي اولها

عرفت باعشاش وما كدت تعرف   وانكرت من حدراء ما كنت تعرف

اذا اغبر آفاق السماء وكشفت   بيوت وراء الحي نكباء حرجف

واصبح مبيض الصقيع كانه   على سروات البنت قطن مندف

يروى البنب والبيت والبيت وافصحها البيت

ترى جارنا فينا يجير وان جنى   فلا هو مما ينطف الجار ينطف

وكنا اذا نامت كليب عن القرى   الى الضيف نمشي بالعبيط ونلحف

وقوله وهو احسن بيت قيل في الفخر ويقال انه غضبه من جميل

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا   وان نحن اومأنا الى الناس وقفوا

وانك

وانك ان تسعى لتدرك شأونا   لانت المعنى يا جرير المكلف

وقوله

لاخير في الحب لا ترجى نوافله   فاستمطروا من قريش كل منخدع

تخال فيه اذا خادعته بلها   عن ماله وهو وافي العقل والورع

وقوله يرثي جاريته ماتت حاملا

وجفن سلاح قد رزئت فلم انح   عليه ولم ابعث عليه البواكيا

وفي بطنه من دارم ذو حفيظة   لو ان المنايا انسأته لياليا

ارباب البديع يستحسنون قوله وجفن سلاح للكناية عن الولد و

يقولون انها كانت سوداء فانه ابدع في التشبيه وقوله

ويقول كيف يميل مثلك في الصبا   وعليك من سمة الحليم وقار

والشيب ينهض والشباب كانه   صبح بصيح بجانبيه نهار

قوله بصيح يعني يظهر يقال صاح الشجر بنفسه اذا طال كانه ينادي على نفسه

بالظهور وهلا عشيت لم تعتر وما اتلك اذ تكره وافد البراجم

في النسخة عسيت بالسين المهملة وهو خطأ لا يصح به المعنى يقال عسيت

ان افعل يعني قاربت ان افعل فلا يصح ان يقول قاربت ان تعتر و

الكلام يقتضي انه قد اعتر وانما هو عشيت اي رفقت وعشيت الابل و

عشيتها اذا اطعمتها عشاء وفي المثل عشي ولا تغتر واما وافد البراجم فهو رجل

عش من تميم والبراجم خمسة من اولاد حنظلة والعرب تضرب المثل بوافد

البراجم وذلك ان الملك عمرو بن هند نذر ان يقتل مائة رجلا من بني تميم

لثأر له عندهم وكان قد آلى أن يحرق منهم مائة فبينما هو يلتمس بقية المائة
إذ مر رجل من البراجم يسمى عمارا قادما من سفر فاشتم رائحة القتار فظن
أن الملك اتخذ طعاما فعدل إليه فقيل له ممن أنت قال من البراجم
فألقي في النار وقيل إن الشقي وافد البراجم ومن هنا لا تعير بنو
تميم بحب الطعام وسيأتي قصة عمرو بن هند في تسميته محرقا

أو من جاء بصحيفة المتلمس صحيفة المتلمس مثل للعرب يضرب
لمن يحمل له الشر من حيث النفع والمتلمس هو جرير بن عبد المسيح أحد بني
ضبيعة شاعر مجيد في شعراء الجاهلية وفد هو وابن أخته طرفة بن العبد
على عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة فجعلهما في خاصته حتى نادماه فبينما
طرفة يوما يشرب معه وفي يده جام من ذهب فيه شراب إذ أشرفت أخت
عمرو فرآها طرفة وقيل إنما رآها في الإناء فقال

ألا يا بأبي الظبي الذي يبرق شنفاه ولولا الملك القاعد قد ألثمني فاه

فسمعها عمرو واضطغنها عليه وأمسكها في نفسه ثم خرج عمرو يتصيد ومعه
عبد عمرو بن بشر وكان طرفة هجاه فرمى عمرو حمارا وقال لعبد عمرو انزل
فاذبحه فنزل إليه فعالجه فأعياه فقال عمرو عرفت طرفة حين يقول

فيا لك لا خير فيه غير أن له غنى وأن له كشحا إذا قام أهضما

فقال عبد عمرو وما هجاك به أشد قال وما هو قال قوله

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثا حول قبتنا تدور

ثم

ثم يقتل طرفة وخاف من هجاء المتلمس له وأن يجتمع عليه بكر بن وائل بعد
قتلهما ظاهرا فقال لهما يوما أظنكما قد اشتقتما الأهل قالا نعم فكتب لهما
كتابين إلى البحرين وقال إني قد كتبت لكما بصلة فاقبضاها من عامل البحرين
فخرجا من عنده والكتابان في أيديهما فرأيا شيخا جالسا على ظهر الطريق
مكشوفا يقضي حاجته وهو مع ذلك يأكل ويقلي فقال أحدهما لصاحبه
هل رأيت أعجب من هذا الشيخ فسمع الشيخ مقالته فقال ما ترى من عجبي
أخرج خبيثا وأدخل طيبا وأقتل عدوا وإن أعجب مني من يحمل حتفه بيده
وهو لا يدري فأوجس المتلمس في نفسه خيفة وارتاب في كتابه ولقيه
غلام من أهل الحيرة فقال له أتقرأ يا غلام قال نعم ففض كتابه فقرأه
فإذا فيه إذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وأصلبه حيا فأقبل على
طرفة فقال والله لقد كتب لك بمثل هذا فادفع كتابك إلى الغلام
يقرؤه فقال كلا ما كان ليجترئ على قومي بمثل هذا وأنا أقدم عليهم فأكون
أعز منه فألقى المتلمس صحيفته في نهر الحيرة وقال

رضيت لها بالماء لما رأيتها يجول بها التيار في كل جدول

ثم قال يخاطب طرفة

أطرفة بن العبد إنك حائن أباحتك الملك الهمام ترس
ألق الصحيفة لا أبا لك إنه يخشى عليك من الحباء النقرس

ثم مضى طرفة بكتابه إلى صاحب البحرين فقتله فقال المتلمس

عصاني فلاقى رمادًا وانما ... يبين من امر الغواني عواقبه

فاصبح محمولا على ظهر آلة ... تمج نجيع الجوف منه ترائبه

ولا تجعلنها يا الوك فوقها ... وكيف ثوى في ظهرها انت راكبه

ثم لحق بالشام وهجا عمرا وبلغه ان عمرا يقول حرم عليه حب العراق ان يطعم منه حبة ولئن وجدته لاقتلنه فقال

الست حب العراق الدهر اكله ... والحب يأكله في القرية السوس

اغنيت شاني فاغنوا اليوم شانكم ... واستحمقوا في مراس الحرب او كيسوا

قال ابو حاتم قرات هذه الابيات على الاصمعي فتصحف على فقلت اغنيت شاتي فقال الاصمعي قل فاغنوا اليوم تيسكم ومن جيد شعر المتلمس قوله (من قصيدة)

الم تر ان المرء رهن منية ... صريع لعافي الطير او سوف يرمس

فلا تقبلن ضيما مخافة ميتة ... وموتا بها حرا وجلدك املس

وقوله يصف البخل ويمدحه

لحفظ المال خير من فناه ... وضرب في البلاد بغير زاد

واصلاح القليل يزيد فيه ... ولا يبقى الكثير مع الفساد

وقوله

الى كل قوم سلم يرتقى به ... وليس الينا في السلام مطلع

ويهرب منا كل وحش وينتمي ... الى وحشنا وحش الفلاة فيرتع

وهو احسن ما ورد في المستنجات وقوله

ومستنبح تستكشط الريح ثوبه ... ليسقط عنه وهو بالثوب معصم

عوى في سواد الليل بعد اعتسافه ... لينبح كلب او ليفزع نوم

فجاوبه مستسمع الصوت للندى ... له عند اتيان المهبين مطعم

يكاد اذا ما ابصر الضيف مقبلا ... يكلمه من حبه وهو اعجم

اراك فعلت بك ما فعله عقيل ابن علفة بالجهني اذ اتاه خاطبا فدهن استه بزيت وادناه من قرية النمل

هو عقيل ابن علفة بن الحارث اليربوعي يكنى ابا العملس وامه عمرة بنت الحارث بن عوف المري وامها بنت يزيد بن حصن بن حذيفة بن شاعر من شعراء الدولة الاموية وكان اهوج جافيا شديد الغيرة والعجرفية والبذخ بنسبه وهو في بيت شرف في قومه من كلا طرفيه وكان لا يرى ان له كفؤا وكانت قريش ترغب في مصاهرته وتزوج اليه من خلفائها واشرافها وخطب اليه عبد الملك بن مروان بعض بناته لبعض ولده فاطرق ساعة ثم قال ان كان ولا بد فجنبني هجناءك فضحك عبد الملك بن مروان وعجب من كبر نفسه على [illegible] وشدة عيشه بالبادية وتزوج يزيد بن عبد الملك بعض بناته ودخل على عثمان بن حيان وهو امير المدينة فقال له عثمان زوجني بعض بناتك فقال البكرة من ابلي تعني فقال له عثمان المجنون انت قال اي شيء قلت لي قال قلت لك زوجني ابنتك فقال اكنت تريد بكرة من ابلي فتمم فامر به فوجئت عنقه فخرج وهو يقول

لحا الله دهراً ذعذع المال كله — وسود ابناء الاماء العوارك

وكان له جار جهني فخطب اليه ابنته فغضب عقيل واخذ الجهني فكتفه
ودهن استه بشحم وربطه وادناه من قرية النمل فاكل خصييه حتى
ورم جسده ثم حله وقال يخطب الي عبد الملك فارده وتجتري انت علي
ان تخطب الي ومما حكي عنه انه خرج هو وابناه جثامة وعملس واختهما
الجرباء حتى اتوا ابنة له فالكاني بعد مرجعهم بالشام ثم قفلوا لهم اذا كانوا ببعض الطريق قال عقيل

قضت وطرا من دير سعد وطالما — على عرض ناطحنه بالجماجم

ثم قال اجز يا جثامة فقال

واصبحن بالموماة يحملن فتية — نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم قال اجز يا عملس فقال

اذا علم غادرنه بتنوفة — تذارعن بالايدي لآخر طاسم

ثم قال يا جرباء اجيزي فقالت

كان الكرى سقاهم صرخدية — تدب دبيبا في العظام والقوائم

فقال عقيل شربتها ورب الكعبة ثم شد عليها بالسيف ليقتلها
فقال اخوها ما ذنبها انما اجازت شعراً فشد عليه فخذه شد
احدهم بسهم فوقع يتغلت في دمه ويقول

ان بني ضرجوني بالدم — من يلق ابطال الرجال يكلم
شنشنة اعرفها من اخزم — الشنشنة السجية واخزم فحل منجب

رجل

لرجل من العرب وقيل اخو حاتم الطائي ثم توجه وولده الى الطريق
فلما مروا ببني القين قالوا لهم هل لكم في جزور انكسرت قالوا نعم قالوا الزموا
اثر هذه الرواحل حتى تجدوا الجزور فخرج القوم حتى انتهوا الى عقيل
فاحتملوه وعالجوه الى ان برئ ولحق بهم وقد رويت الحكاية على هذا الوجه
وان المجروح بعض اولاده والذي عليه اكثر الرواة هذه وروي ان عمر بن
عبد العزيز رضي الله عنه عاتب رجلا من قريش امه اخت عقيل بن
علفة فقال له قبحك الله لقد اشبهت خالك في الجفاء فبلغت عقيلا
فرحل من البادية حتى دخل على عمر فقال له اما وجدت لابن عمك شيئا
تعيره به الا خؤولتي قبح الله شركما خالا فقال عمر انك لاعرابي جاف اما
لو كنت تقدمت اليك لادبتك والله ما اراك تقرا شيئا من كتاب الله
قال بلى اني لاقرا ثم قرأ انا بعثنا نوحا فقال عمر الم اقل انك لا تقرأ
فقال لم اقرأ فقال ان الله تعالى قال انا ارسلنا فقال عقيل

خذا بطن هرشى او قفاها فانه — كلا جانبي هرشى لهن طريق

فجعل القوم يضحكون من عجرفته ويعجبون منه وقدم عقيل المدينة فدخل
المسجد وعليه خفان غليظان فجعل يضرب برجليه فضحكوا منه فقال
ما يضحككم فقال له يحيى بن الحكم وكانت ابنة عقيل عنده وكان اميرا على
المدينة انهم يضحكون من خفيك وضربك برجليك وخفانك فقال لا
ولكنهم يضحكون من امارتك فانها اعجب من خفي وحكي ان يحيى بن الحكم حين

خطب ابنة عقيل بعث اليها جارية من عنده لتنظر اليها فغمزت الجارية
عضدها فرفعت يدها فدقت انف الجارية فرجعت الى يحيى
فقالت بعثتني الى اعرابية مجنونة فصنعت بي ما ترى فلما اتصلت
بيحيى قال لها ما للتي مع الجارية فقالت اردت ان يكون نظره الي
لا قبل كل ناظر فان كان حسنا كنت اول من رآه وان كان قبيحا كنت اول (اولى)
من واراه وبهاتين السجعتين يستشهد في التجنيس بقولها اول
راء واول واراه ومن جيد شعر عقيل يرثي ولده علفة

لعمري لقد جاءت قوافل خبرت   بامر من الدنيا علي ثقيل
لسقي المنايا حيث شاءت فانها   محللة بعد الفتى بن عقيل
فتى كان مولاه يحل بنجوة   فحل الموالي بعده بمسيل
كان المنايا تبتغي في خيارنا   لها ترة او تهتدي بدليل

وقوله يحرض قومه [illegible]

اذا ما هلكت فلم آتكم   فابلغ اماثل سهم رسولا
اذل الحياة وذل الممات   وكلا اراه وخيما وبيلا
فان لم اغير احدهما فسيروا   الى الموت سيرا جميلا
ولا تقعدوا وبكم منة   كفى بالحوادث للمرء غولا

وقوله وقد خطب اليه رجل كثير المال يغمز في نسبه فامتنع

لعمري لئن زوجت من اجل ماله   هجينا لقد حبت الي الدراهم

الجى

ابى لي يرضى الدنية انني   اذا دعانا لم تخنه الشكايا

ومتى كنت تلاقينا واتصل ترابنا فندعى لي اليك ما دعا
ابنة الخس لعبدها من طول السواد وقرب الوساد ابنة الخس هذه هي بنت الخس
والخص والخسف الايادي حكى ذلك الشريف المرتضى قديمة في الجاهلية
ادركت القلمس احد حكام العرب الذي يقال انه اول من وصل الوصيلة (صلة)
وسيب السائبة وتحاكمت هي واختها جمعة اليه في كلام لهما فقد حشر بابيات منها

اذا الله جازى منعما بوفائه   فجازاك عني يا قلمس بالكرم

وبعض الرواة يزعم انها ماتت في زمن النعمان عند هند ابنته و
يستشهد على ذلك بقول الفرزدق

وفيت بعهد كان منك تكرما   كما لابنة الخس الايادي

وفت هند وليس كذلك وانما يريد الفرزدق ان هندا هي التي وفت
لا بنا جمعة ابنة الخس لانها هند ابنة النعمان وكانت الخس قد زنت
بعبدها فلمت وقيل لها ما حملك على الزنا فقالت قرب الوساد و
طول السواد والسواد السرار يقال ساودته مساودة وسوادا اذا ساررته
وفي الحديث السواد من السحر والحق بعض الرواة فيقولها وحب السفاد
لان اباها كان منعها من الزواج ولها اسجاع كثيرة وشعر قليل وكانت تحاج
الرجال الى ان مر بها رجل فسألته المحاجات فقال لها كاد فقالت كاد
العروس يكون اميرا فقال كاد فقالت كاد المنتعل يكون راكبا فقال كاد فقالت

كاد البخيل يكون كلبا وانصرف فقالت له حاجتك فقال قولي
فقالت عجبت فقال عجبت للسبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها
فقالت عجبت فقال عجبت للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها
فقالت عجبت فقال عجبت لحفرة بين فخذيك لا يمل حفرها ولا يدرك
قعرها فخجلت وتركت المحاجات واسجاعها قيل لها اي الخيل احب اليك
قالت ذو الميعة الصنيع السليط التليع الاييد الضليع المسلب السريع فقيل
لها اي الغيوث احب اليك قالت ذو الهيدب المنبعق الاسحم المؤتلق
الصخب المنبثق فقيل لها اي الابور احب اليك قالت الذي اذا خفر و
اذا اخطأ قتر واذا اخرج مقر وقيل لها ما تقولين في المعزى قالت مويل
يشف الفقر من ورائه مال الضعيف وحرفة العاجز قيل لها فما تقولين
في الضأن قالت قرية لا حمى بها قيل فما تقولين في الابل قالت بخ جمال
ومال ومنى الرجال قيل فما تقولين في الخيل قالت حصون كانت لولا
يوم جزء قيل فما تقولين في الحمر قالت عار ستر الليل ومخزى المجلس لا لبن فيحلب
ولا صوف فيجز ان ربط عيرها دلي وان ترك ولي وقيل لها اي امر اعظم
في عينيك قالت من كانت لي اليه حاجة ومن شعرها

اشم كنصل السيف جرد مرجل | شغفت به لو كان شيء مدانيا
واقسم لو خيرت بين لقائه | وبين ابي لاخترت ان لا ابا ليا

دهل فقدت الاراقم فانكح في جنب الاراقم حي من بني تغلب وجنب حي

من اليمن وهذا اللفظ من جملة شعر المهلهل التغلبي وقد تقدم ذكره
كان قد هرب حين طالت عليه الحروب من اجل حرب البسوس فنزل له
فنزل في طريقه على حي من اليمن فخطبوا اليه ابنته فابى فساقوا المهر
وفيه جلود من آدم وغضب على الزوج فقال اعزز

اعزز على تغلب بما لقيت | اخت بني الاكرمين من جشم
انكحها فقدها الاراقم في | جنب وكان الحباء من ادم
لو بابنين جاء خاطبها | رمل ما انف خاطب بدم

اوعضلي هما من زمرة فاقول زوج من عود خير من قعود
عضل الولي المرأة اذا منعها من النكاح والعضل المنع الشديد مأخوذ
من عضل اللحم وزوج من عود قول احدى بنات همام بن مرة بن ثعلبة
كانت له اربع بنات وكن يخطبن اليه فيعرض ذلك عليهن فيستحيين
فلا يزوجهن وكانت امهن تقول له زوجهن فلا يفعل فخرج ليلة الى متحدث
لهن فاستمع عليهن وهن لا يعلمن فقلن تعالين نتمنى ولنصدق فقالت الكبرى

الا ليت زوجي من اناس ذوي غنى | حديث الشباب طيب الريح والعطر
طبيب بادواء النساء كأنه | خليفة جان لا ينيم على وتر

فقلن لها انت تحبين رجلا ليس من قومك فقالت الثانية

الا هل اراها مرة وضجيعها | اشم كنصل السيف غير مهند
لصوق باكباد النساء واصله | اذا ما انتمى من سر اهلي ومحتدي

فقالت الثالثة

الا ليته يملى الجفان بديّة ... لجفنة تشقى بها النيب والجزر
له حكمات الشيب من غير كبرة ... تشيب فلا الفاني ولا الضرع الغمر

فقلن لها انت تريدين رجلا شريفا قال وقلن للصغرى تمني فقالت
ما اريد شيئا فقلن والله لا تبرحين حتى نعلم ما في نفسك فقالت زوج
من عود خير من قعود فلما سمع ابوهن ذلك زوجهن فمكثن برهة ثم
اجتمعن عنده فقال للكبرى يا بنية ما مالكم قالت الابل قال فكيف تجدونها
قالت خير مال نأكل لحومها مزعا ونشرب ألبانها جرعا وتحملنا وضعفنا
معا قال فكيف تجدين زوجك قالت خير زوج يكرم الحليلة ويعطي الوسيلة
قال مال عميم وزوج كريم ثم قال للثانية ما مالكم قالت البقر قال فكيف
تجدونها قالت خير مال تألف الفناء وتملأ الاناء ونساء مع نساء قال فكيف
تجدين زوجك قالت خير زوج يكرم اهله وينسى فضله قال حظيت و
رضيت ثم قال للثالثة ما مالكم قالت المعزى قال فكيف تجدونها قالت
لا بأس بها نولدها فطما ونسلخها ادما فقال جدوى مغنية ثم قال
للرابعة يا بنية ما مالكم قالت الضأن قال كيف تجدونها قالت شر
مال جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن وامر مغويتهن تتبعن قال فكيف
تجدين قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال اشبه امرأ بعض بزه
وبعض الرواة يعزي هذه الحكاية الى ذي الاصبع وبناته

ولعمري

ولعمري لو بلغت هذا المبلغ لارتفعت عن هذه الحطة
ولا رضيت بهذه الخطة الحظ ارتفاع الشيء من
العلو والحطة الحدرة من الابل وهو المكان المنخفض والخطة الامر والقصة قال تأبط شرا
هما خطتا اما اسار ومنة ... واما دم والقتل بالحر اجدر
اراد خطتان فحذف النون استخفافا والمعنى انه لو عضلني همام وفقدت
الاداة وكنت كابنة الخس لما رضيت لنفسي بك ولو غت قدره غلب
فالنار ولا العار والمنية ولا الدنية بالنصب اي اختار النار والمنية
وبالرفع اي النار والمنية احب الي وقال العسكري في نحو قولهم الحرة تجوع
ولا تأكل بثدييها يعنون لا تكون الحرة ظئرا لقوم على جعل تأخذه
منهم فيلحقها عيب وكان اهل بيت ذوادة حضانا للولد وفي ذلك يقول حاجب
حضنا ابن ماء المزن وابني محرق ... فعابه الناس وقالوا اتى
يفتخر بالعاب غيره وذلك ان الظئر خادم والخدمة تضع ولا ترفع
والمثل للحارث بن سليل الاسدي اتى علقمة الطائي يخطب ابنته وبا
فقال لامها اريد ان تبيني ابنتك عن نفسها فقالت لها يا بنية اي الرجال
احب اليك الكهل الجحجاح ام الفتى الطماح قالت بل الفتى قالت ان الشيخ
يميرك والفتى يغيرك قالت يا اماه اخشى من الشيخ ان يبلي شبابي و
يشمت اترابي فلم تزل امها بها حتى زوجتها من الحارث فرحل بها الى قومه
فبينا هو جالس بفنائه وهي الى جانبه اذ اقبل شبان من بني اسد يعتلجون

فنفثت فقال ما لك فقالت ما لي وللشيوخ الناهضين كالفروخ فقال
ثكلتك امك تجوع المرأة ولا تأكل بثدييها اما وابيك لرب غارة شهدتها
وسبية اردفتها الحقي باهلك فلا حاجة لي فيك قال العسكري وليس
هذا الحديث موافقا للمثل وقال ابو عبيدة اصله ولا تأكل ثدييها
اي من الحسرة وليس هذا موافقا ايضا ولكنه حكي على ما قيل

فكيف وفي ابناء قومي منكح   وفتيان هزان الطوال الغرانقة

يعني كيف ارضى بهذا وفي قومي كثير من الاكفاء وهزان اسم قبيلة
والغرانقة الشباب وهذا البيت للاعشى الاكبر وهو اعشى بني قيس
من ابيات تاتي في آخر ترجمته واسمه ميمون بن قيس بن جندل من فحول
شعراء الجاهلية المقدمين وكان يقال اشعر الناس امرؤ القيس اذا ركب
وزهير اذا رغب والنابغة اذا رهب والاعشى اذا طرب وكان بعض الادباء
يقول الاعشى اشعر الاربعة فقيل له فاين الخبر عن رسول الله صلعم ان
امرأ القيس بيده لواء الشعر فقال بهذا الخبر صح للاعشى التقدم وذلك انه
ما من حامل لواء الا على راسه امير فامرؤ القيس حامل اللواء والاعشى
الامير وكان الاصمعي يقول ما مدح الاعشى احدا الا رفعه ولا هجاه الا
وضعه فمن ذلك انه مر باليمامة على المحلق بن حنتم الكلبي وكان خامل الذكر
وله بنات لا يخطبن رغبة عنهن فنزل عنده ونحر له المحلق ناقة لم يكن عنده
غيرها وسقاه خمرا فلما اصبح قال له الاعشى الك حاجة قال تشيد بذكري

فلعلي

فلعلي اشتهر فتخطب بناتي فمضى الاعشى الى عكاظ وانشد قصيدته
القافية التي يمدح بها المحلق ويقول فيها هذا لعمري

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة   الى ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها   وبات على النار الندى والمحلق

فما اتت على المحلق سنة حتى زوج البنات على مئتين الوف ومن ذلك
انه امتدح الاسود العنسي فاعطاه ذهبا وحللا فلما مر ببلاد بني عامر
خافهم على ما معه فاتى علقمة بن علاثة فقال اجرني قال اجرتك قال
من الانس والجن قال نعم قال ومن الموت قال لا فاتى عامر بن الطفيل
فقال اجرني فقال اجرتك قال من الجن والانس والموت قال نعم قال
كيف تجيرني من الموت قال ان مت في جواري بعثت الى اهلك بالدية
قال الآن علمت انك اجرتني ثم مدح عامرا وهجا علقمة فكان علقمة
يبكي اذا ذكر قوله

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم   وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

ويدعو عليه ان كان كاذبا يقول نحن نفعل بجاراتنا هذا وما زال منكر
الناس من هذا البيت وحكى ابي قال كان الاعشى كثير التطواف
فاصبح ليلة بابيات علقمة بن علاثة فلما نظر قائده الى قباب الادم
قال يا سوء صباحاه هذه والله ابيات علقمة وخرج فتيان الحي فقبضوا على
الاعشى واتوا به علقمة فلما مثل بين يديه قال اتدري لم اظفرني الله بك

بعيره ثم ولا عقل قال لا قال انقول ذلك على الباطل من غير جرم قال الاعشى لا
ولكن لبيد والله قد رحلت في فاطرق علقمة فاندفع الاعشى يقول

علقمُ قد صيّرت الامور اليك وما كان لي منكص
كفى لي نفسي فدتك النفوس ولا زلت تنمى ولا تنقص

فقال قد فعلت والله لو قلت في ما قلت في ابن عمي عامر لاغنيتك
ولو قلت في عامر ما قلت في ما اذاقك برد الحياة وحكى الاصمعي قال
وفد الاعشى على كسرى فانشده من شعره فسئل عن معنى قوله

ارقت وما هذا السهاد المؤرق وما بي من سقم وما بي معشق

فقيل انه سهر ما به عشق ولا مرض فقال كسرى هذا لص فان خرج ورحل
الاعشى آخر عمره الى النبي صلعم طالبا للاسلام وقد مدحه بقصيدته التي يقول منها

فآليت لا ارثي لها من كلالة ولا من وجى حتى تلاقي محمدا
متى ما تناخي عند باب ابن هاشم تراحي وتلقي من فواضله ندا
نبي يرى ما لا ترون وذكره اغار لعمري في البلاد وانجدا

فبلغ قريشا خبره فقالوا هذا صناجة العرب ما مدح احدا الا ارتفع قدره فرصدوه
على طريقه فقالوا له يا ابا بصير اين اردت قال صاحبكم لاسلم قالوا انه
ينهاك عن خلال كلها لك موافق قال وما هي قالوا الزنا قال لقد تركني الزنا
وما تركته قالوا والقمار قال لعلي اصيب منه عوضا قالوا والخمر قال اوّه
ارجع الى صبابة بقيت لي في المهراس فاشربها ثم ارجع فعاد الى رحله فلبث اياما

ثم رمى

ثم رمى به بعيره فقتله وزعم بعض الرواة ان الذي امره بالرجوع ابو جهل
وهو غلط فان الخمر لم تحرم الا بالمدينة بعد ان مضت بدر والصحيح ان
القائل عامر بن الطفيل واما قوله اغار لعمري في البلاد وانجدا
فقال العنزي حكى الفراء وحده اغار في معنى غار اذا اتى الغور واذا صح
هذا البيت من الاعشى فلم يرد بالاغارة الا ضد الانجاد وروى الاصمعي
روايتين احدهما ان اغار في معنى غدا عدوا شديدا والاخرى انه كان
يقدم ويوخر ويقول لعمري غار في البلاد وانجدا فياتي به على ذهاب في
القبض وكان ابن مسعدة يقول لعمري فيأتي به على استعمال الخرم في النصف
الثاني ويروى ان الاعشى كان يؤمن بالبعث والحساب ولذلك يقول

فما ابلى على هيكل بناه وصلب فيه وصارا
باعظم منك تقى في الحساب اذا النسمات نفضن الغبارا

وكان ابو عمرو بن العلاء يقول كان لبيد مجبرا وكان الاعشى عدليا وانشد للبيد

من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء اضل

وانشد للاعشى

استأثر الله بالوفاء وبالعدل وولى الملامة الرجلا

ومن محاسن شعره قوله في القصيدة النبوية

اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ان لا تكون كمثله فترصد للامر الذي كان ارصدا

وقوله يمدح اياس بن قبيصة

ولو ان عز الناس في رأس صخرة ململمة تعيي الأرحّ المخدّما
لأعطاك رب الناس مفتاح بابها ولو لم يكن باب لأعطاك سلّما

وقوله من قصيدة يمدح بها الاسود بن المنذر

ورب حزق من دوننا بحر السغد وميل يفضي الى اميال
وقليب اجن كان من الريش بارجائه سقوط نصال
لا تشكي الي وانتجعي الاسود اهل الندى واهل الفعال
ادبحي حلت بغلي له القوم ركود قيامهم للهلال
فرع نبع يهتز في غصن المجد عزيز اللها عظيم الجمال
عنده الحزم والتقى واسى الصدع وحمل لمضلع الأثقال
وهوان النفس العزيزة للذكر اذا ما التقت صدور العوالي
لا يزال من عصاك اصبح محروما وجد الذي يعطيك عالي

وقوله يمدح المحلق

اذا حاجة ولتك لا تستطيعها فخذ طرفا من غيرها حين تسبق
فذلك ادنى ان تنال جسيمها وللقصد ابقى في الامور واوفق
ابا مالك سار الذي قد صنعتم وانجد اقوام بذاك واعرقوا
وان عتاق العيس سوف يزوركم ثناء على اعجازهن معلق

يعني ان الحداة تحدو الابل بثناء الممدوحين فكانه معلق على اعجازها

وكم دون ليلى من عدو وبلدة وسهب به مستوضح الآل يبرق

وان

وان امرأ اسرى اليك ودونه سهوب وموماة وبيداء سملق
لمحقوقة ان تستجيبي لصوته وان تعلمي ان المعان موفق

يعني ان الموفق معان وهذا من القلب المستعمل في كلام العرب مثل قول الآخر او بلغت سواتهم هجر وعلى ذلك فسر بعض العلماء قوله تعالى خلق الانسان من عجل ان خلق العجل من الانسان

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار في يفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق
رضيعي لبان ثدي ام تحالفا باسحم داج عوض لا نتفرق

يعني ان المحلق والندى حليفان لا يفترقان كانا تحالفا على ذلك عند النار وفي قوله اسحم داج سبعة اقوال قيل هو الرماد كانوا يحلفون به وقيل الليل وقيل الدم فانهم كانوا يغمسون ايديهم فيه ويحلفون وقيل حلمة الثدي وقيل دماء الذبائح للاصنام وقيل الرحم وقوله رضيعي لبان ثدي ام واحدة مبالغة في الوصف بالكرم وعوض اسم صنم لبكر بن وائل وقيل من اسماء الدهر واصله ان يكون ظرفا تقول لا افعله عوض العائضين ودهر الداهرين ثم اكثروا حتى احلوه محل ما يقسم به ومن جعل عوض اسم الصنم لانه قال عوض قسما الذي

ترى الجود يجري ظاهرا فوق وجهه كما زان متن الهندواني رونق
نفى الذم عن آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق

يروى بجانبه الشيخ المراتع يعني ان المرتع الذي تعود الحضر وسلك البادية يكون حريصاً على مائه لانه لا يعرف مواقع المياه فتكون حاجته الى ما من اوان المياه ملازمة ابداً ويروى الشيخ بالجاء يعني الماء السائح من الرزق كذلك فافضل ماجيتنا اذ شتوا واقدم اذا ما امن الناس تفرق

واما الشعر الذي ذكر بسببه فيحكى انه تزوج امرأة من عنزة فلم يرضها فطلقها وقال

ايا جادتي بيني فانك طالقه كذاك امور الناس غاد وطارقه

وبيني حصان الفرج غير ذميمة وموموقة فينا كذاك ووامقه

وبيني فان البين خير من العصا والا ترى لي فوق راسك بارقه

مذوق فتى قوم فاني ذائق فتاة اناس مثل ما انت ذائقه

وكيف وفي ابناء قومك منكح وفتيان هزان الطوال الغرانقه

وبهذه الابيات استدل قوم على ان الطلاق في الجاهلية كان ثلاثاً لانه كرر قوله بيني في ثلثة ابيات وتمثل ابن زيدون في هذه الرسالة بالبيت الاخير واستعمل فيه نوع الاهتدام وهو تغيير قومك فجعلها قومي

ماكنت لاعتاض المسك بالرماد ولا امتطي الثور

بعد الجواد يعني ماكنت لادع الفتيان من قومي وارغب اليك وانت بالنسبة اليهم كالرماد الى المسك ولعله اشار بذلك الى رسالة لابي عثمان الجاحظ في ذكر الرماد والمسك فاما قوله امتطي الثور بعد الجواد فهو قول المتنبي في قصيدة

ومالا فتى

ومالاقى بلد بعدكم وما اعتضت من رب نعماى رب

ومن ركب الثور بعد الجواد انكر اطلافه والغبب

فانما تيمم من لم يجد ماء ورعى الهشيم من عدم الجميم وركب الصعب من لا ذلول له

الهشيم من النبات اليابس المتكسر والجميم النبت المقبل الذي طال ولم يبلغ النهاية والصعب ما لا يطيع والذلول ضده ومثلت بهذا القول عدم حاجتها اليه واستغنائها عنه بمن هو خير منه

ولعلك انما غرك من علمت صبوتي اليه وشهدت مساعفتي له من اقمار العصر ورياحين المصر الذين هم الكواكب علو همم والرياض طيب شيم العصر الدهر والمصر كل ممصود اي محدود والمراد بالاقمار هنا والرياحين وصف قوم بحسن الوجوه والاخلاق ومرادها بهذه الصفات التعريض بذكر ابن زيدون وامثاله ممن تصحبهم وتكاثر المكتوب اليه بمدحهم وذمه

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

يعني هؤلاء الموصوفين وهذا البيت من جملة ابيات منسوبة لرجل من العرب يسمى العرندس ويقال انه احد بني بكر بن كلاب يمدح بها بني عمرو الغنويين وكان ابو عبيدة اذا انشد ها يقول هذا والله محال

كلابي يمدح غنوياً يعني عداوة الحيين وهي

هيثون لبنون ابناء ذوو كرم ... سنوا بكر منا ابناء ايـاد

ان يسئلوا الخير يعطوه وان خبروا ... في الجهد ادرك منهم طيب اخباد

وان تودّدتهم لانوا وان شهموا ... كشفت اذمار شر اى اذماد

فيهم ومنهم يعد المجد متلدا ... ولا يعد ثنا خزى ولا عاد

لا ينطقون عن الفحشاء ان نطقوا ... ولا يمارون ان ماروا باكثاد

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ... مثل النجوم التى يسرى بها السارى

فمن قدح ليس منها ما انت وهم واين تقع منهم

قوله حن قدح مثل يضرب لمن ينتسب بقوم ليس منهم ويتمدح بما ليس فيه ويقال حن قدحا على التميز وقدح على اسناد الفاعل والقدح احد قداح الميسر وهى السهام التى توضع فى خريطة ويقترع بها فاذا كان احد القداح من غير جوهر اخواته ثم اجاله المفيض خرج له صوتا يخالف اصواتها فعرف به انه ليس من جملة القداح وتمثل به عمر حين امر رسول الله صلعم بقتل ابى عمرو بن امية يوم بدر فقال ابو عمرو اقتل من بين قريش صبرا فقال عمر حن قدح ليس منها يعنى انك لست من قريش ويروى ان اباعمرو كان عبدا وكان قد عمى وكان يقوده فتبناه

وهل انت الا واو عمرو فيهم وكالوشيظة فى العظم منهم

يعنى انك ستلحق بهم ولست منهم كزا واو عمرو الملحقة بلفظها وليست منه اولا من اثاره وهذا المعنى ابو نواس بقوله فى اشجع السلمى

ايها المدعى سليما سفاها ... لست منها ولا قلامة ظفر

انما انت من سليم كواو ... الحقت فى الهجاء ظلما بعمرو

ورأى انسان فى النوم كانه يكتب على ظفره واوا فقص رؤياه على معبر فقال رأى هذا المنام دعى فى نسبه وانشد هذا البيت من قول ابى نواس والوشيظة وهى قطعة عظم تكون زيادة فى العظم الصميم ومنه يقال فلان وشيظة فى قومه اى حشو فيهم وتمثل به الحسن بن على صلوات الله وسلامه عليهما فقال لعمرو بن العاص وقد تلقاه بكلام كرهه اليس من وهن الدين واماتة السنة ان يكون معوية بن شبيا وهو الطليق بن الطليق ويكون مثلك لى خصيما وانت ابن شانى رسول الله صلعم ثم وغلت فى قريش وانما انت فيهما كالوشيظة فى العظم

وانك واتما بلغت فعرنا بوتك وتجافيت عن بعض فوقنك وعطرت اردانك وجررت هميانك وجاء الاكتنان واختلفت فى مشيتك وحذفت فضول لحيتك

يعنى لانك تنزلت واظهرت الغنا والقرى يا تستفضله من قومك وعطرت اكمام ثيابك وجررت كمامك وما اشبهه قال الشاعر

يشد هميانه على عجم ... والهميان عنه عربى واختلت فى المشى اى اظهرت الخيلاء والكبر وقصصت ما استطال من لحيتك معتمدا للوضانة و النظافة

واصلحت شاربك ومططت حاجبك ورققت خط عذارك

واستأنفت عقد عذارك وجاء الاكتان فيمدى
طمعاً في الامتداد منهم فظننت مجرا

المطّ الذي كانه اذا تخايل بدهما والازار الطيلسان وما اشبهه والمعنى انك
انكت تصنع هذه الاشياء لتعد من هولاء القوم وتكتن بهم اي
تستر ما الاكتان ستر الشي ثوبا او غيره فقد جئت مع ظننت ظناً
عاجزاً وهذا اللفظ منظوم في قول الخنساء

ومن ظن ممن يلاقي الحروب ... بان لا يصاب فقد ظن عجزا

واسم الخنساء تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمي كانت من شواعر العرب
المعترف لها بالتقدم حكى الاصمعي قال كان النابغة الجعدي يجلس
في الموسم بعكاظ ويتحاكم اليه الشعراء فدخلت اليه الخنساء فانشدته قولها

وان صخراً لتأتم الهداة به ... كانه علم في راسه نار

فقال انت اشعر من كل ذات ثديين فقالت وكل ذي خصيين وقال بشار
لم تقل امرأة قط شعراً الا تبين الضعف فيه فقيل له او كذلك الخنساء
فقال تلك كان لها اربع خصى واكثر شعرها في رثاء اخويها معوية
وصخر وادركت الخنساء الاسلام واسلمت حكي ان عمر بن الخطاب نظر
اليها وفي وجهها ندوب فقال ما هذا يا خنساء قالت من طول البكاء
على اخوي قال لها اخواك في النار قالت ذلك اطول لحزني اني كنت ابكي
لهما من الثار وانا اليوم ابكي لهما من النار ودخلت عائشة على الخنساء صدار

من شعر

من شعر وهو ثوب صغير فقالت يا خنساء اتلبسين الصدار وقد نهى
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لم اعلم بنهيه ولهذا سبب فقالت وما هو قالت
زوجني ابي رجلاً متلافاً فاتلف ماله فاسرع فيه حتى نفد ثم في مالي حتى نفد
فقال لي الى اين يا خنساء قلت الى اخي صخر فلقيناه فقسم ماله بيننا
شطرين ثم خيرنا فقالت زوجته اما كفاك ان تقسم مالك حتى تخيرهم فقال

والله لا امنحها شرارها ... وهي حصان قد كفتني عارها
ولو هلكت مزقت خمارها ... وجعلت من شعر صدارها

فجعلت هذا الصدار تصديقاً لظنه ولا انزعه حتى اموت وحدث
علقمة بن جرير قال استوذن لجماعة على معوية وكنت فيهم فلما دخلنا
عليه اجلسنا واكلنا ثم قال يا علقمة هل عندك طريفة تحدثنا بها
قلت نعم اقبلت قبل مخرجي اليك اسوق شاء فاريد بحرها عند الحي
فادركني الليل بين ابيات بني الشريد فاذا عمرة ابنة مرداس عرس
وامها الخنساء بنت عمرو فقلت لهم انحروا هذه الجزور واستعينوا بها
وحلت معهم فلما اضيئت اذن لها فدخلنا فاذا هي جارية وضيئة
يعني عمرة واذا امها الخنساء جالسة ملتفة بكساء احمر وقد هرمت واذا
هي تلحظ الجارية لحظاً شديداً فقال القوم بالله عمرة الا تحرشت بها
فانها الآن تعرف ما انت فيه فقامت الجارية تريد شيئاً فوطئت على
قدمها وطأة اوجعتها فقالت وهي مغيظة حس اليك يا حمقاء والله لقد كانا

نطقن ان نزورها انا والله كنت اكرم منك عرسا واطيب ودسا وذلك
زمان اذ كنت فتاة اعجب الفتيان لا اذيب الشحم ولا ادعي البهم كالمهرة
الصنيع لا مضاعة ولا عند مضيع فعجب القوم من غيظها من ابنيها
فضحكت معوية حتى استلقى وماتت الخنساء في زمنه بالبادية ومن
محاسن شعرها قولها في رثاء اخيها

مركبا في نصاب غير خوار	فسوف ابكيك ما ناحت مطوقة
وما اضاءت نجوم الليل للسار	شد والمارد حتى يستقاد لكم
وشمروا انها ايام تشماد	وابكوا فتى الحي لا تقر منيته
وكل حي الى وقت ومقدار	وقوله قصيدة في المعنى
فاقسمت انسى على هالك	واسال نائحة ما لها
ابعد ابن عمرو من آل الشريد	حلت به الارض اثقالها

قولها حلت به الارض اثقالها يحتمل وجهين احدهما ان السيد الشجاع
ثقيل على الارض بسودده وسطوته فاذا مات حط بموته ثقل عنها.
والثاني ان الارض حلت به اموانها من الحلية وسميت الموتى ثقلا
للارض تشبيها بالحمل والحمل يسمى ثقلا وفي قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها
اي موتاها وقيل كنوزها

لعمر ابيك لنعم الفتى	تحش به الحرب اجذالها
وخيل تكدس مشي الوعول	نازلت بالسيف ابطالها

يهين

يهين النفوس وهون النفوس	يوم الكريهة ابقى لها
لدى مأزق بينهما ضيق	تجر المنية اذيالها
ومحصنة من بنات الملوك	تقعقع بالليل خلخالها
ونافية مثل حد السنان	تبقى ويهلك من قالها

ومنها

نطقت ابن عمرو فاوضحتها	ولم ينطق الناس امثالها
فان يك مر اودى به	فقد كان يكثر تقتالها

وقولها

وان صخرا لمولانا وسيدنا	وان صخرا اذا نشتو لنحار
وان صخرا لتأتم الهداة به	كانه علم في راسه نار
مثل الرديني لم تنفس شبيبته	كانه تحت طي البرد اسوار

وقولها

فما بلغت كف امرئ متناولا	من الناس الا والذي نلت اطول
وما بلغ المهدون للناس مدحة	وان اطنبوا الا الذي فيك افضل
اخو الجود معروف له الجود والندى	حليفان ما دامت تعار ويذبل

وقولها تمدح اخاها واباها

جارى اباه فاقبلا وهما	يتعاوران ملاءة الحضر
حتى اذا نزت القلوب وقد	لزت هناك العذر بالعذر
برقت صفيحة وجه والده	ومضى على غلوانه يجري
اولى فاولى ان يساويه	لولا جلال السن والكبر
وهما كانهما وقد برزا	صقران قد حطا الى وكر

تعني انما اكرح له عن السبق مع قدرته على المساواة معرفة بحقه وتسليما الكبره
وسنه وقيل لابي عبيد ان هذه الابيات ليست في مجموع شعر الخنساء
فقال العامة اسقط من ان يجاب عليها بمثل هذا ومن الشعر الذي ذكرت بسبب قولها

تعرقني الدهر نهشا وحزا   واوجعني الدهر قرعا وغمزا
وافنى رجالي فبادوا معا   فاصبح قلبي بهم مستفزا
كان لم يكونوا حمى يتقى   اذا الناس في ذاك من عز بزا
وخيل تكدس بالدارعين   وتحت العجاجة يجمزن جمزا
ببيض الصفاح وسمر الرماح   فبالبيض ضربا وبالسمر وخزا
جززنا نواصي فرسانهم   وكانوا يظنون ان لا تجزا
ومن ظن ممن يلاقي الحروب   بان لا يصاب فقد ظن عجزا

واحظات استك الحضرة هذا مثل يضرب لمن يطلب امرا
فيخطئه ولا يناله يحكى ان المختار بن ابي عبيد قال وهو بالكوفة والله
لادخلن البصرة ولا ابي دونها بكتاب ثم لادركن السند والهند
والبند انا والله صاحب الخضراء والبيضاء والمسجد الذي ينبع منه الماء
فلما بلغ هذا الحجاج بن يوسف قال اخطات است بن ابي عبيد الحفرة
انا والله صاحب ذلك كان الحجاج تمثل به والله لو كان لك محرق البردين
محرق هو عمرو بن المنذر بن ماء السماء وهو عمرو بن هند وكان يعرف
بامه هند بنت الحارث بن حجر اكل المرار الكندي وكان يقال لعمرو مضرط

الحجارة لشدة باسه وسمي محرقا القصة استوفى ابو الفرج شرحها في
كتاب الاغاني فقال كان قد عاقد احياء طي على ان لا ينازعوا ولا
يفاخروا ولا يغزوا ثم انه غزا اليمامة ورجع منفضا ومر بطي فقال له
زرارة بن عدس التميمي وكان من خواص ابيت اللعن اصب من
هذا الحي شيئا فقال ويلك ان لهم عقدا قال وان كان لهم بن ل بزحتى
اصاب نسوة واذوادا فقال في ذلك قيس بن وجرة الطائي

اذا ابن هند لم نفعك امانة   وما المرء الا عهده ومواثقه
فاقسمت جهدا بالاباطح من منى   وما خب في بطحائهن درادقه
لئن لم تغير بعض ما قد فعلتم   لا نتحين العظم ذو انت عارقه

فسمي عارقا لهذا البيت وبلغ الشعر عمرو بن هند له زرارة بن عدس
ابيت اللعن انه توعدك فقال عمرو لرميلة بن شعر الطائي اهجوني ابن عمك
وتوعدني قال لا والله ما هجا ولكنه قال

والله لو كان ابن جفنة جاركم   ما ان كسا كم ضيعة وهوانا وادا دون ميلة
ان يسل سجينه فقال والله لاقتلنه فبلغ ذلك عارقا فقال

ابو عدني والرمل بيني وبينه   تبين رويدا ما امامة من هند
عقدت لمجد كنانة اخذتنا   عليه وشر الشيمة الغدر بالعهد
وقد يترك الغدر الفتى وطعامه   اذا هو امسى خلة من دم الفصد

فبلغ عمرو بن هند قوله فغزا طيئا فاسر اسرى من بني عدي بن اخزم رهط

حاتم فوجد حاتم عليه وسئله في الأسرى فاطلقهم له وكان المنذر بن
ماء السماء اباعمرو قد وضع له ابنا صغيرا يقال له مالك عند زرارة
بن عدس وان مالكا خرج يوما يتصيد فاخفق ولم يجد شيئا فرجع فمر
بابل لرجل من بني عبد الله بن دارم يقال له سويد وكان عند
سويد ابنة زرارة فولدت له سبعة غلمة فامر مالك بن المنذر بناقة
سمينة منها فنحرها ثم اشتوى وسويد نائم فلما انتبه شد على مالك
بعصا فضربه فامته فمات وخرج سويد هاربا حتى لحق بمكة وكانت
طي تطلب عثرة من زرارة وبني ابيه حتى بلغهم ما صنعوا باخي الملك
فقال ثعلبة بن عمرو الطائي من يبلغ عمروا

بان المرء لم يخلق ضبارة وحوادث الايام لا يبقى لها الا الحجارة
ان ابن عمرة ام من بالسفح اسفل من اوارة   تسفي الرياح خلال كشحيه
وقد سلبوا ازاره   فاقتل زرارة لا ارى في القوم اوفى من زرارة

فلما بلغ هذا الشعر عمرو بن هند بكى وفاضت عيناه وبلغ الخبر زرارة
فهرب وركب عمرو في طلبه فلم يقدر عليه فاخذ امراته وهي حبلى
فقال اذكر في بطنك ام انثى قالت لا علم لي بذلك فبقر بطنها فقال
قوم زرارة لزرارة والله ما قتلت اخا الملك فاته فاصدقه الخبر فاتاه
فاخبره الخبر فقال ائتني بسويد فقال قد لحق بمكة قال فعلي بنيه فاتي
السبعة وامهم بنت زرارة فلمته بعضهم فوق بعض فامر بقتلهم فتناولوا

احدهم

احدهم فضربوا عنقه وتعلق بزرارة الآخرون فقال زرارة يا بعضوا ارى
بعضي فذهب مثلا وقتلوا وآلى عمرو بن هند ليحرقن من بني حنظلة
مائة رجل فخرج يريدهم وبعث على مقدمته عمرو بن ثعلبة الطائي فوجد
القوم قد انذروا فاخذ منهم ثمانية وتسعين رجلا بناحية البحرين
فحبسهم ولحقه عمرو بن هند فضربت قبته وامر لهم باخدود ثم
اضرم فيه نارا فلما احتدمت وتلظت قذف بهم فاحترقوا واقبل
راكب من البراجم وهم بطن من بني حنظلة لا يدري بشيء مما كان
فوضع به بعيره فاخذ والقي في النار واقام عمرو بن هند لا يرى احدا
فقيل له لو تحللت بامراة منهم فقد احرقت تسعة وتسعين رجلا فدعا
بامراة من بني حنظلة فقال لها من انت فقالت الحمراء ابنة ضمرة فقال
اني لاظنك اعجمية فقالت ما انا باعجمية ولا ولدتني العجم اني لبنت ضمرة
ابن جابر ساد معدا كابرا عن كابر فقال عمرو اما والله لولا مخافة ان تلدي
مثلك لصرفتك عن النار فقالت اما والذي اسأله ان يضع وسادك
ويخفض عمادك ما قتلت الا نساء اعاليها ثدي واسافلها حلي قال فاقذفوها
في النار فالتفت الا فتى يكون مكان عجوز فلما انطوى عليها قالت هيهات
حمما وسمي من ذلك اليوم محرقا ومن ملوك آل جفنة ايضا المحرق لكنه غير
صاحب البردين فاما امر البردين فيحكى ان الوفود اجتمعت عند محرق
فاخرج بردين من لباسه ليلبسوا الوفود وقال ليقم اعز الناس قبيلة فلياخذهما

فقال عامر بن لحيم فبأ خذهما فقال عامر بن لحيم فاخذها فاتزر بالواحدة وارتدى بالاخرى فقالت انت اعز العرب قبيلة قال العز كله في معد والعدد في معد ثم في نزار ثم في مضر ثم في خندف ثم في تميم ثم في سعد ثم في كعب ثم في بهدلة فمن انكر هذا فلينافرني فامسكت الناس فقال هذه عشيرتك كانت عم فكيف انت في نفسك واهل بيتك قال انا ابو عشرة واخو عشرة وعم عشرة وخال عشرة وها انا في نفسي وشاهد العز شاهدكم ثم وضع قدمه على الارض وقال من ازالها من مكانها فله مائة من الابل فلم يقم اليه احد وخرج بالبردين فضربت العرب بعزة المثل وبيرديه **وحلقتك مارية بالقرطين** القرط نوع ما يحلى به المراة اذنها ومارية هي بنت ظالم بن وهب الكندي زوجة الحارث الاكبر الغساني احد ملوك العرب بالشام وهي ام الحارث الاصغر وابنيها هند الهنود امراة اكل المراد وكان في قرطيها لؤلؤتان عجيبتان تتوارثهما الملوك ووصلتا الى عبد الملك بن مروان فوهبهما لابنته فاطمة لما زوجها لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فلما ولي عمر الخلافة قال لها ان احببت المقام عندي تصنعي القرطين والحلي في بيت مال المسلمين فوضعته فلما مات وولي يزيد بن عبد الملك ارسل اليها يقول خذي القرطين والحلي فقالت كلا والله ما اوافقه في حال حياته واخالفه بعد وفاته وروى الميداني ان مارية اهدت قرطيها الى الكعبة وهما درتان كبيضتي الحمام لم ير

مثلهما

مثلهما **وقلدك عمرو الصمصامة** هو عمرو بن معدي كرب بن عبد الله الزبيدي وكنيته ابو ثور الفارس المشهور صاحب الغارات والوقايع المذكورة في الجاهلية والاسلام وفد على رسول الله صلعم في السنة العاشرة من الهجرة قال عمرو قدمت المدينة فوافيت رسول الله صلعم قافلا من تبوك فاردت ان ادنو اليه فمنعني من حوله فقال دعوه فدنوت منه فقلت انعم صباحا ابيت اللعن فقال يا عمرو اسلم تسلم ويؤمنك الله من الفزع الاكبر فاسلمت وعاش عمرو الى ايام عثمان لا وابلى في وقايع الاسلام بلاء حسنا مثل وقعة القادسية وهو الذي ضرب خطم الفيل بالسيف فانهزم وانهزمت الاعاجم وكان سبب الفتح ومثل وقعة اليرموك وغيرها قال الخثعمي ما رايت اشرف من رجل رايته يوم اليرموك خرج اليه علج فقتله ثم آخر فقتله فانهزموا فتبعهم وتبعته ثم انصرف الى خباء له اسود فنزل فدعا بالجفان ودعا من حوله قلت من هذا قالوا عمرو بن معدي كرب الزبيدي وحدث ابن ابي حاتم قال مررنا يوم القادسية بعمرو بن معدي كرب وهو يحض الناس بين الصفين ويقول ايها الناس كونوا اشداء فانما شأن هذا الرجل من الاعاجم اذا القى مزراقه فانما هو تيس فبينا هو كذلك يحرضنا اذ خرج رجل من الاعاجم فوقف بين الصفين فرماه بنشابة فما اخطات سية قوسه كان منكبها فالتفت ثم حمل عليه فاعتنقه ثم اخذ بمنطقته فاحتمله فوضعه بين يديه وجاء حتى اذا دنا منا

كر عنقه ثم اخترط الصمصامة على حلقه فذبحه ونزع سواريه ومنطقته والقاه
وقال هكذا فاصنعوا بهم فقلنا من يستطيع يا ابا ثور ان يصنع كما تصنع و
حكى ابو عبيدة قال لما كان فتح القادسية اصاب المسلمون اموالا عظيمة
فعزل سعد بن ابي وقاص الخمس ثم قسم البقية فاصاب الفارس ستة
آلاف وبقي مال كثير فكتب الى عمر بما فعل فكتب اليه ان رد على المسلمين
الخمس واعط من لحق بك ممن لم يشهد الوقعة ففعل ذلك ثم كتب اليه
ان اعط ما بقي حملة القرآن فاتاه عمرو بن معدي كرب فقال له ما معك
من حفظ القرآن قال اني اسلمت ثم شغلت بالغزو عن حفظ القرآن
قيل ان بشر بن ربيعة فقال له ما معك من حفظ القرآن فقال
بسم الله الرحمن الرحيم فضحك القوم وقال سعد ما لك في هذا
المال نصيب فقال عمرو

اذا قتلنا ولا يبكي لنا احد | قالت قريش الا تلك المقادير
نعطى السوية من طعن له نفذ | ولا سوية اذ تعطى الدنانير

وقال بشر ابياتا فكتب سعد الى عمر بما قالا فكتب اليه اعطهما على بلائهما
فاعطاهما اربعة آلاف درهم وحكى المدائني قال كان عمرو بن معدي كرب
في سرية اميرها سلمان بن ربيعة فعرض الخيل فمر عمرو على فرس له فقال
سلمان هذا هجين فقال عمرو عتيق قال فامر به فعطش ثم دعا بتور من
ماء فقلب فيه ماء ودعا بخيل عتاق فشربت فجاء فرس عمرو فثنى يديه وشرب

وهكذا يصنع الهجين فقال له اترى فقال عمرو اجل الهجين
فبلغ عمر فكتب اليه قد بلغني ما قلت لاميرك وبلغني ان لك سيفا تسميه الصمصامة
وعندي سيف مصمم تالله لئن وضعته على هامتك لا اقلع حتى ابلغ به شراسيفك
فان سرك ان تعلم احق ما اقول فعد ويروى ان عمر رضه سأله يوما فقال
ما تقول في الحرب قال مرة المذاق اذا كشفت عن ساق فمن صبر عرف ومن
ضعف تلف قال فما تقول في الرمح قال اخوك وربما خانك قال فالنبل
قال فالنبل قال منايا تخطئ وتصيب قال فالترس قال عليه تدور الدوائر
قال فالسيف قال عندك ثكلتك امك فقال عمر بل امك فقال الحمى
اضرعتني لك فاغلظ له عمر في الكلام فقال

اتوعدني كانك ذو رعين | بانعم عيشة اوذي نواس
فلا تفخر بملكك كل ملك | يصير لذلة بعد الشماس

فقال عمر صدقت فاقتص مني قال بل العفو يا امير المؤمنين لولا آية سمعتها
منك لجللتك السيف اخذ منك ام تركه قال وما هي قال سمعتك تقرأ انه
من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى والله لو علمت اني
اذا دخلتها مت لفعلت وحكى ان عيينة بن حصن لما قدم الكوفة اقام
اياما ثم قال والله ما لي بابي ثور عهد فركب فرسا وسأل عن محلة بني
زبيد فارشد اليها وسأل عن عمرو فوقف ببابه ثم قال يا ابا ثور اخرج
الينا فخرج مؤتزرا كانما عجن وكسر فقال له انعم صباحا ابا مالك فقال اليس

بدلنا الله بهذا السلام عليكم فقال دعنا مما لا نعرف انزل فان عندي
كبشاً سميناً فنزل فعمد الى الكبش فذبحه ثم القاه في قدر وطبخه وجلسا
يتحدثان الى ان ادرك فثرده في جفنة عظيمة والقى القدر عليها وقعدا
فاكلاها ثم قال اي الشراب اليك اللبن ام ما كنا نتنادم في الجاهلية
قال اوليس الله حرمها في الاسلام قال انت اقدم اسلاماً ام انت
قال انا قال فقد سمعت ما بين دفتي المصحف فوالله ما وجدت لها تحريماً
الا انه قال فهل انتم منتهون فقال لا ثم جاء بنبيذ وجلسا يشربان
ويتحدثان ويذكران الجاهلية حتى امسيا فلما اراد عيينة الانصراف
قال عمرو ان انصرف ابو مالك بغير حباء انه لوصمة فامر له بناقة
ارحبية وحمله عليها ثم اتى بزود فيه اربعة آلاف درهم فوضعه بين
يديه فقال اما المال فوالله ما اخذه وانصرف وهو يقول

جزيت ابا ثور جزاء كرامة   فنعم الفتى المزدار والمتضيف

وقيل انه لم يكن في عمرو خصلة رديئة الا الكذب حكى ابو عمرو بن العلا
قال وقف عمرو يوماً بالمربد يتحدث على غاراته فقال اغرت في الجاهلية
على بني مالك فخرجوا مستعفين بخالد بن الصقعب فحملت عليه بالصمصامة
فاخذت راسه وكان خالد بن الصقعب حاضراً فقال بعض الجماعة مهلاً
ابا ثور ان قتيلك يسمع كلامك واشار اليه فقال اسكت انما انت محدث
فاسمع ثم التفت الى خالد فقال انما نرهب هذه العدة بهذه الاخبار ومضى

فحديثه

فحديثه فلم يقطعه فقال له رجل انك لشجاع في الحرب والكذب فقال
اني كذلك وحكى ابو عمرو بن العلاء قال جاء رجل الى عمرو وهو واقف
بالمربد على فرس له وقد اسن فقال لانظرن ما بقي من قوة ابي ثور فادخل
يده بين ساقه وجنب الفرس ففطن عمرو فضم رجله وحرك الفرس فجعل
الرجل يعدو مع الفرس لا يقدر ان ينزع يده حتى اذا بلغ منه صاح به فقال
يا ابن اخي ما لك قال يدي تحت ساقك فخلى عنه وقال ان في عمك
بقية بعد ومن كلامه حكي انه اتى مجاشع بن مسعود فقال اسالك
حملان مثلي وسلاح مثلي فامر له بعشرين جواداً وسيف صادم وعشرة
الف درهم من بني حنظلة فقالوا يا ابا ثور كيف رايت صاحبك فقال
لله بنو مجاشع ما اشد في الحرب لقاءها   واجزل في المكرمات عطاءها
واحسن في الكرمات ثناءها   ووالله لقد قاتلتها فما اجبنتها وسألتها
فما ابخلتها وهجوتها فما افحمتها ومن جيد شعره

ولما رايت الخيل زوراً كانها   جداول ماء ارسلت فاسبطرت
وجاشت الي النفس اول مرة   فردت على مكروهها فاستقرت
ظللت كاني للرماح دريئة   اقاتل عن احساب جرم وفرت
ولو ان قومي انطقتني رماحهم   نطقت ولكن الرماح اجرت

قوله اقاتل عن احساب جرم من الهجاء الممض وذلك انه ذكر ان جرما
فروا وليس منهم غيره انه يقاتل عنهم غضباً لهم وعصبية وقوله ولو ان

قوى انطقتنى سبنى لو قاتلوا وطاعنوا انطقت بدحهم ولكنهم فروا
فاسكتونى عن المدح والاصل فى الاجرار ان الفصيل اذا اراد ان ينطلق
شقوا لسانه فلم يقدر على الرضاع وقوله فى القصيدة التى اولها

اين ريحانة الداعى السميع ... يورقنى واصحابى هجوع
وقد عجبت امامة اذ راتنى ... تفرع لمتى شيب فظيع
اشاب الرأس ايام طوال ... وهم لا تنلعه الضلوع
وذهب كتيبة للقاء اخرى ... كان زهاءها راس صليع
واسناد الاسنة نحو نحرى ... وهز المشرقية والوقوع
فان تتبالنوائب آل عصم ... تجد حكماتهم فيها دفوع
اذا لم تستطع شيئا فدعه ... وجاوزه الى ما تستطيع
وصله بالزماع فكل شىء ... سما لك او سموت له ولوع

وقوله

يا ايها المتمنى جاهلا ... بنا ام لدت عبدا
ليس الجمال بمئزر ... فاعلم وان رديت بردا
ان الجمال معادن ... ومناقب اورثن مجدا
اعددت للحدثان ... سابغة وعداء علندا
وحسام ذى شطب ... يقد البيض والابدان قدا
كل امرئ يجرى الى ... يوم الهياج بما استعدا
لما رايت نساءنا ... يفحصن بالمعزاء شدا

وبدت

وبدت محاسنها التى ... تخفى وعاد الامر جدا
وازلت كبشهم ولم ... ار من نزال الكبش بدا
كم بند دون ذى واند ... ان لقيت بان اشدا
كم من اخ لى صالح ... بوأته بيدى لحدا
ذهب الذين احبهم ... وبقيت مثل السيف فردا

لو لم يكن له الا هذه القصيدة لاستحق بها التقدم على شعراء كثيرة

فاما الصمصامة فهو سيفه المشهور قال عبد الملك عمير اهديت
بلقيس الى سليمان عم خمسة اسياف ذو الفقار وذو النون ومخذم
ورسوب والصمصامة فاما ذو الفقار فانه كان لرسول الله صم
اخذه من منبه بن الحجاج يوم بدر ومخذم ورسوب للحارث بن
جبلة الغسانى وذو النون والصمصامة لعمرو بن معدى كرب
وحكى ان عمر بن الخطاب قال لعمرو ابعث الى الصمصامة فبعث به
اليه فلم يجده كما بلغه فقال له فى ذلك فقال انى بعثت اليك بالصمصامة
ولم ابعث اليك باليد التى تضرب به وحكى ابو عبيدة ان الصمصامة
انتقلت الى سعيد بن العاص وذلك ان خالد بن الوليد لما غزا بنى
زبيد وكان خالد بن سعيد العاص من جملة امرائه واوقع بهم واسر
ريحانة اخت عمرو بن معدى كرب ففداها خالد واثابه عمرو بن
الصمصامة ثم فقد يوم الدار فى مقتل عثمان ووجد ولم يزل الى ان صعد

المهدي البصرة فلما كان بواسط ارسل الى بنى العاص يطلب الصمصامة فقالوا انه في السبيل محبسا فقال خمسون سيفا قاطعا في السبيل اغنى من سيف واحد واعطاهم خمسين سيفا واخذه فلما صار الى الهادي حضره وامر الشعراء بوصفه فقال بعضهم من ابيات

حاز صمصامة الزبيدي عمرو ... من جميع الانام موسى الامين

ما يبالي من انتضاه لضرب ... اشمال سطت به ام يمين

ثم وصل الى المتوكل فدفعه الى غلام تركي يقال له باغر التركي فقتله به عند باغر انقطع خبره وحملك الحارث على النعامة النعامة فرس الحارث بن عباد التغلبي اكبر سادات بني وائل وهو الذي اعتزل حرب البسوس فقال لا ناقة لي فيها ولا جمل فلما قتل ولده نهض وقال

قربا مربط النعامة مني ... لقحت حرب وائل عن حيال

يعني هذه الفرس وتكرر قوله قربا مربط النعامة مني في ابيات كثيرة من هذه القصيدة وقد تقدم شيء من ذكره ويقال ان الفرس كانت لحرز بن لوذان وهي التي يقول فيها يخاطب زوجته

ان الرجال لهم اليك وسيلة ... ان ياخذوك تكحلي وتخضبي

وانا امرؤ ان ياخذوني عنوة ... اقرن الى سفط الركاب واجنب

ويكون مركبك القعود وحدجه ... وابن النعامة يوم ذلك مركبي

يعني انك ان اسرت كانت لك وسيلة عند الرجال من كحلك وخضابك

وان

وان انا اسرت جنبت الى جانب فرسي فاكون راكب ظلها قال ابو عبيدة النعامة فرس وانما ظلها وقال قوم انما عنى بابن النعامة عرقا في باطن القدم ولذلك يقال للميت شالت نعامته اي ارتفعت رجلاه وفي قولهم ان فرس الحارث بن عباد هي فرس حرز نظر فقد قيل ان حرزا بعد الحارث بزمان ماشكت فيك ولا سترت اباءك ولا كتمت الا ذاك يعني لو تحليت بهذه الذخاير لما تدلس على امرك ولا خفي على نسبك الذي اعرفه وهبك سامتهم في ذروة المجد او الحسب وجاوزتهم في غاية الظرف والادب

السامات المماثلة في السمو والذروة والذروة اعلى الشيء ومنه ذروة السنام والمجد التوسع في الكرم والجلالة واصل المجد من قولهم مجدت الابل اذا حصلت في مرعى كثير واسع والمجد هنا الراعي والحسب ما يعده الانسان من مفاخره وحسبه من مفاخر اباءه قال ابن الاعرابي الحسب والكرم يكونان في المرء وان لم يكن لهم اباء لهم شرف والظرف الكيس والادب جمع انواع من المحاسن ماخوذ من المادبة وهي الجمع على الطعام والدعاء اليه ومنه سمي الاديب الجامع لفنون كثيرة الست ناوي الى بيت قعيدته لكاع اذ كلهم عذب خالي الذرايع القعيدة امراة الرجل لانها مقاعدته

في بيته ولكاع اللئيمة النفس مبني على الكسر مثل قطام والعزب البعيد
عن الزوجة ماخوذ من العازب في طلب الكلا وهو المتباعد في
خالي الذراع مثل خالي اليد كناية عن الفراغ والمعنى هب انك
جامع المحاسن الست متى وجاً وكل من شئت من هؤلاء القوم
الذين يختارون صحبتي عزب فكيف فضلك عليهم وقوله
بيت قعيدته لكاع   نصف بيت من شعر الحطيئة وهو
اطوف ما اطوف ثم آوي   الى بيت قعيدته لكاع
واسم الحطيئة جرول بن اوس بن مالك العبسي والحطيئة لقب
وقع عليه قيل لقصره من الارض وقيل لانه ضرط يوما فقيل له ما هذا
فقال انما خطأت خطيئة وكان من اكبر الشعراء المخضرمين في الجاهلية
والاسلام والغالب على شعره الهجا وكان دني النفس والهمة قدم المدينة
فتشاور اشرافها بعضهم الى بعض وقالوا قدم علينا هذا الرجل وهو شاعر
والشاعر يظن فيحقق فيأتي الرجل منكم فان اعطاه جهد نفسه وان
حرمه هجاه فاجمع رأيهم على ان يجعلوا له شيئا بينهم فجمعوا له اربعمائة
دينار ودراهم فقالوا هذه صلة آل فلان وآل فلان فاخذها وظنوا
انهم كفوه عن المسألة فاذا هو يوم الجمعة قد استقبل الامام قائلا من
يحملني على نعلين وقاه الله كبة جهنم وحكى ابو عبيدة قال مضى الحطيئة
الى عبيد بن النماس فسأله فقال ما انا على عمل فاعطيك ولا في مالي فضل

عن قومي فقال له ولا عليك ثم انصرف فقال بعض قومه عرضتنا ونفسك
للشر فقال كيف قالوا هذا الحطيئة وهو هاجينا اخبث هجاء قال ردوه
فردوه اليه فقال كتمتنا نفسك كانك تطلب التماسك علينا اجلس فلك
عندنا ما يسرك فجلس فقال له من اشعر الناس قال الذي يقول
ومن يجعل المعروف من دون عرضه   يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
فقال عبيد هذا والله من مقدمات افاعيك ثم قال لوكيله اذهب به
الى السوق فلا يطلب شيئا الا اشتريته فجعل يعرض عليه الحرير والرقيق من
الثياب فلا يريدها ويعرض الاكسية الغلاظ والكرابيس فيشتريها
ثم مضى فلما جلس عبيد في نادي قومه اقبل الحطيئة ثم قال
سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا   فسيان لا ذم عليك ولا حمد
ثم ركض فرسه وحكى دعبل ان الزبرقان بن بدر كان عاملا على صدقات
قومه فورد في سنة مجدبة على عمر بن الخطاب ليؤدي ما اجتمع من الصدقة
فلقي الحطيئة ومعه زوجته وبناته فقال له الزبرقان فقد عرفه ولم
يعرفه الحطيئة اين تريد قال العراق فقد حطمتنا هذه السنة قال وما
تصنع قال وددت ان اصادف بها رجلا يكفيني مؤنة عيالي واصفيه
مدحي ما حييت فقال له الزبرقان فهل لك فيمن يوسعك لبنا وتمرا
ويجاورك احسن جوار فقال الحطيئة هذا وابيك العيش فقال قد اصبته
قال عند من قال عندي قال ومن انت قال الزبرقان بن بدر قال وأين

محلك قال اركب هذه الابل واستقبل مطلع الشمس واسئل عن القريه
الزبرقان فانه من اسماء القمر وسمى به لحمرته وسر الى ام هند بنت صعصعة
سيتى زوجته فتفعل ما اكرمته المراة فبلغ ذلك بغيض بن عامر بن شماس
وكانوا ينافسون الزبرقان فارادوه على جوارهم فابى فدسوا الى المراة
الزبرقان انه يريد ان يتزوج مليكة ابنة الحطيئة وكانت جميلة فقصرت
فى حق الحطيئة وظهر له منها الجفاء فانتقل الى شماس فضربوا له قبة
وربطوا بكل طنب حلة واراحوا عليه ابلهم وكسوه فورد الزبرقان
فقال ردوا على جارى فابوا وكاد يكون بينهم حرب فقال اهل الحى
بينهم خيروه ففعلوا ذلك فاختار بغيضا وصار يمدحهم وهم يطلبون منه
هجاء الزبرقان فيمتنع الى ان ارسل الزبرقان الى رجل من النمر فهجا بغيضا
فحينئذ قال الحطيئة يهجو الزبرقان ويناضل عن بغيض

والله ما معشر لاموا امرءا جنبا   فى آل لاى بن شماس باكياس
لما بدا لى منكم غش انفسكم   ولم يكن لجراحى منكم اسى
ازمعت ياسا مبينا من نوالكم   ولن ترى طاردا للحر كالياس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فانك انت الطاعم الكاسى
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه   لن يذهب العرف عند الله والناس

فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب فقال له عمر ما ارى هجوا ولكنه معاتبة
فقال الزبرقان الا تبلغ مروتى الا ان اكل والبس فقال عمر كرم على

بحسان فجئ به فسأله فقال ما هجاه ولكن سلح عليه بعد ان اكل الشبع فامر
عمر رضى الله عنه بقطع لسان الحطيئة ليرعبه فقال يا امير المؤمنين والله لقد
هجوت ابى وانى [ابى وامى] وزوجتى ونفسى فضحك عمر رضى الله عنه وقال ما قلت فى ابيك قال قلت
ولقد رايتك فى النساء فسؤتنى   وابا بنيك فساءنى فى المجلس
وقلت فى زوجتى
اطوف ما اطوف ثم آوى   الى بيت قعيدته لكاع
وقلت فى نفسى
ارى لى وجها قبح الله وجهه   فقبح من وجه وقبح حامله
فامر به عمر رضى الله عنه فحبس فى بئر وغطاه فقال
ماذا تقول لافراخ بذى مرخ   حمر الحواصل لا ماء ولا شجر
القيت كاسبهم فى قعر مظلمة   فاغفر عليك سلام الله يا عمر
فاخرجه وقال اياك وهجاء الناس قال اذن يموت عيالى جوعا فقال اياك
والمقذع قال وما هو قال ان تخاير بين الناس قال انت والله اهجى منى
فلم يزل الزبرقان يشفع فيه حتى اطلق ثم اشترى منه عمر بن الخطاب رضى الله عنه اعراض الناس بثلثة
آلاف درهم ولم يزل مقيما بالبادية الى ان توفى فى خلافة عمر رضى الله عنه ولما
حضرته الوفاة قالوا له يا ابا مليكة اوص فقال ويل للشعر من راوية
السوء قال اوص يرحمك الله قال ابلغوا اهل امرئ القيس انه اشعر
اشعر الناس بقوله فيا لك من ليل فقالوا اوص فقال

الشعر صعب وطويل سلمه   اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به الى الحضيض قدمه   قالوا لك حاجة قال لا ولكن انشى
على المدح الجيد يمدح به من ليس له اهلا قالوا اتوصي الفقراء بشيء
قال بالالحاح في المسئلة فانها تجارة لن تبور واست المسئول
اضيق ثم مات ومن محاسن شعره قوله

جزى الله خيرا والجزاء بكفه   على خير ما يجزى الرجال بغيضا
فلو شاء اذ جئناه ضن فلم يلم   وصادف منا في البلاد عريضا

هذا معنى حسن غريب يقول كثرت محاسنه فاستغنى ان يكثر مادحيه
وانه لو منع واساء واحسن لكانت له في البلاد حسنات كثيرة
تكفيه ولا يصدق هاجيه وقوله

فتى غير مفراح اذا الخير مسه   ومن نكبات الدهر غير جزوع
كثير الندا ان تأته بصنيعة   الى ماله لم تأته بشفيع

وقوله في ابي موسى الاشعري

وجحفل كسواد الليل منتجع   ارض العدو ببوس بعد انعام
من كل اجرد كالسرحان ابرزه   مسح الاكف وسقي بعد اطعام
مستحقبات رواياها جحافلها   يسمو بها اشعري طرفه سامي

الروايا الابل التي تحمل الاثقال تجنب الخيل اليها فتضع جحافلها على
اعجاز الابل مكان الحقائب لطولها فكانها مستحقبة لها وكان الحطيئة

قد سئل

قد سئل ابا موسى ان يكتبه في الجيش فقال تمت العدة فقد صحبته العقدة
فكتبه فبلغ عمر ذلك فلامه فقال ان له نسبا يرضى منه فقال الحطيئة وقوله

وفتيان صدق من عدي عليهم   صفائح بصرى علقت بالعواتق
اذا ما دعوا لم يسألوا من دعاهم   ولم يمسكوا فوق القلوب الخوافق

وقوله

سيري امام فان المال يجمعه   سيب الاله واقبالي وادباري
تسري الى ضوء احساب اضأن لنا   كما اضاءت نجوم الليل للساري

وقوله

انت آل شماس بن لاي وانما   اتاهم بها الاحلام والحسب العد
اقلوا عليهم لا ابا لابيكم   من اللوم او سدوا المكان الذي سدوا
اولئك قوم ان بنوا احسنوا البنا   وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا شدوا
وان كانت النعمى عليهم جزوا بها   وان انعموا لا كدروها ولا كدوا
وان قال مولاهم على جل حادث   من الدهر ردوا فضل احلامكم ردوا
مطاعين في الهيجا مكاشيف للدجى   بنى لهم اباؤهم وبنى الجد
وتعذلني ابناء سعد عليهم   وما قلت الا بالذي علمت سعد

واين من انفرد به من لا يغلب الا على الاقل الاحسن منه

هذا تفسير لما تقدم من الكلام فالذي تفرد به الغرب والذي تغلب
على الاقل منه المزوج والغلب الاستيلاء على الشيء كانها لا تستولي الا
على ما فضل من زحمته وكم بين من يعتمد بالقوة الظاهرة و
السموم الوافرة والنفس المرهفة الى واللذة الموقوفة على

كل هذه الالفاظ كناية عن كثرة النكاح العجب للنساء حكى بعض
الغزاة مع قتيبة قال لما فتحنا بلدا من الروم سبيت امرأة منهم
فواقعتها في ليلة سبع مرات فقالت اكل العرب تفعل هذا قلت
نعم قالت صدقت بهذا الفعل نصرتم علينا وبين اخو قد نضب
غديره ونحت نبله وذهب نشاطه ولم يبق الا
ضداطه الكلام معطوف على ما قبله وهذه الالفاظ
كناية عن عجز الرجل عن النكاح اذا شاخ وضعف وهو مأخوذ من
قول بعض العرب وقد اسن وسئل عن حاله فقال ذهب مني الاطيبان
الجماع والنوم وبقي الارطبان السعال والضراط وهل تجمع لي
فيك الا الحشف وسوء الكيلة يعني لو وصلتك لاجتمع علي سوء
منظرك وسوء مخبرك وهذا مثل للعرب تضرب في الخلتين السيئتين
يجتمعان ويقال انه لعمرو بن معدي كرب والحشف اردى التمر والكيلة
فعلة من الكيل وهي تدل على الهيئة نحو الجلسة والركبة ويقترن
بك على الا الغدة والموت في بيت سلولية هذا مثل آخر
في معنى الاول وقائله عامر بن الطفيل عند ما توعد رسول الله صلعم
فدعا عليه وقال اللهم اكفني عامرا بما شئت فظهرت في رقبته غدة
مات منها في بيت امرأة من سلول وجعل يقول غدة كغدة البعير وموت
في بيت سلولية وقد تقدم لحا الله يا اسلم بن عمرو اذل الحرص اعناق الرجال

هذا البيت

هذا البيت لابي العتاهية واسمه اسمعيل بن القاسم بن سويد مولى عنزة
ومنشاه الكوفة وهو من الثلاثة المطبوعين الذين لا يقدر على جمع
شعرهم لكثرته بشار والسيد الحميري وابو العتاهية كان اول امره
يبيع الجرار على رأسه ثم تولع بالنظم وكان فيه من العجائب قيل له كيف
تقول الشعر قال ما اردته قط الا تمثل لي فاقوله واني ارضى واكثر
شعر ابي العتاهية في الزهد وكان قد تنسك وتزهد الى ان مات قال
احمد بن الحارث كان مذهب ابي العتاهية القول بالتوحيد وان الله تعالى
خلق جوهرين متضادين لا من شيء ثم ان الله تعالى بنى العالم هذه البنية
منهما وان العالم حديث العين والصنعة لا محدث له الا الله وكان
يزعم ان الله سيعيد كل شيء الى الجوهرين المتضادين قبل ان تفنى الاعيان
جميعا وكان يقول بالوعيد وبتحريم المكاسب ويتشيع على مذهب
الزيدية ولا ينتقص احدا ولا يرى الخروج على السلطان وكان مجبرا حدث
الجاحظ قال ابو العتاهية لثمامة بن اشرس بين يدي المأمون
وكان كثيرا ما يعارضه بقوله من الاجبار اسئلك عن مسئلة فقال له
المأمون عليك بشعرك فقال ان رأى امير المؤمنين ان يأذن لي في
مسئلته ويأمره باجابتي فقال اجبه اذا سئل قال انا اقول ان ما يفعله
العباد من خير وشر فهو من الله وانت تأبى ذلك فمن حرك يدي هذه
وجعل ابو العتاهية يحركها فقال له ثمامة حركها من امه زانية فقال شتمني

والله يا امير المؤمنين فقال ثمامة ناقص الآخر بنظر امة فضحك المأمون
وقال لم اقل لك تشتغل بشعرك وتدع ما ليس من عملك قال ثمامة
فلقيني فقال لي يا ابا معن اما اغناك الجواب عن السفه فقلت ان
اتم الكلام ما قطع الحجة وعاقب على الاساءة وشفى الغيظ وانتصر من
الجاهل وحدث ابو شعيب صاحب ابن ابي داود قال قلت لابي
العتاهية القرآن عندك مخلوق او غير مخلوق قال سألتني عن الله او
عن غير الله قلت عن غير الله فامسك فاعدت عليه فاجابني هذا
الجواب حتى فعل ذلك مرارا فقلت ما لك لا تجيبني قال قد فعلت
ولكنك حمار وحدث ثمامة بن اشرس قال كان ابو العتاهية شديد
البخل فانشدني ذات يوم ابياتا في ذم البخل يقول فيها

الا انما مالي الذي انا منفق ... وليس لي المال الذي انا تاركه

فقلت له من اين اخذت هذا القول قال من قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليس لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت
او اعطيت فامضيت فقلت له اتؤمن بهذا القول انه الحق قال نعم
قلت فلم تحبس عندك اكثر من عشرين بدرة لا تأكل منها ولا تنفقها
ذخرا ليوم فاقتك فقال يا ابا معن والله ان ما تقول هو الحق ولكني
اخاف الفقر والحاجة الى الناس قلت وبم يزيد حال من افتقر على حالك
وانت دائم الحرص والجمع والشح على نفسك لا تشتري اللحم الا من عيد الى عيد

فترك

فترك جواب كلامي كله ثم قال والله لقد اشتريت في يوم عاشوراء
اللحم وتوابله وما يتبعه باربعة دراهم فلما قال هذا القول اضحكني
واذهلني وعلمت انه ليس ممن شرح صدره للاسلام وتوفي سنة
ثلث عشرة ومائتين ببغداد هو وابراهيم الموصلي وابو عمرو الشيباني
في يوم واحد وقيل له عند موته اي شيء تشتهي قال ان ياتي مخارق
يضع فمه على اذني ويغنيني بقول

ستعرض عن ذكري وتنسى مودتي ... ويحدث بعدي للخليل خليل
اذا ما انقضت عني من الدهر مدتي ... فان غناء الباكيات قليل

ومن محاسن شعره قوله

جزى البخيل عني صالحة ... عني لخفته على فكري
ما فاتني خير امرئ حملت ... عني يداه مؤنة الشكر

وقوله

عذيري من الانسان لا ان جفوته ... صفا لي ولا ان كنت طوع يديه
واني لمحتاج الى ظل صاحب ... يروق ويصفو ان كدرت عليه

كان المأمون يقول خذوا الخلافة واعطوني صاحب العاجب

وقوله

ان المطايا تشتكيك لانها ... قطعت اليك سباسبا ورمالا
فاذا وردن بنا وردن مخفة ... واذا صدرن بنا صدرن ثقالا

وقوله

كانك عند الكر في الحرب انما ... تفر من السلم الذي من ورائكا
فما آفة الابطال غيرك في الوغى ... وما آفة الاموال غير حبائكا

بكيتك يا علي بدمع عيني   فلم يغن البكاء عليك شيا

وكانت في حياتك لي عظات   وانت اليوم اوعظ منك حيا

وقوله

لا نامن الموت في طرف ولا نفس   وان تسترت بالاقفال والحرس

وقوله

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها   ان السفينة لا تجري على اليبس

وقوله

الا اننا كلنا بايد   وكل الى ربه عائد

فيا عجبا كيف يعصى الاله   ام كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له اية   تدل على انه واحد

وقوله

ما ان يطيب لذي الرعاية   للايام لا لعب ولا لهو

اذ كان يطرب في مسرته   فيموت من اجزائه جزو

كان ابن مخلد يقول ان هذا البيتين لو رمي بهما بين السماء والارض وقوله

الناس في غفلاتهم   ورحى المنية تطحن

وقوله

اذا المرء لم يعتق من المال رقه   تملكه المال الذي هو مالكه

وقوله

الا انما مالي الذي انا منفق   وليس لي المال الذي انا تاركه

اذا كنت ذا مال فبادر به الذي   يحق والا استهلكه مهالكه

وقوله

اكل يوم طول الزمان اذا   جئتك في حاجة تقول غدا

لا جعل الله لي اليك ولا   عندك ما عشت حاجة ابدا

فالشعر الذي بسببه خاطب سلم الخاسر

تم الله

تعالى الله يا سلم بن عمرو   اذل الحرص اعناق الرجال

هب الدنيا تساق اليك عفوا   اليس مصير ذاك الى زوال

ما كان اخلقك بان تقتد بذرعك وتربع على ظلعك

ما اخلقك اي ما اولاك ويقال فلان خليق بكذا اي كان مخلوق فيه مجبول عليه ونقتد بذرعك اي تقيس الامر بجهدك قبل ان تفعله والذرع الجهد ومنه ضاق فلان ذرعا واصل الذرع بسط اليد كانه جهد في بسطها وتربع على ظلعك مثل للعرب يضرب لمن يكلف نفسه ما لا يقدر عليه والظلع في البعير الغمز في مشيه وشبيها لعرج وربع الرجل يربع اذا قام وتحبس فالمعنى اقم على ضعفك وارفق بنفسك ويقولون ايضا ارق على ظلعك لان الراقي يتحمل او يسلم اذا كان ظالعا برفق بنفسه وقال اخر قولهم اربع على ظلعك اي احمل الحجر على قدر جهدك فان الحجر يسمى ربيعة وهو قول منتوق ولا تكن براقش الدالة على اهلها هذا مثل يضرب لمن يعمل عملا يرجع ضرره عليه واختلف الاقوال فيه فقال القوم وهم الاكثر براقش اسم كلبة نبحت جيشا قصد والغارة على قوم مختفين في مكانهم فلما نبحت الكلبة عرفوهم فاجتاحوهم فقالت العرب اشام من براقش وعلى اهلها تجني براقش وقال ابو عمرو بن العلاء براقش امراة كانت لبعض الملوك فسافر الملك واستخلفها وكان لهم موضع اذا فزعوا دخنوا

فيه فاذا ابصره الجند اجتمعوا وان جاد بها عبث ليلة فدخن فجاء الجند
فلما اجتمعوا قال لهم نصحاؤه ان رددتهم ولم تستعملهم فيشبى قد خنت
مرة اخرى لم يحضروا فامرتهم فبنوا ابنآء دون دارها فلما جاء الملك
سال عن البناء فحدثوه بالقصة فقال على قومها تجني براقش وحكى
الشرقي عن لقمان حكاية اخرى في هذا المعنى والاول اقرب كعنز
السوء المستثيرة لحتفها   هذا ايضا مثل يضرب لمن يعين على
ضر نفسه واصله ان رجلا وجد عنزا فاراد ذبحها فلم يجد سكينا فبينا
هو كذلك اذ بحثت الشاة بظلفها فاستثارت سكينا فذبحها
ما اراك الا سقط بك العشاء على سرحان   مثل يضرب لمن اراد
امرا فوقع على حتفه واصله دابة خرجت تطلب عشاء فوجدها ذئب
فاكلها وقيل رجل العشى العين وقع على ذئب فاكله وعلى هذه الرواية
يكون العشا مقصورا وقيل بل هو سرحان ابن قعنب اليربوعي
كان فاتكا وحمى واديا فورد عوف الاسدى فقال اشهد ان لا ينعى
سرحان دعى ابل الليلة فرعاها فمر به سرحان بن قعنب فقتله
فقال احرم بخاطب ونحن الاسد

ابلغ نصيحة ان راعي اهلها   سقط العشاء به على سرحان
سقط العشاء به على متقمر   لم ينته خوفه من الحدثان

دبك لا يطبي اعفر   مثل يضرب للشماتة بالرجل يقول نزل

به المكروه

به المكروه ولا نزل بظبي يريد ان عنايتي بالظبي اشد من عنايتي
به الاعفر الذي لونه لون التراب وهو العفر وكذلك غزلان السهل
وانما خص الظبي بالداء لان العثار والكسر سريعان اليه وقيل لانه
متى اصابه شيء داء مات سريعا والمثل للفرزدق منظوم من ابيات
تتعلق بها حكاية وذلك ان الفرزدق كان قد هجا بني نهشل بابيات
منها   لعمري لقد قل الغنى عديدكم   بني نهشل ما لومكم بقليل
ثم خرج سادات بني تميم وفيهم الحتات بن مجاشع مع الفرزدق الى
معوية فوصلهم ونقص حتاتا فعاتبه فقال معوية اني اشتريت
من القوم دينهم ووفرت عليك دينك قال فاشتر مني ديني
ايضا فالحقه بهم في الصلة فقام يتنجزها فطعن فمات فرجع معوية
فيما اعطاه فقال الفرزدق وهو بالبصرة

ابوك وعمي يا معوي ورثا   تراثا فاحلى بالتراث اقاربه
فما بال ميراث الحتات اكلته   وميراث حرب جامد لك ذائبه
وكم من اب لي يا معوي لم يكن   ابوك الذي من عبد شمس يقاربه

فوجد المهلبيون سبيلا فسعوا به الى زياد فقالوا ايها الامير المؤمنين
فقال زياد لعريف بني تميم احص قومك والفرزدق فيهم لناخذوا
عطاءهم فاحس الفرزدق بالشر فهرب وما زال يطوف حتى اتى
المدينة عائذا بسعيد بن العاص فقال فيه من قصيدة

ترى الغر الجحاجح من قريش   اذا ما الامر في الحدثان عالا

قياما ينظرون الى سعيد   كأنهم يرون به هلالا

فامر سعيد وبلغ زيادا فقال لا والله لا ارضى عنه حتى ينتسب في بني فقيم ثم قال مروان لم ترض ان نكون قعودا تنظر الى سعيد حتى جعلتنا قياما فقال انك منهم يا ابا عبد الملك لصافن فحقدها عليه مروان فلما عزل سعيد وتولى مروان المدينة احضر الفرزدق فقال انت القائل

هما دلتاني من ثمانين قامة   كما انقض باز اقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاي في الارض قالتا   احي يرجى ام قتيل نحاذره

احاذر بوابين قد وكلوا بنا   واسود من ساج تصر مسامره

فقلت ارفعوا الاسباب لا يشعروا بنا   واقبلت في اعجاز ليل ابادره

فقال نعم قال اتقول هذا بين ازواج رسول الله صلعم اخرج من المدينة فاستجار بعبد الله بن جعفر ثم مات زياد فبلغ الفرزدق ان مسكينا الدارمي رثاه فقال ولم يكن هجانيا ذا الظن مات فانه

امسكين ابكى الله عينيك انما   جرى دمعها في باطل فتحدرا

بكيت امرءا من اهل ميسان كافرا   ككسرى على علاته او كقيصرا

اقول له لما اتاني نعيه   به لا بظبي بالصريمة اعفرا

يعني بلغت العذر في نصيحتك ان قبلت مني وتركت التعريض لي واسمعتك ان كنت حيا تسمع وهذا نصف بيت من شعر عمرو بن معدي كرب ويروى

لدريد بن

لدريد بن الصمة وقد تقدم ذكرهما وهو

لقد اسمعت لو ناديت حيا   ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو نارا نفخت بها اضاءت   ولكن انت تنفخ في رماد

وبعض المتعصبين على ابي العلاء المعري يزعم انه خرج ليلة الى بعض مراقب موسى ع ورفع رأسه الى السماء وقال كلمني وانا افصح من موسى قال ذلك مرارا ثم انشد البيتين وذكر انهما من شعره والحكاية باطلة من وجوه

ان العصا قرعت لذي الحلم   والشيء تحقره وقد ينمي

قرعت له العصا مثل يضرب لمن ينبه وينبه على ما هو اصلح والسودة وثوب يستعمل للغضبان ومنه اخذ سورة الشراب وقوله ان العصا قرعت والشيء تحقره مثلا في التحذير منظومان في قول الحارث بن وعلة البكري وقد قتل بعض سادات قومه اخاه فقال من ابيات حسنة في معناها بدوها

اقتلت سادتنا بلا ترة   الا لتوهن قوة العظم

ووطئتنا وطأ على حنق   وطء المقيد نابت الهرم

وزعمت ان لا حلوم لنا   ان العصا قرعت لذي الحلم

لا تأمنن قوما ظلمتهم   وبدأتهم بالشتم والرغم

ان يأبروا نخلا لغيرهم   والشيء تحقره وقد ينمي

الآن لما ابيض مسربتي   وعضضت من نابي على جذم

تنجو الاعادي ان اصالحها   جهلا توهم صاحب الحلم

قومي هم قتلوا اميم اخي — فاذا رميت يصيبني سهمي
فلئن عفوت لاعفون جللا — ولئن سطوت لاوهنن عظمي

واختلفت فيمن قرعت له العصا وضرب به المثل فقيل هو عامر بن الظرب بن عباد اليشكري احد حكام العرب المشهورين وفيه يقول ذو الاصبع
ومنا حكم يقضي — فلا ينقض ما يقضي

وهو اول من قضى في الخنثى وذلك انه اختصم اليه في رجل له ما للمراة وما للرجل ايجعله رجلا ام امراة فقال لهم انصرفوا عني حتى انظر في امري فما نزل بي مثلها فانصرفوا وبات ليلته ساهرا وكانت له جارية ترعى غنيمة يقال لها سخيلة وكان يقول لها اذا سرحت بكرة صبحت يا سخيل فاذا راحت يقول مسيت يا سخيل لانها كانت تؤخر حتى تسبق فلم يقل لها شيئا ورات سهره وفكره فقالت له ما عراك فقال ويحك من شانك فعادت عليه فقال ويلك انه اختصم الي في خنثى له ما للذكر وما للانثى في بيان ايجعله امراة ام رجلا فقالت لا ابا لك اتبعه فان بال من حيث يبول الرجل فهو رجل فقال لها امسي سخيل بعدها او صبحي فذهبت مثلا ثم خرج فقضى بالذي اشارت قال السهيلي وهو حكم معمول به في الشرع من باب الاستدلال والعلامات وله مثل في الشريعة قول الله تعالى وجاءوا على قميصه بدم كذب وجه الدلالة على الكذب بان القميص لم يكن فيه خرق ولا اثر ثم ان عامرا كبر وضعف حتى قال

ارى شعرات على حاجبي — بيضا نبتن جميعا تؤاما
اظل اهاهي بهن الكلاب — احسبهن صوارا قياما

فقال له ثاني من ولده وقيل ابنته انك ربما اخطات في الحكم فيحمل عنك قال فاجعلوا لي امارة انتبه بها حتى اعرف الصواب فكان يجلس قدام بيته ويجلس ابنه في البيت ومعه عصا فاذا هفا قرع جفنة فينتبه ويرجع الى الصواب فضرب به المثل وهو اول من فعل ذلك وقيل هو شخص في زمن النعمان بن المنذر جد واخاه وذلك ان النعمان ارسل شخصا يرتاد الكلا فابطا فغضب وعزم على ان يساله اذا ورد فاذا قال خصبا قتله واذا قال جدبا قتله وعرف بذلك اخوه فقال للنعمان اتاذن لي ان انذره قال لا قال فاشير اليه قال لا قال فاقرع له عصا قال اقرع فلما ورد الرجل اخذ اخوه عصا من بعض جلسائه وقرع بها عصاه التي كانت معه قرعا يخلصها الى ان فهم اخوه القصة فقال لم اجد خصبا ولم اذم جدبا الارض مشكلة لا يقبلها يعرف ولا جدبها يوصف رائدها واقف ومنكرها عارف فقال النعمان اولى لك بذلك نجوت فنجى وقال اخوه

قرعت العصا حتى تبين صاحبي — ولم تك لولا ذاك للقوم تقرع

وقيل المراد بقرع العصا قصة قصير لما كان مع جذيمة واقبلت عساكر الزبا قال له اني انكرت القوم فرعت لك العصا وهي فرس جذيمة

التي لا تلحق فاركبنا وانج فلما راى الشر في عينها بالسوط فانفت جذيمة
من الحرب فركبها قصير ونجا عليها وضرب بذلك المثل يعنون لو كان
لجذيمة حلم لركبها والقول الاول اشهر واحسن وان بادرت بالندامة
ورجعت على نفسك بالملامة تركت فداشنت العاقبة
لك بالعافية منك يعني ان ندمت على ما
اقدمت عليه وتركته ولمت نفسك ارحت نفسك بانقطاعك عنا
وادخنا منك وان قلت جعجعة ولا طحن وذيت صلف
تحت الراعدة مثلان يضربان لمن يتوعد ولا يفعل والجعجعة صوت
الرحى والطحن الدقيق فعل بمعنى مفعول كذبح وفرق والصلف قلة
النزل والخير ولذلك يقال صلف من ملح في ماء اي لا يبقى وسحاب صلف
اذا كان قليل الماء كثير الرعد والمعنى انك متى قلت اني اتوعد ولا
لا يويسنك من مخبرة قول تغلظه وان جرحا
هذا البيت لبشار بن برد وقد ذكر وحدث ابو الشمقمق قال دخلت
عليه يوما وبين يديه مائة دينار فقال خذ منها اتدري ما قصتها
قلت لا قال انا اليوم جالس واذا بفتى من ذوي النعمة دخل علي فقال
يا ابا معاذ هذه مائة دينار نذرت ان ادفعها لك فتسلمها فقلت ما
سببها فقال كنت قد هويت امراة وترحت لها فتصعبت على
فاردت السلو فذكرت قولك لا يويسنك من مخبأة

قول

قول تغلظه وان جرحا عسر النساء الى مياسرة
والصعب يمكن بعد ما جمحا فصبرت فادركت مقصودي منها
واليت ان احمل اليك هذا القدر فعدت لما نهيت عنه و
راجعت ما استعفيت منه بعثت من يزعجك الى الخضراء دفعا
ويبحثك نحوها وكزا وصفعا يعني انك ان لم تبال بتوعدي
ولم تصدق قد رفعا ودت المراسلة بعثت من يزعجك من مكانك و
الازعاج عدم الاستقرار وضد المراة المزعاج اي لا تستقر في مكان والخضراء
ناحية المزدرعة من البلد او اسم ضيعة والكز مثل الدفع وهو ضرب
الظهر مع الدفع وقيل الضرب بجمع اليد على الذقن فاذا وصلت عقب
الا ذووها بك وتسلطت نواطيرها عليك الا كادرون الزراعون
كانه جمع اكرة ماخوذ من الاكرة وهي الحفرة في الارض والعبثان يخلط بعله
لعبا ماخوذ من العبيثة وهو طعام مخلوط والتسلط التمكن من القهر و
منه سمي السلطان فمن قرعة معوجة تقوم في قفاك ومن نخلة منتقدة
يرمى بها تحت حضانك اي تضرب في القفا بالقرع المعوج
الى ان يستقيم وهو مما لا يستقيم فيكون كناية عن اتصال الضرب والرمي
بالنخل تحت الحضن كناية عن استدخاله وفي تقدير مناسبة واستعداد
للمفعول به ذالك بما قدمت يداك لتذوق وبال امرك وترى
ميزان قدرك ودر يعني بما فعلت انت والعرب تقول هذا

ما كسبت يداك وان لم تكن اليد الفاعلة وانما يقصدون بذلك فعله
وعلى ذلك حمل قوله تعالى لما خلقت بيدي على بعض الوجوه والذوق وجود الطعم
بالفم ونقل الى اختبار الشيء ويستعمل في القليل والكثير ولذلك ذكره
الله تعالى في العذاب والوبال الامر الثقيل الذي يخاف ضرره ومنه طعام
وبيل وكلاء وبيل والوبل وهو المطر الثقيل والميزان معرفة مقدار الشيء
واصله موزان فانقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها **ومن جهلت نفسه قدره**
رأى غيره منه ما لا يرى هذا البيت من شعر المتنبي ختمت بذكره الرسالة
لمناسبته ما قبله وكذلك اكثر مذاهب البلغاء في مقاطع رسائلهم
اما باية او مثل او بيت من الشعر يتمثلون به في معنى ما هم فيه فيكون له
مزية ظاهرة ويجب ان يكون من احسن ما سمع وفي القصيدة التي منها
هذا البيت ابيات حسنة اذكرها جريا على العادة في الاستطراد بما ينطوي
على نكتة وفائدة فمنها قوله وقد خرج هاربا من كافور الاخشيدي من مصر
الى العراق يصف طريقه

فيا لك ليلا على اعكش ... احم البلاد خفي الصوا
وردنا الرهيمة في جوزه ... وباقيه اكثر مما مضى

اعكش موضع والاحم الاسود والصوا العلامات في الطرق وهي احجار
يوضع بعضها على بعض ليعرف بها الطريق وفي الحديث ان للاسلام
صوا ومنارا والرهيمة موضع وجوزه عايد على الليل يعني نصفه اعترض قوم

على هذا

على هذا اللفظ فقالوا اذا كان باقي الليل اكثر مما مضى فلا يكون نصفه
فقيل في الجواب وجهان احدهما انه انما اراد بالنصف مدة الثلث
الاوسط والثاني ان الضمير في جوزه عايد على اعكش والرهيمة ماء
في وسطه ووردوه وباقي الليل اكثر مما مضى ليعلم مصر ومن بالعراق
ومن بالعواصم اني الفتى يعني من في مصر من قادحهم ومن
بالعراق هو قادم عليهم ومن بالعواصم سيف الدولة

ومن يك قلب كقلبي له ... يشق الى العز قلب النوى
ونام الخويدم عن ليلنا ... وقد نام قبل عمى لا كرى
وقد كنت احسب ان الخصي ... ان الرؤوس محل النهى
فلما نظرت الى عقله ... وجدت النهى كلها في الخصا
وقد ضل قوم باصنامهم ... فاما بزق رياح فلا

يعني ان من اطاع كافورا فقد ضل بطاعة شيء اسود مملوء هواء ولم يضل احد بذلك

ومن جهلت نفسه قدره ... رأى غيره منه ما لا يرى

يعني من جهل قدر نفسه عرف غيره بارتكاب القبايح التي لا ينتبه لها
ومن نوادر المتعقبين على سرقات المتنبي قول احدهم انه سرق هذا البيت
من حكاية وهو ان قصارا كان يعمل على شاطئ نهر وكان كل يوم يرى
كركيا يجيء فيلتقط من الحماة دودا ويقتصر في القوت عليه فرأى الكركي
صقرا قد ارتفع في الجو وانقض على حمامة فاصطادها واكلها فقال الكركي

مالى لا اصطاد الطيور كما يصطاد هذا وانا اكبر منه جسما فاد تفع
فى الجو وانقض على حمام فاخطأ وسقط فى الحماة فتلطخ راسه وريشه
ولم يمكنه ان يطير فاخذه القصار ورجع الى منزله فاستقبله رجل
فقال ما هذا فقال كركى تبغض وسمع المتنبى هذه الحكاية فاخذ
منها معنى هذا البيت وعد سرقة وهذا من نادر التعصب على هذا
الرجل المحسود **تمت الرسالة وشرحها والدلالة ولمحها**
ولا ادعى فيها غير انتخاب الاخبار واختيار المتمكن من النظام و
النثار فانى انتيت بيوت الاشعار من ابوابها وميزت ابكار
الفقر من اترابها وعلى الجملة ففى عواطف من عرضت عليه هذه
النبذة ما يسد خللى ويشد املى ويكثر قليلى ويرى محى كل وقت رحلتى
السمالية بقبولى عطر الله بذكره المشارق والمغارب
وذين سماء المدح من مناقبه بزينة الكواكب
ولا اخلى ابواب نعمه وعلمه على كافة
الحالين من طالب امين والحمد
لله رب العالمين وصلى
الله على سيدنا
محمد واله
١٢٨٤ع
اجمعين
م م



